

الدفاع في الحرب الثورية

مدخل إلى مبادئ الدفاع وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السـيطرة فيه خلال الحرب الثورية

تأليف وإخراج مركز الخطابي للدراسات / 2021

alkhattabirw

الدفَـاعُ في الحربِ الثَّوريَّةِ

مدخل إلى مبادئ الدفَـاعِ وأنواعه وعوامل قوته وإجراءات السَّيطَرَة فيه خلال الحرب الثَّوريَّة

تأليف وإخراج مركز الخطابي للدراسات



2021 - 2022 مـ

1442 هـ

الفهرس

مقدمة

الدِّفَاع: هو الشكل الأقوى للحرب. (كارل فون كلاوفيتز)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ونبراس العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

تشكو المكتبة العربية بِشَكلٍ عام والثَّورية بِشَكلٍ خاص من نقص حاد على مستوى المراجع العلميَّة التي تتناول التكتكيات الحربية، والتي يمكن للثوارِ الانطلاق منها في حروبهم الثَّوريَّة.

إِضَافَةً إلى هذا، فإن معظم مراجع الحرب سواءً -العربية أو الأجنبيَّة- تتناول بِشَكلٍ خاصٍ الحرب التَّقليديَّة وفنونها، الحروب التَّقليديَّة التي تخوضها الجيوش النِّظَاميَّة ضد جيوش أخرى، أمَّا الحرب الثَّوريَّة فإن المراجع العلميَّة حولها نادرةٌ جداً، ولا تكاد تجد كتاباً واحداً أصَّل لهذه الحرب علميَّاً وتحدثَ عن مبادئها واستراتيجياتها وتكتيكاتها بِشَكلٍ أكاديمي ومنظم.

_ عانت العديد من الثَّورات المسلحة من خطأ قاتل ألا هو الخلط بين طبيعة الحرب التَّقليديَّة والحرب الثَّوريَّة، حَيْثُ انتقل بعض الثُّوار إلى الدِّفَاع النِّظاميّ في وقت لا تسمح لهم قوتهم بتلبية متطلبات هذا الدِّفَاع فكان هذا سبباً في القضاء عليهم، بينما بقيَ البعض الآخر على أساليب الدِّفَاع غير النِّظاميّ في وقت كَانَ يَجِبُ عليه أن يقتدي بالجيوش النِّظَاميَّة، فكان هذا سبباً في خسارته العديد من مكتسباته، وإنَّنا سنُحاوِل في هذا الكتاب أن نرشد النُّخب الثَّوريَّة إلى العلوم التي ستمكنهم من اختيار التكتكيات الدِّفَاعِيَّة المناسبة في الوقت المناسب.

تكمن أهمية هذا العمل في كونه يمثل مرجعاً علمياً للتكتكيات الدِّفَاعِيَّة في الحرب الثَّوريَّة. وهو في الحقيقة يحاول الدمج بين تكتيكات الدِّفَاع في الحروب التَّقليديَّة وبين الواقع المتغير للحرب الثَّوريَّة، أي أنه يحاول الدمج بين الطابع النِّظاميّ للحرب والطابع غير النِّظاميّ الذي

تفرضه الثَّورَة المسلحة، لَعَلَّهُ يستطيع بذلك تقديم مرجع لقادة الثَّورَة في الوقت الحاضر والمستقبل، ويكون قريباً من واقعهم الميداني وممنهجاً بِشَكلٍ علميٍّ في نفس الوقت، بحيث يعينهم هذا المرجع على تطبيق العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة بِشَكلٍ سليم في مختلف مراحل الثَّورَة.

وبما أنه بحث نظري وثائقي؛ فكتابنا هذا لا يقتصر على ظرف زماني أو مكاني محدد، كما أنه لا يستهدف رتبة عسكرية دُونَ غيرها، لأننا أردناه مدخلاً للدفاع في الحرب الثَّوريَّة، بحيث يمكن لجميع القادة العسكريين والمختصين مطالعته بدايةً من قائد المجموعة مروراً بقائد السّريَّة واللواء والكتيبة وصولاً إلى قائد الفرقة والفيلق.

ـ من أهم الأعمال العلميَّة السابقة التي تناولت الدِّفَاع في الحرب الثَّوريَّة:

كتاب حرب المستضعفين لروبرت تابر، وكتاب حرب المطاريد لمصطفى حامد، وكتاب الصراع ورياح التغيير لمحمد صلاح الدين، وكتاب نشوب الثَّورَة المسلحة لسيث جونز، وهي كتب قيمة ومفيدة من حَيْثُ تناولها لمراحل الحروب الثَّوريَّة ومبادئها، لكنها في الحقيقة لم تتنوال التكتيكات الدِّفَاعِيَّة بِشَكلٍ خاص، ولم تخصص لها مادةً علميةً أكاديميةً يمكن الاعتماد عليها في العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة.

لدينا أيضاً المراجع التاريخية القيِّمة:

كتاب تكتيكات الطالبان جنوب أفغانستان لكارتر مالكسيان وجيري ميبرلي، وكتاب الجانب الآخر من الجبل (تكتيكات المجاهدين الأفغان في الحرب الأفغانية السوفيتية)، وهي مراجع مهمة جداً من حَيْثُ توثيقها وتحليلها لتكتيكات الثُّوار الأفغان، لكنها لا تهدف إلى تقديم مراجع علمية عن العَمَلِيَّةالدِّفَاعِيَّة، وإنما توثيق المعارك التي حدثت في الحرب الأفغانية الروسية والحرب الأفغانية الأمريكية وتحليلها، لذلك فهي لم تتطرق إلى مبادئ وتكيتكات وإجراءات السَّيطَرَة في الدِّفَاع بِشَكلٍ علمي.

من المراجع المهمة الأخرى التي تتحدث عن العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة، أمهات الكتب الحربية مثل: كتاب "عن الحرب" لكلاوزفيتز وكتاب "فن الحرب" لجوميني. إِضَافَةً إلى المناهج العَسكَرِيَّة للجيوش النِّظَامِيَّة مثل:

1. الدليل الأمريكي للتكتيكات (**FM 3-90**)
2. والدليل الأمريكي لقيادة الجيش (**DRP 6-22 C1**)
3. والدليل الأمريكي للفرقة والفصيلة (**ATP 3-21.8, C1**)...إلخ

وهي مراجع علمية شاملة للتكتيكات الحربية، استفدنا منها استفادةً عظيمةً، لكن عيبها يكمن في أنها تهتم بالحرب التَّقلِيدِيَّة وليس الثَّورِيَّة، أي أن العلوم التي فيها تصلح للجيوش النِّظَامِيَّة الكبيرة، وقد لا تناسب الثُّوار في كثير من جوانبها.

إذاً الفجوة التي لم تعالجها الكتب السابقة، تكمن في عدم تناول هَذِهِ المراجع لفنون الدِّفَاع في الحرب الثَّورِيَّة بِشَكلٍ خاص، وعدم تطرقها إلى مبادئه وتكتيكاته وإجراءات السَّيطَرَة فيه بِشَكلٍ علمي خلال مختلف مراحل تطور الثَّورَة المسلحة.

وهو ما سنتحدث عنه في هذا البحث، إذ سنحاول الإجابة عن الإشكالية الأساسية التالية: **"العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة بصفتها أمراً لا يمكن الاستغناء عنه في الحرب، فما هي إذاً أهم المبادئ وعوامل القوة وإجراءات السَّيطَرَة والتكتيكات التي تختص بها العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة في الحرب الثَّورِيَّة؟"**

ومن أجل التدرج في الإجابة عن هَذِهِ الإشكالية الأساسية، يمكنُنا تصميم البحث ليكون في ثمانية أبواب، **يتناول الباب الأول:** مفهوم الدِّفَاع بِشَكلٍ عام، والغاية منه، والمزايا التي يختص بها مقارنةً بالهجوم. **بينما يتناول الباب الثاني:** مبادئ الدِّفَاع مع مثال واقعي لكل مبدأ من إحدى المعارك في الجبهات الثَّورِيَّة السابقة.

ويتطرق **الباب الثالث:** إلى عوامل القوة التي تزيد من فرص المدافعين في تحقيق النصر، وفيه أيضاً أمثلةٌ واقعيةٌ لكل عامل من إحدى التجارب الثَّورِيَّة السابقة.

ويتناول الباب الرابع: أساسيات العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة، ليشمل أنواع الدِّفَاع من حَيْثُ: التخطيط وشكل الأرض والمواقع المدافَع عنها، وإجراءات السَّيطَرَة التي يَجِبُ أن يستخدمها القائد لتوجيه الدِّفَاع مثل: إجراءات تحديد الخطوط المَرحَلِيَّة ومواقع المعركة ومناطق العَمَلِيَّات.

أمَّا الباب الخامس والسادس والسابع: فإن كل باب منها يتناول نوعاً من أنواع الدِّفَاع الأساسية (الدِّفَاع الثَّابِت والدفاع المتحرك والدفاع التراجعي)، ويتحدث عن طريقة التخطيط لهذه الأنواع وتنفيذها.

وأخيراً يتطرق الباب الثامن: إلى تطور الدِّفَاع مع تطور مراحل الحرب الثَّوريَّة، وكيف ينبغي على الثُّوار استعمال الأساسيات التي تمَّ ذكرها في الأبواب السابقة، وكيف يمكنهم توظيفها في واقع الثَّورَة المتغير.

وفي الختام، نرجو أن يكون هذا البحث قد وفر لنُخبِ الأمَّة ما يحتاجونه من علوم حول العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة في الحرب الثَّوريَّة، لَعَلَّهُ بذلك يغيرُ بعض القناعات التي كَانَت تقول أن الثَّورَة هي عمليةّ فوضويةّ ولا تحتاج تنظيراً علمياً، لأنها في الحقيقة -بحكم طابعها المتغير- تحتاج أكثر من غيرها إلى تنظيم وتقنين وتفصيل.

فنرجو الله أن يكون كتابنا هذا قد ساهم في تحقيق ذَلِكَ.

إدلب

2 ذو القعدة 1442

12 يونيـــو 2021

تعريف أهم المصطلحات العَسكَرِيَّة:

التكتيك (tactic): علم وفن تنسيق القوات العَسكَرِيَّة وأساليب استعمال الأسلحة، أو الوحدات العَسكَرِيَّة جميعها في مقابلة وهزيمة العَدو في المعركة.

الهجمات الإفسَادِيَّة (spoiling attacks): هي مناورة تكتيكية تهدف إلى عرقلة هجوم العَدو عرقلةً بالغةً حين يكون العَدو في طور التشكل أو التجمع للهجوم.

منطقة المعركة الرَّئيسيَّة (Main Battle Area): هي جزءٌ من ساحة المعركة والتي تجري فيها المعركة الحاسمة لهزيمة العَدو.

العَمَلِيَّات الحاسمة (Decisive Operations): هي العَمَلِيَّات التي تؤدي مباشرة إلى تحقيق غرض القائد.

العَمَلِيَّات التشكيلية (Shaping Operations): هي العَمَلِيَّات التي تخلق ظروفاً أو تحفظها بغية إنجاح العَمَلِيَّات الحاسمة.

عَمَلِيَّات الإدامة (sustaining operations): هي العَمَلِيَّات التي تعزز من العَمَلِيَّات الحاسمة أو عَمَلِيَّات التَّشكِيل بتوليد القوة القِتَالِيَّة أو الحفاظ عليها.

الاستخبارات والاستطلاع والمراقبة (intelligence, reconnaissance, surveillance): هي الإمداد والمعالجة والاستمكان المتكامل والمنسق للمعلومات على نحوٍ مترابطٍ ومتماسكٍ ودقيق لدعم القائد في إجراء فعالياته.

التَّأمِين (Security): هي كل التدابير المتخذة للحيلولة دُونَ مبادرة العَدو إلى هجوم مفاجئ.

قوات الحَجب (Screening Forces): هي تشكيلات هدفها حماية الكتلة الرَّئيسيَّة من القوات أو أرتالها وتقديم إنذارٍ مبكرٍ عن قوات العَدو مع تدمير وعرقلة ومنع **استطلاعه**.

استمكان الأهداف (target acquisition): هي الكشف عن مواقع الأهداف وتحديدها بما يكفي لاستخدام الوسائل المميتة وغير المميتة ضدّها.

تحليل METT-TC (Mission, enemy, terrain and weather, troops and support available, time available, and civil considerations): اختصار لتحليل يستخدمه الجيش الأمريكي في التخطيط لأي عملية، والكلمة اختصار للعوامل المراد تحليلها وهي :

(المهمة، والعدو، والأرض، والقوات المتاحة، والوقت، والاعتبارات المدنية).

مفهوم العَمَلِيَّات (concept of operations): هو تعبير لفظي أو تصويري يعبر بوضوح ودقة عما يعتزم قائد القوات المشتركة إنجازه، وكيف يمكن إنجاز ذَلِكَ باستخدام الموارد المتاحة؟.

منطقة الاهتمام المسماة (named area of interest): هي منطقة جغرافية فيها معلومات تستوفي متطلبات المعلومات المراد جمعها للقوات الصَّديقَة، ويتم اختيار هَذِهِ المناطق لكشف مسارات عمل العَدو.

منطقة الاهتمام المُستهدفة (target area of interest): هي منطقة جغرافية تضم أهدافاً عالية القيمة يمكن كشفها واستهدافها من قبل القوات الصَّديقَة.

الصورة العَمَلِيَاتيَّة المشتركة (common operational picture): هي عرض واحد متطابق للمعلومات (الخاصة بالعمليات) ذات الصلة مثل: وضع القوات الخاصة فينا وقوات العَدو، وحالة البنية التحتية المهمة، مثل الجسور والطرق وغيرها، وتتم مشاركتها من خلال أكثر من أمر.

وتسهلُ الصُّورةُ العملياتيَّة العامةُ التخطيطَ التعاوني وتساعدُ جميع القادة على تقدير الحالة العَسكَرِيَّة.

خط تسليم المعركة (battle handover line): هو خط يُعيَنُ على الخريطة لتعيين مكان تسليم مسؤولية إجراء العَمَلِيَّات القِتَالِيَّة من قوةٍ إلى أخرى.

فريق الأسلحة المشتركة (combined arms team): هو كل تشكيل عسكري حقق الاندماج والتكامل بين مختلف صنوف الأسلحة أو العناصر القِتَالِيَّة ضِمْنَ عملية.

النسق (echelon): جزء من تشكيل العَمَلِيَّة أثناء القتال. وعدد الأنساق وحجمها رهن بفكرة العَمَلِيَّة وهدفها وعمقها، وسعة الاتجاه التعبوي الذي تُدار فيه؛ إِضَافَةً إلى قوة العَدو وطبيعة دفاعاته، فقد يكون التَّشكِيل في نسقَين، أو ثلاثة أنساق، أو نسقَين واحتياطي.

التثبيت (Fixing): هو نشاطٌ تكتيكيٌ ضِمْنَ مهمةٍ، حَيْثُ يمنع القائد عدوه من تحريك أي جزءٍ من قواته من مكانٍ محددٍ ولمدةٍ زمنيةٍ محددة.

التثبيت أيضاً هو: تأثير العقبات الهندسيَّة والتي تقوم بتركيز التخطيط النَّارِيّ بغية تخفيف سرعة المهاجم ضِمْنَ منطقةٍ معينةٍ والتي تكون عادةً منطقة الاشتباك.

العزل (Isolating): هو نشاطٌ تكتيكيٌ ضِمْنَ مهمةٍ، والذي يتطلب من الوحدة عزل العَدو -مادياً ومعنوياً- عن مصادر إمداده، وحرمانه من حرية التحرك، ومنع وحدات العَدو من التَّمَاس مع غيرها من قوات العَدو.

الاختراق (Breaching): هو شكلٌ من أشكال المناورة، تقوم فيه قوةٌ مهاجمةٌ بمحاولة اختراق دفاعات العَدو على جبهةٍ ضيقةٍ لتشتيت النظام الدفاعي.

الطاقة القِتَالِيَّة (Combat Power): هي كافة وسائل القوة التَّدميريَّة والمعيقة والتي يمكن تطبيقها ضد العَدو في وقتٍ معينٍ من قبل وحدةٍ عسكريةٍ أو تشكيلٍ عسكريّ.

القوة الضاربة (Striking Force): هي قوةٌ منظمةٌ يتمّ الزَّجّ بها لتنفيذ هجومٍ حاسمٍ في الدِّفَاع المتحرك، تتألف عادةً من أقصى طاقةٍ قِتَالِيَّة متوفرةٍ لدى القائد لحظة الهجوم.

السّريَّة(Company): هي وحدةٌ مكونةٌ من فصيلتين أو أكثر -وعادةً من نفس النوع- مع مراكز قيادةٍ وكميةٍ محدودةٍ من الدَّعم الذاتي.

المناورة (maneuver): هي استخدام القوات على أرض المعركة عن طريق الحركة المقترنة بالنيران -أو النيران الكامنة- لاكتساب موقعٍ ذي أهميةٍ بالنسبة للعدو بهدف إنجاز المهمة.

عَمَلِيَّات المعلومات (Information Operations): هي التوظيف المتكامل -أثناء العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة- عن طريق: (الحرب الإلكترونية، عَمَلِيَّات شبكات الحواسيب، العَمَلِيَّات النفسيَّة، الخداع العَسكرِيّ، تأمين العَمَلِيَّات) بالتنسيق مع قدرات محددة داعمة ومتعلقة بها لتعطيل أو إفساد أو انتزاع أو التأثير على اتخاذ القرار البشري أو الآلي لدى الخصوم الحاليين والمحتملين، مع حماية عملية اتخاذ القرارات لدى القوات الصَّديقَة في نفس الوقت.

فك الاشتباك (disengagement): مهمة تكتيكية يقوم القائد فيها بقطع التَّمَاس مع العَدو للسماح بتنفيذ مهمةٍ أخرى أو لتجنب الدخول في اشتباكٍ حاسم.

الاشتباك الحاسم (decisive engagement): الاشتباك الحاسم في الحروب البَرِيَّة والبحرية هو اشتباكٌ تعتبر فيه وحدةٌ ما منخرطةً بِشَكلٍ كاملٍ ولا يمكنها المناورة أو تخليص نفسها. فينبغي خوض هذا القتال -عند غياب المساعدة الخَارجيَّة- لينتهي أمَّا بالنصر أو خسارة القوات الموجودة.

خطوط الإمداد (line of communication): هي مسالك بريةٌ أو بحريةٌ أو جويةٌ تربط القوات العَسكَرِيَّة العاملة بقاعدة العَمَلِيَّات ويتم عبرها انتقال التجهيزات والقوات العَسكَرِيَّة.

خط المرحلة (Phase Line): هو خط يفيد في التَّحَكُّم بالعمليات العَسكَرِيَّة وتنسيقها، وعادةً ما يكون نوعاً من التَّضَارِيس الممتدة عبر منطقة العَمَلِيَّات.

العوائق (Obstacles): هي أي حواجز تمَّ تصميمها أو توظيفها لعرقلة أو عكس أو منع حركة قواتٍ معادية، ولإلحاق المزيد من الخسائر في الجنود والوقت عند القوات المعادية. يمكن أن تتواجد العقبات بِشَكلٍ طبيعيٍّ أو تكون مصطنعة، أو مركبةً من كليهما.

منطقة الاشتباك (engagement area): هي المنطقة التي ينوي القائد احتواء قوات العَدو فيها وتدميرها بتأثيرات حشد كل الأسلحة المتوفرة والأنظمة الداعمة.

الدَّعم القتالي (Combat Support): هو الوظائف القِتَالِيَّة الحسَّاسة والتي يتمّ تقديمها من قبل الوحدات والجنود الاحتياطِيَّة أو الأصدقاء بالاشتراك مع وحداتِ وجنودِ الأسلحة القِتَالِيَّة لضمان النصر في المعركة.

الدَّعم الخدمي في المعارك (Combat Service Support): (هو جزء من نظام إدارة المعارك) والذي يعني تقديم الدَّعم والخدمات لمؤازرة القوات خلال الحروب أو العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة الأخرى.

خطوط النَّار (Trigger Lines): هي خطوط مرحلية تستخدم لبدء وحشد النيران على منطقة اشتباكٍ أو هدفٍ معينٍ ضِمْنَ مدىً محددٍ مسبقاً لجميع أنظمة الأسلحة.

مسالك الاقتراب (Avenues Of Approach): هي المسالك البَرِيَّة أو الجويَّة التي يمكن أن تستخدمها القوات المهاجمة أو الصَّديقَة للوصول إلى هدفٍ ما (أو إلى تضاريس رئيسيةٍ في طريقها).

قابلية التنقل / تعطيل القدرة على التنقل/ القدرة على النجاة (هذه المصطلحات جزء من نظام إدارة المعارك) **(mobility/countermobility/ survivability)**، وتعني:

- قابلية التنقل: تحافظ على حرية المناورة لدى القوات الصَّديقَة.
- عَمَلِيَّات تعطيل القدرة على التنقل: تحرم قوات العَدو من قابلية التنقل.
- عَمَلِيَّات القدرة على النجاة: تحمي القوات الصَّديقَة من آثار أنظمة أسلحة العَدو.

الباب الأول: مفهوم الدِّفاع وغايتُه ومزاياه

"مفهوم الدِّفَاع هو تفادي الضربات العَسكَرِيَّة، وسِمَتُهُ انتظار تلك الضربات، وبه نستطيع التمييز بين الهجوم والدفاع. والدفاع المطلق المجرد يتعارض تماماً مع فكرة الحرب"[1] (كارل فون كلاوزفيتز)

تبقى مسألة تحديد المفاهيم مسألة شاقة على الباحثين، فمعاني المصطلحات في العلوم الوضعية ليس أمراً متفقاً عليه بين المفكرين الأوائل، وهو ما يجعل ضبط مفاهيم هَذِهِ المصطلحات على المتأخرين أمراً شاقاً. وسنقوم في هذا الباب بترجيح مفهوم للدفاع ينطلق منه البحث، كما سنتحدث بِشَكلٍ وافٍ عن الغاية من الدِّفَاع، ومزاياه في الحرب.

ولأن هذا البحث يريد أن يركز بِشَكلٍ أساسي على طبيعة الدِّفَاع في الحرب الثَّوريَّة؛ لن نكتفي بذكر مفهوم الدِّفَاع ومزاياه في الحرب التَّقليديَّة، بل سنتحدث بِشَكلٍ مفصل عن مفهوم الدِّفَاع في الحروب الثَّوريَّة ومزاياه، وكيف يتطور هذا المفهوم مع تغير مراحل الثَّورَة المسلحة.

وهو ما دفعنا إلى تقسيم هذا الباب إلى الفصول التالية:

- الفصل الأول: مفهوم الدِّفَاع.
- الفصل الثاني: مزايا الدِّفَاع.

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص502

الفصل الأول: مفهوم الدِّفَاع

يمكننا أن نُعرِّفَ الدِّفَاع من حَيْثُ العموم بأنه:

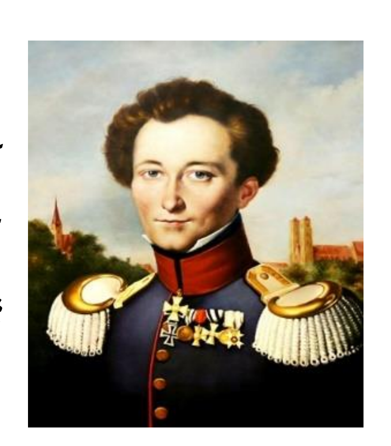
"كافة النَّشاطَات التي تقوم بها الأمَّة قبل حالة الحرب"، وانطلاقاً من هذا، فإنه يشمل فضلاً عن آلة الحرب، الاقتصاد والهوية الثقافية والشخصية الحضارية، ومكانة الأمَّة في العالم. إنه دفاع قومي بمعناه الشامل، دفاع على صعيد الأمَّة كلها، إنه كافة النَّشاطَات التي تسمح لأي أمَّة أن تتقدم نحو الرقي والتطور والازدهار. ومن هنا، أضحى الدِّفَاع قضيةً جماعية، وهو بذلك أكثر تعقيداً، إنه قضية الدِّفَاع عما يهم الأفراد وعما يريدونه وهم مجتمعون مع بعضهم البعض. ومعنى هذا، هو أنه لا بد من تحديد ما من شأنه أن يعين مجموع الأمَّة، وعمَّا يمكن أن ندافع عنه إذا أمكن، وعمَّا يهمنا أن ننقذه في جميع الأحوال.[1]

والدفاع عكس الهجوم في المصطلح العَسكرِيّ: إنَّه الامتناع عن طلب العَدو، والوقوف على تمام الأهبة والاستعداد بانتظار قدومه، وهو عبارة عن كل إجراء عملي ينفذ عبر استثمار كافة الوسائل والإمكانات الموجودة، بهدف التصدي للعدو، والحيلولة دُونَ الاستمرار في تقدمه، وذلك انطلاقاً من مواقع دِفَاعِيَّة قوية قد سبق إعدادها وتحضيرها.[2]

---

[1] موقع خطابات، مقال مترجم من اللغة الفرنسية، بعنوان: "مفهوم الدِّفَاع في العقيدة العَسكَرِيَّة الدِّفَاعِيَّة".
https://2u.pw/U9UaU

[2] العقيد محمد الصفا: الحرب فن القيادة والمعارك الفاصلة في التاريخ وإدارة الحرب والمذهبية العَسكَرِيَّة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ص334



كما يُعرِّفُه الجنرال والمؤرخ الحربي البروسي كارل فون كلاوزفيتز[1] بأنَّه: "عملية تفادي الضربة"، **أي أن سمته التي تميزه عن الهجوم هو انتظار أن يبدأ العَدو بالضربة الأولى.**

الغاية من الدِّفَاع ومهامه.

إن الغاية الأساسية من الدِّفَاع **هي تهيئة الظُّروف الملائمة للقيام بهجوم مضاد، والذي سيُعيننا على استعادة المبادرة فيما بعد**، إِضَافَةً إلى العديد من الأغراض الأخرى، نذكر منها:

1. الحفاظ على تضاريسٍ حاسمةٍ أو حرمان العَدو من مناطق حيوية.
2. تدمير أو شل القوة المعادية، والتقليل من قدرة العَدو على القيام بأعمال هُجُومِيَّة.[2]
3. استنزاف العَدو أو تثبيته كمقدمة لعمل هجومي.
4. الاستجابة لهجومٍ مباغت من قبل العَدو.
5. إضعاف العَدو في مواقع أخرى عن طريق إجبار قادته على تركيز قواتهم في موقع معين.[3]
6. الاقتصاد بالقوات في مكان ما للاستفادة منها في منطقة أخرى.

---

[1] ولد سنة 1780 في ماغدبورغ الألمانية وتوفي سنة 1831 في بريسلاو، وهو جنرال ومؤرخ حربي بروسي. من أهم مؤلفاته كتاب عن الحرب. تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والإستراتيجية أثراً عميقا في المجال العَسكرِيّ في البلدان الغربية. وتُدرَّسُ أفكاره الآن في العديد من الأكاديميات العَسكَرِيَّة كما أنها تُستعمَلُ في عدة مجالات مثل قيادة المؤسسات والتسويق. ويُعتبَرُ من أكبر المفكرين العسكريين شهرة وتأثيراً على مر التاريخ.

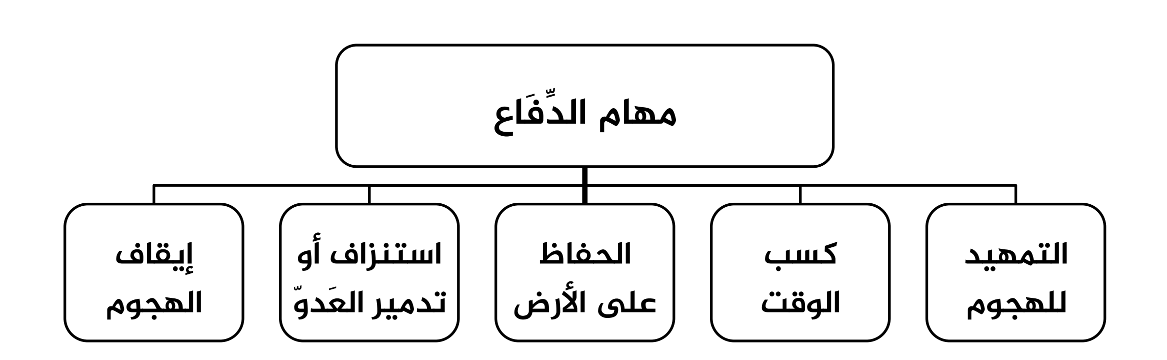
[2] موسوعة التكتيك، الصادرة عن مكتب الخدمات لإمارة أفغانستان الإسلامية، ص88

[3] **ATP 3-21.8-Infantry Platoon and Squad. Chapter 3 DEFENSE. 3-1**

وجاء في دليل الجيش الأمريكي لفرقة المشاة:

"المهمة الدِّفَاعِيَّة هي مهمة يتمّ تنفيذها لإلحاق الهزيمة بهجوم العَدو، وكسب الوقت، والاقتصاد بالقوات، وتطوير الظُّروف الملائمة لمهام الهجوم أو الاستقرار.

في الأحوال العادية لا يمكن للدفاع وحده أن يحسم النتيجة. ومع ذَلِكَ، يمكنه أن يهيئ الظُّروف المناسبة لهجوم مضاد يُمكِّنُ قوات الجيش من استعادة المبادرة."[1]



[1] Offense and defense adrp 3-90, 4.2.

الفصل الثاني: مزايا الدِّفَاع.

يحظى الدِّفَاع في الحرب بالعديد من المزايا، لَعَلَّ أهمها أنه يُمكّن المدافع من اختيار المكان والموقع الذي سيتمركز فيه بِشَكلٍ مسبق، وهذا ما يجعله أكثر خبرةً ودراسةً ودرايةً بهذا المكان وتضاريسه ومناخه وسكانه مقارنة بالمهاجم.

وفي هذا السياق يقول الجنرال أنطوان هنري جوميني [1] صاحب كتاب فن الحرب:



"هُنَاكَ مزايا تحظى بها الدولة التي تخوض حرباً دِفَاعِيَّة على أراضيها. وبالمنظور العَسكرِيّ الصرف، فإن الدولة التي تقاتل على أراضيها تمتلك مزايا عظيمة، وذلك لمعرفتها بجميع المعالم الطَّبيعِيَّة والصناعية على أرضها، فتكون تحركاتها مدعومةً بمعرفة البلاد، إضَافَةً لتأييد المدنيين ومؤسسات السلطة". [2]

ومع ذَلِكَ فإن الكُتَّابَ الكبار والقادة العسكريين المشهورين يكاد يجمعون فيما بينهم على ذمّ الدِّفَاع المطلق أو المجرد، حَيْثُ إنه يحظى بالعديد من السلبيات مقارنة بالهجوم، لَعَلَّ أهمها: أن المدافع خلاله مُعرض لفقد السَّيطَرَة والتَّنسيق بين القوات والوسائط أثناء المعركة مقارنةً بالمهاجم الذي سيكون أكثر مقدرة على توجيه قواته، إضَافَةً إلى أن المدافع الذي ينتظر الهجوم المتوقَّع في أي لحظة سيكون غالباً معرضاً للضغط والاضطراب النفسي وانهيار المعنويات أكثر من المهاجم، كما أن أرض المدافع ستكون معرضةً للدمار والخراب

---

[1] ولد سنة 1779 في بيرين بسويسرا وتوفي 1869 في باسي بفرنسا، هو ضابط سويسري فرنسي، خدم في الجيش الفرنسي ولاحقاً في الجيش الروسي. وهو أحد أشهر الكتّاب العسكريين لفن الحرب النابليوني. اشتهرت أفكاره في الأكاديميات العَسكَرِيَّة الغربية وخاصةً أكاديمية ويست بوينت. ويُرى أن أفكاره كَانَ لها تأثير كبير على ضباط الجيش الأمريكي إبان الحرب الأهلية الأمريكية. من أشهر كتبه خلاصة فن الحرب.

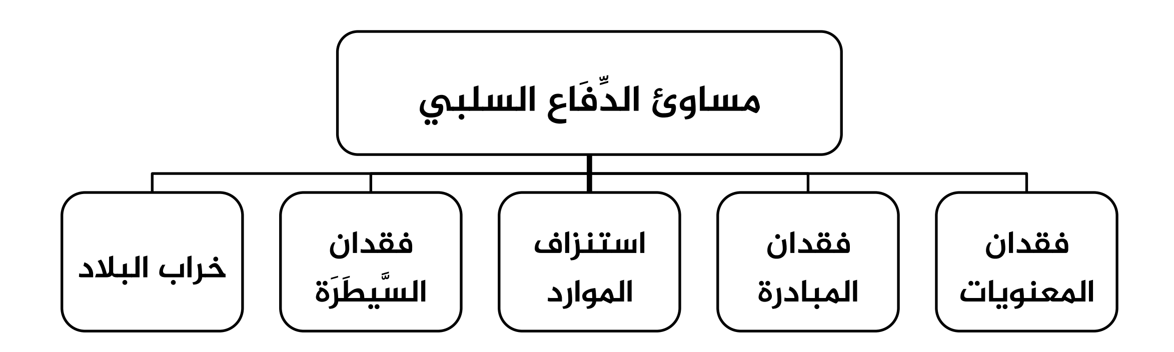
[2] الجنرال بارون دي جوميني: فن الحرب، ترجمة مركز نورس للدراسات، ص 14 بتصرف.

والتدمير بعكس المهاجم الذي جنَّب بلاده أن تكون ساحة معركة، وقد صرَّح بذلك جوميني حَيْثُ قال:

> **"إذا خضنا المعركة في أرض العَدو فإن الفائدة ستكون عظيمةً، حَيْثُ سيحمي هذا أراضي دولتنا من التخريب، كما سيجعل العَدو هو من يتكبَّد تكاليف الحرب، إِضَافَةً إلى ذَلِكَ، سيكون هذا سبباً في رفع معنويات جنودنا، وخفض معنويات جنود العَدو في المقابل".**[1]

والمدافع المطلق، يقع -من حَيْثُ يشعر أو لا يشعر- في دائرة رد الفعل، وفي سياق ردود الأفعال المتواصلة سيخسر خطته وأهدافه الإستراتيجية، في الوقت الذي سيصبح فيه تحركُه جزءاً من خطة المهاجم الذي سيكون متميزاً عنه بحرية اختيار وقت ومكان الضربة، خَاصَةً إذا كَانَت ساحة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة واسعةً جداً. إِضَافَةً لهذا، يكاد يتفق علماء الفن العَسكرِيّ أن الهجوم يقتصد في الموارد والطاقة بينما يستنزفها الدِّفَاع.

لكن يجدُرُ التنبيه أن هَذِهِ السلبيات تكمن في الدِّفَاع السلبي، الدِّفَاع لمجرد الدِّفَاع، وفي هذا المقام يقول كلاوزفيتز: **"نحن نشجب وندين الدِّفَاع المجرد (المطلق أو السلبي) ونعتبره يتعارض مع فكرة الحرب ويُفشِلُ الدِّفَاع الحقيقي".**[2]



[1] الجنرال بارون دي جوميني: فن الحرب، ترجمة مركز نورس للدراسات، ص 14 بتصرف.

[2] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص501

ولتوضيح الفارق بين نوعيه الإيجابي والسلبي، نُورِدُ بعض ما قاله المُنَظِرُ العَسكرِيّ الصيني ماوتسي تونغ عن الدِّفَاع:



"إن الدِّفَاع الإيجابي يسمى أيضاً بالدفاع من أجل الهجوم، أو الدِّفَاع من أجل المعركة الفاصلة، بينما يسمى الدِّفَاع السلبي بالدفاع المطلق أو الدِّفَاع المحض. والدفاع السلبي هو دفاع كاذب في الحقيقة، أمَّا الدِّفَاع الإيجابي فهو وحده الدِّفَاع الحقيقي، الدِّفَاع في سبيل الهجوم المضاد أو الهجوم".[1]

وخلاصة القول، إنَّنَا في هذا البحث نُؤَصِّلُ للدفاع الإيجابي أو كما يسميه ماو "**الشكل الأقوى للحرب**"[2]، وقد أساء العديد من القرَّاء فهم كلام كلاوزفيتز في كتابه "عن الحرب" حول مزايا الدِّفَاع، وظنوا أنه يُثْني على الدِّفَاع السلبي الذي لا ينوي صاحبه أن يستخدمه لتحقيق أهداف هُجُومِيَّة، وفي هذا مغالطة للمعنى الذي أراده المؤلف.

يعتقد كلاوزفيتز أن المدافع في حربه الدِّفَاعِيَّة يبقى منتظراً المهاجم ليأتي إليه، وإن هذا الانتظار هو في صالح المدافع حَيْثُ يُكسبه الوقت لإعداد نفسه، بينما لا يعمل الزَّمَن لصالح المهاجم لأنه يستنزفه، والمدافع يُهيئُ الأرض لصالحه ويختار موضع المعركة الدِّفَاعِيَّة، فيحصل على كامل فوائد الأرض (التَّضَارِيس الحاكمة) مقارنة بالمهاجم، مع قدرته على تحقيق المباغتة أكثر من المهاجم المكشوف المتحرك، وبهذا ينالُ الدِّفَاعُ فائدةً أكبرَ من الهجوم في تحقيق المباغتة والهجوم التطويقي.[3]

---

[1] ماوتسي تونغ: ست مقالات عسكرية، ص302، مقالة قضايا الإستراتيجية في الحرب الثَّوريَّة الصينية

[2] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص503

[3] مستوحاة من كتاب عن الحرب، لكارل فون كلاوزفيتز، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص505

وانطلاقاً من العبارة الأخيرة، نفهم أن كلاوزفيتز يعتقد أن الدِّفَاع في الفن العَسكرِيّ ليس إلا مرحلة تمهيدية للهجوم، وقد عبَّر عن هذا المعنى في كتابه فن الحرب بهذه العبارة المقتضبة والمعبِّرة: "**فكرة الانتقام أساسيَّةٌ في كل دفاع**".[1] ويقول في موضع آخر:

> **"من الضروري تقبل التحول إلى الهجوم المقابل (بعد الدِّفَاع الناجح) على أنه ميلٌ أو توجهٌ متأصِّلٌ وكامنٌ في الدِّفَاع، وفي الحقيقة كإحدى سماته الأساسية. وحيثما يتحقق انتصار بواسطة الشكل الدفاعي، فليس مما ينسجم مع الحسابات العَسكَرِيَّة أن يترك هذا الانتصار دونما استفادة".**[2]

بل يذهب كلاوزفيتز إلى أبعد من هذا عندما يقول: "**على الرغم من هَذِهِ القوة (التي تكمن في الدِّفَاع الإيجابي) فإن هدفه سلبي، لذا ينبغي اللجوء إليه بالقدر الذي يُحتِمهُ علينا الضعف وأن نتخلى عنه ونحن أقوياء**".[3] أي أنه في الحقيقة يفضل الاستمرار في الهجوم على اللجوء إلى الدِّفَاع إلا إذا حتمت علينا الضَّرورَة العَسكَرِيَّة ذَلِكَ.

وانطلاقاً من كل ما ذكرناه سابقاً من حديث منظِّري الحرب، ليس الدِّفَاع في الحقيقة إلا الخطوة الأولى للهجوم، والمدافعُ رغم أنَّ الظاهر عليه هو تلقي الضربات وأحياناً التراجع، إلا أنه في الحقيقة يفعل ذَلِكَ من باب استيعاب الصدمة أولاً، ثُمَّ استغلالُها لهزيمة خصمه ثانياً.

---

[1] المصدر نفسه، ص528

[2] المصدر نفسه، بتصرف يسير، ص517

[3] المصدر نفسه، ص503

الباب الثاني: مبادئ الدِّفَاع

"أكثر الأخطاء شراً أن تفترض بأن المعركة الدِّفَاعِيَّة تُعنى فقط بصدِّ العَدو".[1] (كارل فون كلاوزفيتز)

تكاد تتفق المراجع التي تناولت العلوم الحربية على مجموعة من المبادئ[2] ينبغي أن تتوفر في العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة، وفيما يلي سنذكر المبادئ التي تختص بالدفاع دُونَ غيره، لأنَّ هذا هو موضوع بحثنا، وسنشرح كل مبدأ على حِداً، فنذكر مفهومه وأهميته وفوائده في الحرب بِشَكلٍ عام، ثُمَّ أهميته وفوائده في الحروب الثَّورِيَّة بِشَكلٍ خاص، إِضَافَةً إلى التدليل على كل مبدأ بعملية عسكرية واقعية تمَّ توثيقها في إحدى الحروب السابقة.



الشكل (1): مبادئ الدِّفَاع في الحروب

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص 547

[2] المبدأ هو القانون أو هو الأساس الذي تقوم عليه العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة.

المبدأ الأول: التَّأمِين

يُطلَقُ مبدأُ التَّأمِين على كافة الإجراءات التي تضمن تحقيق المباغتة في صفوف العَدو أو عدم تحققها بحقنا من قبله أيضاً، كما تدخلُ فيها جميع الأعمال التي تحفظ حرية العمل والحركة بالنسبة للصديق.

وتستهدف عَمَلِيَّات التَّأمِين:[1]

1. إرباك العَدو حول مكان مواقع المعركة الرَّئِيسيَّة.
2. منع العَدو من مراقبة المواقع الصَّديقَة وتحضيراتها.
3. منع العَدو من إطلاق النَّار على المواقع التي يراقبها.
4. كما تحاول إجبار القوات المهاجِمة على الانتشار والهجوم قبل اكتمال التجهيزات.

يُمكِنُ للمدافعين معاوضة تفوق المهاجم الذي كَانَ سيحققه بعامل المبادرة من حَيْثُ (الزَّمَن والمكان والخطة والاتجاه والقوة وتشكيلات قواته) من خلال إجبار العَدو على الاندفاع للهجوم مَعْمِياً نحو مواقع الدِّفَاع المُعدّةِ مسبقاً، لذا يَجِبُ على القائد منع مَعَدَّاتِ الاستطلاع والمراقبة لدى العَدو من التحديد الدقيق لمواقع القوات الدِّفَاعِيَّة والعوائق ومناطق الاشتباكات وقوات الاحتياط.

خلال عَمَلِيَّات التَّأمِين:

أولاً: تُجري القوات المدافعة استطلاعاً لتكون على اطلاع مستمر على أوضاع العَدو.

ثانياً: تؤَسِس كل القوة المدافعة بطبيعة الحال منطقةَ تأمين قُبَالَةَ منطقة معركتها الرَّئِيسيَّة. وتُجري كافة الوحداتِ عَمَلِيَّات تأمين ضِمْنَ منطقة عملياتها، بما في ذَلِكَ منطقة المؤخّرة، لردع استطلاع العَدو والقوات الأخرى أو قتلها.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-43 and 8-44.

وتُنفِّذُ الوحداتُ إجراءات تأمين العَمَلِيَّات والعمليات الدِّفَاعِيَّة المعلوماتية الأخرى لحرمان العَدو من المعلومات حول توجُّهات القوات الصَّديقَة.

كما يستعمل القائد عَمَلِيَّات التَّأمين لتشويش العَدو ومنعه من معرفة مواقع القتال الرَّئِيسيَّة للمدافعين، ولمنع العَدو أيضاً من مراقبة استعدادات المدافعين ومواقعهم، وإفقاده القدرة على إيصال نيران مصحَحَة تجاه مواقع المدافعين.

وعملاً بهذا المبدأ، على قائد الدِّفَاع أن يسعى إلى منع وصول قوات العَدو الاستطلاعية والرصدية إلى التحديد الدقيق لمواقع وقوة المدافعين وعوائقهم ومناطق الاشتباك والاحتياط.

وخلاصة العوامل التي تحقق هذا المبدأ:

1. تفعيل الاستطلاع الميداني والجوي لكشف تَحَرُّكَات العَدو.
2. تفعيل العمل الاستخباري للوصول إلى خُطَطِ العَدو.
3. مكافحة التجسس ومحاولات الاختراق للحفاظ على معلومات القوات الصَّديقَة.
4. الاستفادة القصوى من التَّضَارِيس الوعرة للتمويه والإخفاء.
5. التَّحصين الأرضي عبر الأنفاق والخنادق والملاجئ والحفر...إلخ.



6. التَّمَاس المتواصل والبحث عن استطلاع العَدو وتدميره أو على الأقل تعطيله.
7. الاستفادة القصوى من قدرات التشويش لتضليل العَدو والتشفير لحماية المعلومات.

و الجدير بالذكر أن تطبيق هذا المبدأ يُعَدُّ أمراً حاسماً في الحرب الثَّوريَّة، لأنَّ الهدف العَسكرِيّ للثوارِ خلال جميع المراحل الثَّوريَّة سيكون "تحقيق أكبر خسارة في صفوف العَدو بأقل خسارة في صفوف الثُّوار"، ودون هذا فإنهم سيتعرضون للإبادة السَّرِيعَة.

إن تقليل الخسارة في صفوف الثُّوار لا يمكن أن يتحقق أبداً دُونَ تطبيق كامل وفعَّال لهذا المبدأ.[1]

مثال واقعي عن هذا المبدأ:

في كتاب "الجانب الآخر من الجبل"، الذي يتحدث عن تكتيكات المجاهدين الأفغان ضد الاتحاد السوفياتي، وَرَدَت رواية مهمةٌ تدل على أهمية عَمَلِيَّات التَّأمين التي تساهم في كشف تقدم العَدو أو حركته الاستطلاعية، حَيْثُ تَمَكَنَ الثُّوار الأفغان في هَذِهِ العَمَلِيَّة من كشف كمينٍ للسوفييت كَانَ سيفتك بهم، ورغم أن كشف الكمين لم يكن مخططاً لَهُ (كَانَ حظاً)، إلا أن نجاة الثُّوار بفضل هذا دلَّ على ضرورة دور مبدأ التَّأمين لضمان سلامة القوات الصَّديقَة، وفي نفس العَمَلِيَّة أيضاً أدى فشل نفس المجموعة من الثُّوار في تأمين طريقهم إلى الوقوع في كمين ثانٍ للسوفييت، مما تسبب في خسائر فادحة بين صفوف الثُّوار.

يقول المولوي محيي الدين البلوشي:

"في عامِ ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثة وثمانين، صادفَ وقتَها أنْ كُنَّا في شهرِ رمضان، وكُنَّا مُتَّجهين من قاعدتِنا في قلعةِ "ناو" نحوَ "كوتالاك" للتزود بالوقود. والجديرُ بالذِّكرِ أنَّنا كُنَّا نشتري مادةَ البنزين من السُّوفييت أنفسِهِم، وكانُوا هم مصدرَنا الرَّئيسيَّ لتحصيلِ مادَّة الوقود. كَانَت نقطةُ لقائِنا معَهم لاستلامِ البنزين شمالَ كوتولاك، فغادرْنا بعدَ الظُّهرِ مباشرةً، وقُدْنَا سيَّارتَنا بِمُحاذاةِ النَّهرِ مُتَجنِّبين الطُّرُقَ الرَّئِيسيَّة (خريطة 12-1-كوتولاك)، كما كَانَ معنا

[1] مركز الخطابي للدراسات: الخطابي ملهم الثَّورات المسلحة، الطبعة الأولى، ص197.

في الشَّاحنة شخصٌ من بدوِ الكوخي[1] كَانَ قد زارَنا في قاعدتِنا، فَقُمنا بحملِهِ معنا لنعيدَه إلى مخيِّمِ قريتِه.

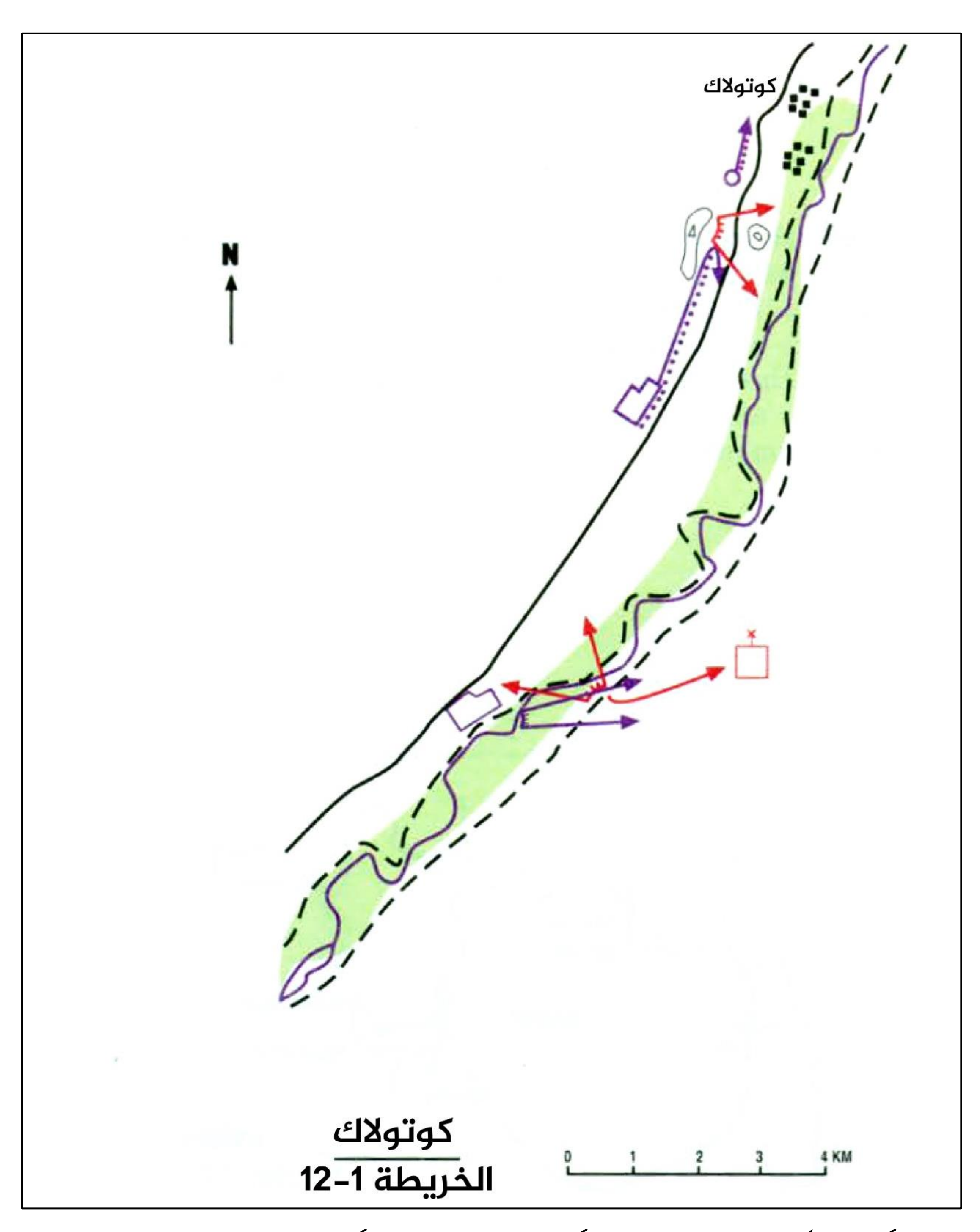
حينما بلغْنا مسافةَ عشرَ كيلومتراتٍ جنوبَ كوتولاك، رأينا مخيَّمَ البدويِّ قربَ النَّهر، فتوقَّفْنا لكي ينزلَ صاحبُنا، ولننتظرَ أيضا حلولَ الظَّلام، حَيْثُ كُنَّا بعيدين مسافةَ خمسين كيلومتراً من قاعدةٍ سوفييتيةٍ في "ديلارام"، ولا ينبغي أن نقتربَ أكثرَ من هذا القدرِ في وَضَحِ النَّهار. راقبْنا البدويَّ الكوخي بينما كَانَ يدخلُ غابةً تَبعدُ عنَّا ما بينَ خمسمئة إلى ستمئة مترٍ في طريقِه لمخيَّمه. وفجْأةً، رأيْنا بعضَ الأشخاصِ يهاجمونَه ويجرُّونَه جانباً، لم نكن نعرفُ ما يحدثُ، وَحَسِبْناه خلافاً بينَ بدوِ الكوخيين.

صَرَخْنا: "ما الذي يجري؟ "، فلم يردُّوا علينا، فما كَانَ مِنَّا إلا أن رمينْا رصاصاتٍ في الهواء، وهنا فَطِنَ أولئكَ القوم وعلمُوا أنَّهم قد كُشِفوا من قِبَلِنا فبدؤُوا برمي النِّيران علينا.

تبادلْنا معَهم إطلاقَ النِّيرانِ لِمُدَّةِ نصفِ ساعةٍ حَتَّى جاءَتِ المروحيَّاتُ وهبطَت خلفَ منطقةِ الغابة، فصعدُوا فيها وغادرُوا بعيداً، وقد حدثَ هذا الأمرُ آخرَ الظَّهيرة.

لقد تبيَّن لنا أنَّنَا استفزَزْنا كميناً للسُّوفييت عن غيرِ قصدٍ وبشكلٍ مبكِّر، حَيْثُ كُنَّا على ضفَّةِ نهرِ خاش الغربية، بينما كَانَت قوَّةُ الكمينِ على ضفَّتِهِ الشَّرقية. وقد كَانَت دائِماً كمائنُ السُّوفييت أفضلَ إعداداً وتخطيطاً من كمائنِ الجيشِ الأفغانيِّ، حَيْثُ كَانَ السُّوفييت يُنزلونَ مجموعةَ الكمين عبرَ المروحيَّات ليلاً، لكي تتحرَّك المجموعةُ إلى موقعِ الكمينِ مَشياً على الأقدام فلا يتمّ كشفُها. والراجحُ أنَّ هَذِهِ المجموعةَ التي كشفْناها بالصُّدفة كَانَت على الأغلبِ منْ "ديلارام"، ومن المُرجَّح أيضاً أنَّهم قد انتقلُوا إلى موقعِهم في الغابةِ اللَّيلةِ السَّابقة. لقد خنقَ السُّوفييت البدويَّ الكوخي الذي كَانَ معنا، وقتلُوا كوخيَّاً آخرَ بالطريقةِ ذاتِها قبلَ هذا الحدث.

[1] الكوخي هم من بدو أفغانستان، وكانوا يعيشون من الرعي وتجارة الأغنام والمعز والجمال.



كوتولاك
الخريطة 1-12

كَانَ النَّهر ضَحْلاً، وبعدَ إقلاعِ المروحيَّةِ ومغادرتِها، عَبَرنا النَّهرَ للعثورِ على موقعِ الكمين، فعثَرَ القرويُّون على جُثَّتين لكوخيين مقتولين، ثُمَّ عُدنا وعبرْنا إلى الضِّفَّةِ الغربيَّة، وصعدْنا إلى شاحنتِنا، وسِرْنا في الطَّريق إلى كوتالاك لأنَّ الليل قد حَلَّ، وعلى بُعدِ كيلومترين جنوبَ كوتولاك، كَانَ السُّوفييت قد نصبُوا كميناً آخرَ في بعضِ التِّلالِ المُطلَّةِ على الطَّريق.

كنّا نتحرَّكُ ضِمْنَ مناطقِ العَدو، فاعتقدْتُ بأنَّ الطَّريقَ خَطِرٌ، فتوقَّفْنا قبلَ التِّلال، وأرسلت سبعةً من رجالي سيراً على الأقدام طوالَ الطَّريقِ وُصولاً إلى الجانبِ الآخر من التِّلال للبحثِ إن كَانَ هُنَاكَ كمينٌ ما، فإنَّ لم يروا شيئاً، سِرنا بشاحنتِنا إلى الأمام، بينما بقيَ معي ثمانيةُ مجاهدين؛ ثلاثةٌ منهم راكبونَ في الأمامِ بمقصورةِ القيادة، والخمسةُ البقيَّةُ يركبونَ حوضَ الشَّاحنةِ الخلفيَّة. عبرَ الرِّجالُ السَّبعةُ عبرَ التِّلال وفحصُوا المنطقةَ فلم يجدُوا كميناً، وهنا أرسلُوا لنا إشارةً بصاروخ الإشارةِ بأنَّ الطَّريقَ سَالك.

تَرَكَت مجموعةُ الكمينِ السُّوفييتيَّةِ المُشاةَ السَّبعةَ يعبرونَ من دُونَ مضايقتِهم، أمَّا نحنُ فعندما رأينا صاروخَ الإشارة سِرنا مُطمئنين. وفجْأةً، وكأنَّ شخصاً ما أضرمَ النَّار فينا، كنَّا قد دخلْنا منطقةَ قتلِ الكمين، فتطايَرَت الرَّصاصاتُ من حولِنا، وقُتِل رجلان في حوضِ الشَّاحنة، بينما قُتل آخرٌ يجلسُ بجانبي في مقصورةِ السَّيارة، كما جُرِح السَّائقُ في كتفِه، وأُصيبت إحدى عجلاتِ الشَّاحنة.

حوَّلَ السَّائقُ غيارَ السَّيَّارةِ (ناقل الحركة) إلى الرُّجوع، وحاولَ الخروجَ بالسَّيَّارةِ من منطقةِ القتل، فسارَ بالشَّاحنةِ ليحتميَ خلفَ تلَّةٍ صغيرةٍ، ثُمَّ وقفَ عندها.

كَانَت الحصيلةُ مقتلَ ثلاثة منَّا وإصابةَ اثنينِ آخرين. بدَّلنا الإطارَ التالفَ وغادَرنا المنطقةَ في الظَّلام، أمَّا المُشاةُ السَّبعةُ الذين تقدَّمُونا، فقد أكملُوا طَريقَهم إلى كوتولاك، ثُمَّ عادُوا بعدَ ذَلِكَ فُرادَى إلى قاعدتي. والجديرُ بالذِّكر أيضاً أنَّه حينما رجعتِ السَّيارة للوراءِ للخروجِ من منطقةِ القتل، سقطَ أحدُ قتلانا من حوضِ الشَّاحنة، فعُدنا في اليومِ التَّالي لنسترجعَ جُثَّتَه، فاكتشفْنا بأنَّها كَانَت مُلغَّمة. رمينْا حَبلاً عليها ورَبطْناه بجُثَّتِه، ثُمَّ سحبْناها لمسافةٍ قصيرة، وحملْنا بعدها جثَّةَ رفيقنا بسلامٍ إلى منزلِه لندفنَها".[1]

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، الفصل 12 المقالة 1.

التَّعليق على العَمَليَّة:

"في موقعِ الكمينِ الأوَّل، فشلَ السُّوفييت في وضعِ مُراقبين على الجوانب، وهذا ما جعلَهم يفُاجؤُون بالمجاهدين وهُم في شاحنتِهم الواقفة، وقد تَسبَّبَ هذا الفشلُ في كشفِ كَمينهم.

أمَّا في الكمينِ الثَّاني، فقد مَشت طليعةُ المجاهدين (السبعة) حولَ التِّلال، ولم يسيروا على سفحِها حَيْثُ كَانَ موقعُ عناصرِ الكمين. ومن دهاءِ قوَّاتِ الكمين أنَّها تركَتِ الطَّليعةَ تعبرُ بسلام لتركِّزَ على الشَّاحنة.

بعدَ الكمينِ الأوَّل، علِمَ السُّوفييت بأنَّ المجاهدين ينوونَ التَّحرُّك شمالاً. أمَّا بالنِّسبةِ للمجاهدين فقد كَانَ من الواضحِ أيضاً لهم بأنَّ السُّوفييت كانُوا في المنطقة، ومع ذَلِكَ لم يتَّصِلُوا بمجموعاتِ المُجاهدين المَحليَّة للتَّأكُّدِ من نشاطاتِ القوَّاتِ السُّوفييتيَّةِ والأفغانيَّةِ في المنطقة، حَيْثُ مَنعَتِ الطَّبيعةُ الفصائليَّةُ للمقاومةِ الأفغانيَّةِ من تبادلِ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ التَّكتيكِيَّة.

ولعلَّ هذا الأمرَ -لو حصل- لكانَ سيحمي المجاهدين من الوقوعِ في هَذِهِ الكارثة."[1]

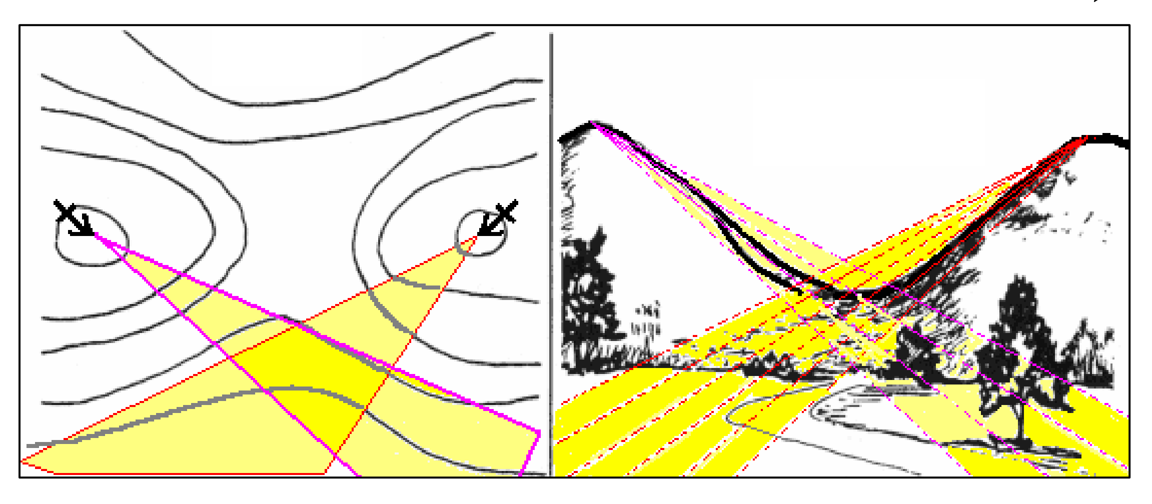
---

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، الفصل 12 المقالة 1.

المبدأ الثاني: الإسناد المتبادل

يتحقق الإسناد المتبادل بين المواقع حين تُسنِدُ كل وحدةٍ وموقعٍ الوحدات والمواقع الأخرى بالنيران المباشرة وغير المباشرة والقاتلة وغير القاتلة، بما يمنع العَدو من مهاجمة موقعٍ من دُونَ التعرض لنيران موقعٍ أو مواقع أخرى مجاورة.

والإسناد المتبادل يزيد من قوة جميع المواقع الدِّفَاعِيَّة، ويمنع العَدو من تقسيمها وهزيمة كلٍ منها على حدة، كما يمنع العَدو من القيام بتسلل من بينها.



تحقق المواقع التَّكتيكِيَّة أعلى درجات الإسناد المتبادلة بينها إذا ما تمت مراقبة الأرض بينها أو إجراء دوريات لمنع تسلل العَدو وقامت بتدريبٍ مسبقٍ على هذا الإسناد.

وفي الحالات التي تكون فيها الرؤية صعبة بسبب العوامل المناخية أو الجغرافية أو ظلام الليل، يمكن للقائد أن يقارب فيما بين هَذِهِ الوحدات التَّكتيكِيَّة الصغيرة، للحفاظ على ميزة الإسناد المتبادل في ظل تلك الظُّروف. وعلى قادة الوحدات أن ينسقوا بينهم خلال الإسناد المتبادل من حَيْثُ طبيعته أو مداه.[1]

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-46.

للحصول على دفاع مترابط، يُفضَلُ أن تُغطِي نيرانُ كلُ وحدةٍ فرعيةٍ واجهةَ وحدةٍ فرعيةٍ أخرى، إلا أن هذا لا يمكن تحقيقه دائماً بسبب طبيعة الأرض، والواجبات المحتملة. وتُعتبر الوحدات الفرعية في إسناد متبادل إذا كَانَت الفجوات بينها مغطاةً بالنار المباشرةِ لكل واحدة منها، بحيث لا يستطيع العَدو إذا اخترق الفجوات أن يقوم بالهجوم على وحدة دُونَ أن يكون معرضاً لتدخل وحدة أخرى بِشَكلٍ فعَّال.

مثال واقعي عن هذا المبدأ:

لقد حقق مقاتلو طالبان دفاعاً جيداً عن شيوان في ولاية فراه، أغسطس عام ألفين وثمانية، وذلك بما وظفوه من المواقع المتساندة بالتبادل، في مواجهة اقتحام مجموعتَي مارينز أمريكي للقرية ضِمْنَ معركةٍ استمرت ثماني ساعات، إلى أن جاء الإسناد الجوي لينهي الاشتباك.

"ففي صباح الثامن من أغسطس عام ألفين وثمانية، قامت فصيلتان أمريكيتان بالذهاب إلى شيوان لتطهير المدينة من الثُّوار. وفي حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة صباحاً، وصل جنود المارينز إلى شيوان دُونَ حدوث أيّ شيءٍ، وبدؤوا بتسيير دوريات في البلدة. انتشرت الفصيلة في تشكيل متعرج، نصف أفرادها كَانَ على الشاحنات أمَّا البقية فقد كانوا مشاة على الأقدام خلف المركبات. قامت ببعث دوريات انطلاقاً من شرق القرية نحو غربها، وتحرك قِسمٌ منها خلال مباني المدينة، بينما تحرك القسم الآخر على طول خط الأشجار، وقد بقي قسمان كاحتياطٍ بالقرب من الطريق السريع جنوب القرية.

كَانَت هُنَاكَ نساء وأطفال بالجوار، إلا أن معظم المتاجر كَانَت مغلقة. وفي الوهلة الأولى، بدا أن ثوارُ المنطقة قد فضلوا الانسحاب أمام هَذِهِ القوة الكبيرة، ولم تتوقع الفصيلة أن يقع قتالٌ يُذكَر. لكن ما لم يعرفه مشاة البحرية هو أن أكثر من مئةِ مقاتل للعدو وعددٌ من قادة طالبان رفيعي المستوى قد كانوا في البلدة ذَلِكَ الصباح. بالإضافة إلى ذَلِكَ، كَانَ هُنَاكَ المزيد من الثُّوار المتمركزين حول محيط المنطقة، كما كَانَ للمسلحين العديد من مواقع إطلاق النَّار الجاهزة في خندق عميق مغطى بخط طويل من الأشجار، وفي العديد من المباني داخل البلدة أيضاً.

كَانَت خطتهم استدراج قوات المارينز إلى كمين في الطرف الغربي من شيوان، وكان قادة طالبان يتمركزون في مجموعة من المباني شمال المدينة، على بعد مسافةٍ معينةٍ من الكمين المخطط لَهُ.

وفي حوالي الساعة الحادية عشْرَة وخمسٍ وأربعين دقيقةً صباحاً، قام فريق صغير من الثُّوار بإطلاق العديد من قذائف الآر بي جي ووابلٍ من نيران رشاشات الـ PK مستهدفين عربات الفصيلة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من بلدة شيوان، فقام رجال المارينز المشاة الذين كانوا خلف العربات بالمناورة حول الثُّوار وقتلهم أثناء محاولتهم الفرار إلى الغرب، ثُمَّ بدأ المدنيون بالفرار من المدينة غرباً.

وفي الساعة الحادية عشْرَة وخمسٍ وخمسين دقيقةً صباحاً، أطلقت مجموعة أخرى من الثُّوار النَّار على الدورية ثُمَّ لاذت بالفرار نحو الغرب، ومباشرة أدرك جنود البحرية أن هَذِهِ كَانَت محاولة لاستدراج الفصيلة إلى كمين مُعَدٍّ مسبقاً، فاقتصروا على رد النيران، ولم يقوموا بملاحقة العَدو، بل أكملوا تجوالهم ببطء في البلدة.

في حوالي الساعة الواحدة ظهراً، وبينما كَانَت تتحرك غرباً ببطء، تعرّضت الفصيلة لقذائف الآر بي جي ونيران الأسلحة الصغيرة، فترجل على أثرها عن العربات فريقٌ مكونٌ من ستة جنود مارينز، وشنوا هجوماً مضاداً نحو الشمال، ثُمَّ أكمل الفريق تحركه لمسافة أربعين متراً، غير أنه تعرض لإطلاق نارٍ كثيف من قرابة ثلاثين ثائراً متمركزين شمالاً في موقعين على الأقل، مُخَصصَيْنِ للمدافع الرشاشة، وهو ما جعل جنود المارينز يقفزون نحو ساقيةٍ جافةٍ قريبةٍ، وهناك تمَّ تثبيتهم من قبل الثُّوار.

تحركت ثلاثٌ من عربات الفصيلة غرباً من أجل إسكات بعض نيران العَدو المُسَلّطةِ على مشاة البحرية المختبئين في الساقية، فأطلق ضدها الثُّوار المختبئون في خط الأشجار إلى الشمال وابلاً من قذائف الآر بي جي، مما أسفر عن تدمير إحدى عربات الهمفي وإشعالها.

وعند خروج الجنود من العربة المحترقة، تعرضوا لنيران الرشاشات الثقيلة، غير أنهم تمكنوا أخيراً من الخروج بفضل رامي العربة الذي قام بالتغطية عليهم وإسكات الثُّوار، من خلال

الرمي تجاه المسلحين -لمدة دقيقة تقريباً- انطلاقاً من برج العربة، وقد تمكن الأخير أيضاً من الخروج بسلام.

أطلق مقاتلو العَدو النيران انطلاقاً من مواقعَ إضافيةٍ واقعةٍ على طول الجزء الغربي من الخندق (كَانَ عمق الخندق يصل أحياناً إلى سبعة أقدام)، كما هرع المزيد من الثُّوار إلى خط الأشجار على طول الخندق انطلاقا من البلدة. وبحلول هذا الوقت، كَانَ هُنَاكَ أكثر من مئةِ مجاهدٍ يطلقون النَّار على الدورية انطلاقاً من اثني عشَر إلى ستةَ عشَرَ موقعاً منفصلاً.

كَانَ المارينز الذين خرجوا من الهمفي المدمرة يتمركزون في أرضٍ مكشوفةٍ، وتم تثبيتهم خلف رابية (أكمة) [1] صغيرة من التراب التي لم توفر لهم سوى ساتر صغير. أمَّا بالنسبة للعربة الثانية فقد كَانَ أفرادها أيضاً تحت نيرانٍ كثيفةٍ. وفي غضون ذَلِكَ، بقيت المجموعة الأخرى التي بالساقية مثبتةً على الطرف الشرقي من الخندق على بعد مئات الأمتار.





رابية (أكمة)

تحركت عربة همفي أخرى في الأرض المكشوفة من أجل إنقاذ جنود المارينز المثبتين فيها قرب عربتهم المدمرة، فأطلق الثُّوار وابلاً من قذائف الآر بي جي على مقدمة العربة، وقد أصابت إحدى هَذِهِ القذائف العجلة الأمامية، بينما أصابت الأخرى الزجاج الأمامي، وبالرغم من ذَلِكَ فإن عربة الهمفي لم تتعطل بالإطلاق، إلا أنها لم تتمكن من الوصول إلى العربة الأولى المحترقة بسبب النيران الكثيفة.

[1] الأكمة: هي كومة من الحصى أو الرمال أو الحطام، أو التلال الصغيرة، وهي شائعةٌ، خَاصَةً إذا كَانَت اصطناعية.

لقد شهدت العشرون دقيقةً التالية قتالًا عنيفًا للغاية، تمَّ خلاله إطلاق ما لا يقل عن ستينَ قذيفةِ آر بي جي، وثلاثة صواريخ من عيار 107 ملم، وأربع قذائف هاون عيار 82 ملم، وقد وقع كل هذا بالقرب من موقع المجموعة.

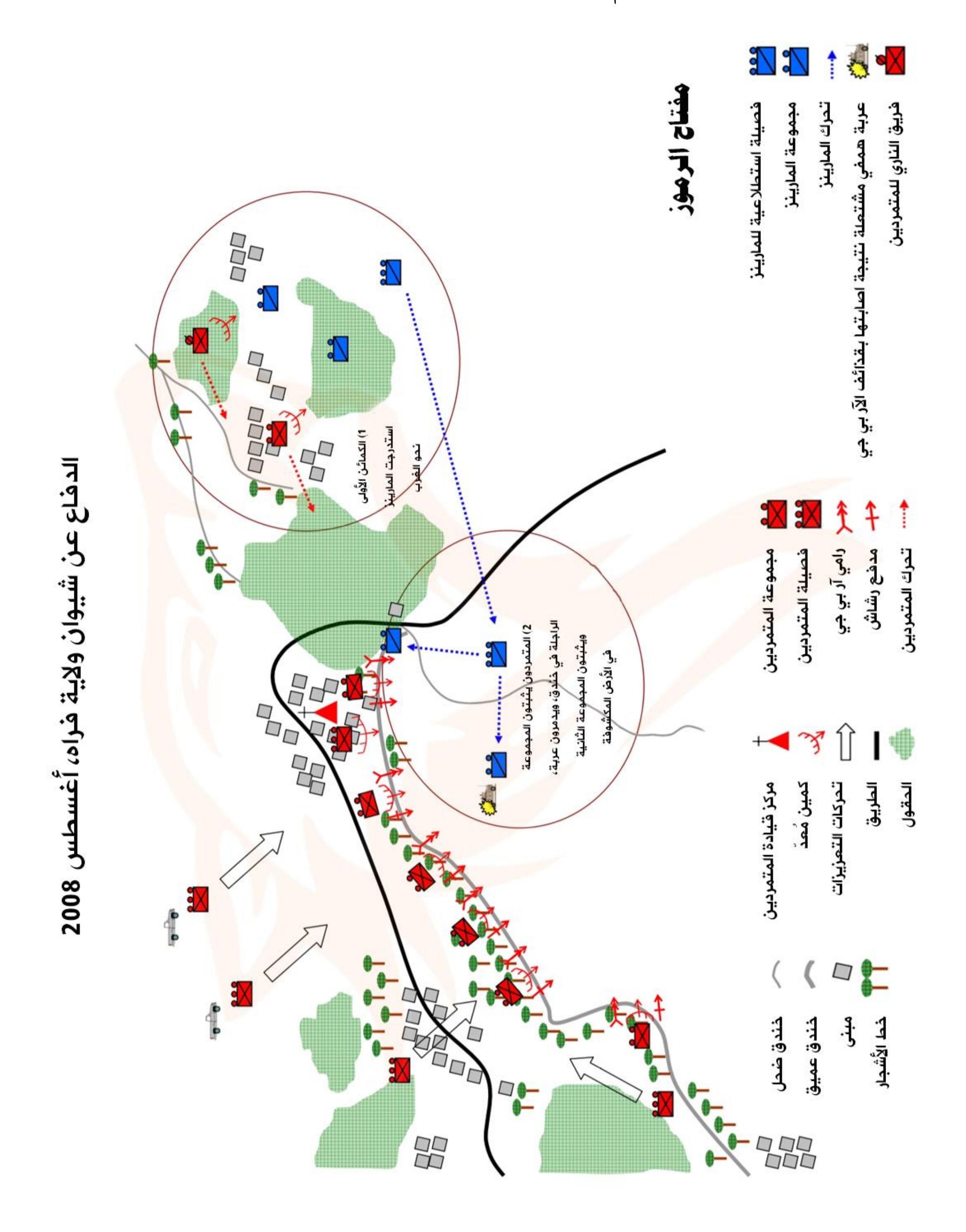
كما أطلق جنود مشاة البحرية النَّار وقتلوا عدداً من عناصر طالبان المتمركزين في الخندق، ولكن لم يكن ذَلِكَ شيئاً يُذْكَرُ ليردعَ بقية قوة العَدو، فقد بقيت نيران العَدو مستمرةً ودقيقةً، وكانت نسبة القوى ثلاثة إلى واحد لصالح طالبان.

توجه الثُّوار من بلدات مجاورة شمالاً باستعمال الشاحنات للانضمام إلى القتال، غير أنهم نزلوا عن مركباتهم بعيداً عن الموقع قرابة أربعمئةِ إلى خمسمئةِ مترٍ، وترجلوا عبر الحقول المفتوحة. كما جاء بعض المقاتلين من مجمّعٍ شمالي، حَيْثُ يقوم عددٌ من قادة طالبان رفيعي المستوى بتنسيق المعركة.

في حوالي الساعة الواحدة والعشرين دقيقةً بعد الظهر -أي بعد قرابة العشرين دقيقةً من إشعال سيارة الهمفي بقذيفة الآر بي جي- وصل الإسناد الجوي، غير أن عدد الأهداف التي يمكن تمييزها بوضوح كَانَ قليلاً، وذلك بسبب كميةِ الغبارِ التي كَانَت حول مواقع الثُّوار.

قامت طائرات التَّحَالُف بتمشيط الجزء الغربي من الخندق وخط الأشجار، ممَّا تسبب في أضرارٍ كبيرة لقوة الثُّوار المحتشدة هُنَاكَ، وإسكات معظم نيرانهم مؤقتاً. وقد نجم عن هذا التمشيط هدوءٌ لمدة دقيقةٍ واحدةٍ، وهو ما كَانَ كافٍ لإنقاذ مشاة البحرية من عربة الهمفي المدمرة باستعمال سيارة مراب MRAP.

وبينما واصلت طائرات التَّحَالُف إطلاق النَّار على مواقع المجاهدين في الخندق، اندفعت المجموعة إلى شرق منطقة القتل، وتمكن كذلك جنود المارينز العالقين في الجزء الشرقي من الخندق من الفرار والانضمام إلى بقية الفصيلة." [1]



---

[1] كارتر مالكاسيان وجيري ميريلي: تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، ص139.

المبدأ الثالث: الدِّفَاع من كافة الجهات.

على الرغم من أن الدِّفَاع قد صُمِمَ مبدئياً لصد هجمات العَدو في الطرق التي يغلب على الظَّنِ اقترابه منها، إلا أنه يَجِبُ اعتبار إمكانية قيام العَدو بهجوم من اتجاه غيرِ متوقعٍ .

لذا ينبغي أن يكون المدافعون قادرين على صد الهجوم المعادي من أي جهة أخرى، سواءً كَانَت من البر أو البحر أو الجو.

يتحقق مبدأ الدِّفَاع من كافة الجهات عبر استخدام قوات الاحتياط أو قوات التَّأمِين بِشَكلٍ فعَّالٍ. وفي الظُّروف التي لا تَسمحُ باستخدامِ عناصرِ الاحتياطِ بالشكل المطلوب لمواجهة التَّهدِيدَاتِ، سواءً بسبب قلة هَذِهِ القوات أو وضع الأرض أو إمكانية التحرك، فإنه لا بد بدايةً من احتلال النقاط الحيوية داخل منطقة الحرب بِشَكلٍ مسبق. وهنا ينبغي أن يُخطِطَ القائدُ دفاعه في جميع الجهات بواسطة التموضع الأولي الجيد لقواته في جميع الجهات، ومن ثُمَّ يستمرُ في إعادة تركيز وتوجيه قواته لتتناسبَ مع الخطة المُعَدَّةِ سلفاً مع إعادة توجيه قوة النَّار المتوفرة لمواجهة أيِّ طارئٍ.[1]

وفي الحرب الثَّوريَّة يعمل الثُّوار خلال تحقيقهم لهذا المبدأ بقاعدة "ما لا يُدرَكُ كُلُهُ لا يُترَكُ جُله"، حَيْثُ قد لا تكون قواتهم كافيةً لفرزِ مجموعاتِ تأمين في كل الاتجاهات، أو توفير احتياط لكل وحدة. فقد يكون من المناسب في هَذِهِ الحالة توزيع مجموعة من المراصد التي لن يكون دورها صد هجمات العَدو بقدر تنبيه قوة الاحتياط المركزية عن تقدمه ونيته واتجاهه، لتقومَ هَذِهِ القوةُ بمعالجة هذا الخرق بتكتيكات الدِّفَاع المتحرك أو التقهقري.

[1] موسوعة التكتيك، الصادرة عن مكتب الخدمات التابع لإمارة أفغانستان الإسلامية، ص94.

مثال واقعي عن هذا المبدأ:

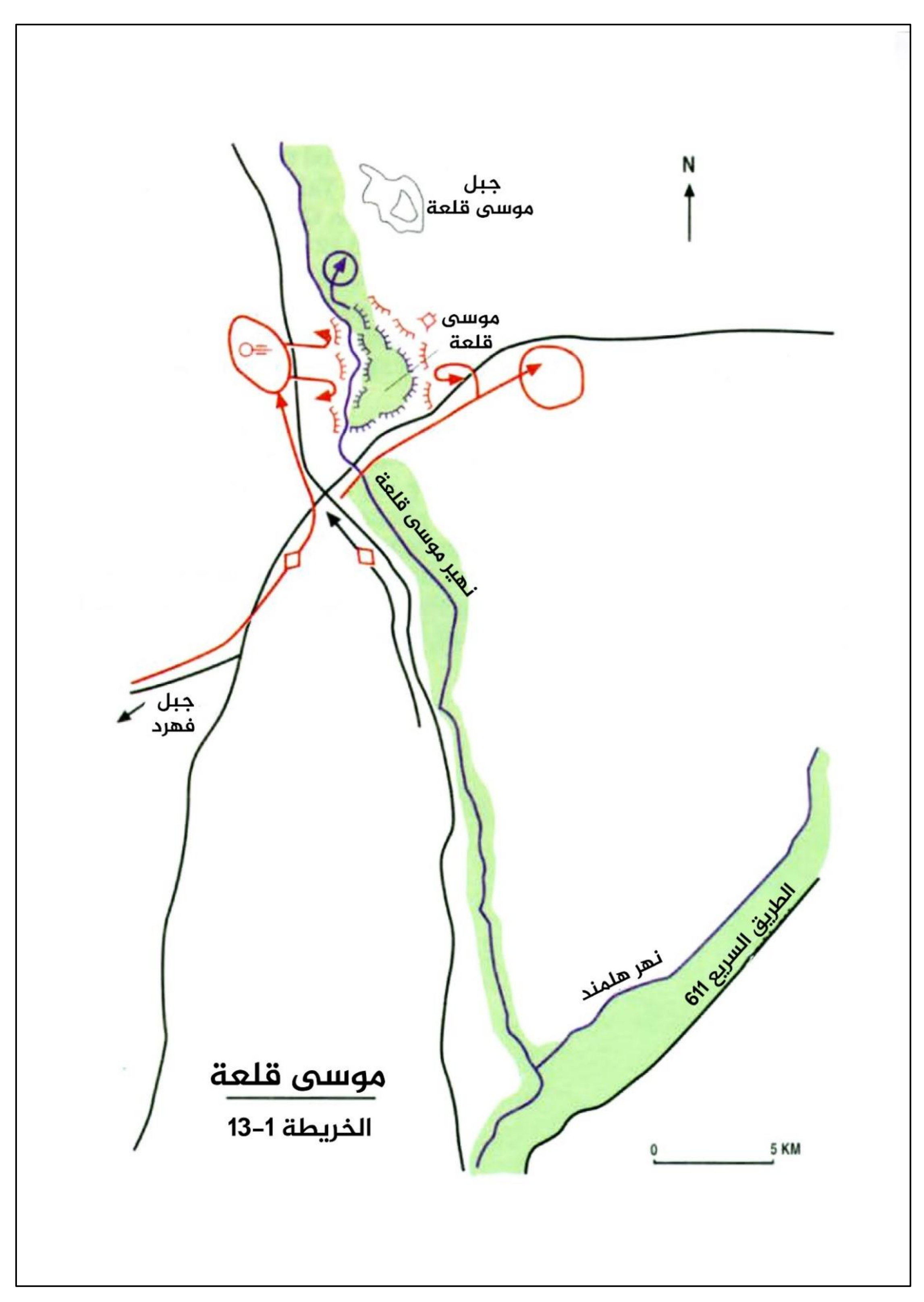
في معركة موسى قلعة بهلمند في شهر حزيران عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثةٍ وثمانين، استخدم المجاهدون الأفغان دفاعاً محيطياً في سبيل التصدي لهجوم السّوفييت الذي حاول السَّيطَرةَ على ولاية هلمند في معركةٍ صعبةٍ استغرقت سبعة أيامٍ اضطرت المجاهدين الأفغان إلى الانسحاب.

يروي القائد الأفغاني "أخند زاده" قصة هَذِهِ المعركة فيقول: "في صيفِ عامِ عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانين، حرَّرنا مديريَّةَ موسى قلعة وأنشَأْنا فيها قواعِدنا. (خريطة 13-1 قلعة) وكانت "موسى قلعة" منطقةً كثيفةَ السُّكانِ والزَّرعِ، مُمتدةً على نُهيرٍ يصبُّ في نهرِ هلمند الرَّئيسي، بينما كَانَ يحيطُ بها سهلٌ صحراويٌّ كبيرٌ.

في شهر حزيران عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثةٍ وثمانين ، شنَّ السُّوفييت هجوماً بهدفِ السَّيطَرَةَ على ولاية هلمند، فبدؤُوا بالهجومِ مِن "غرشك" نحوَ نوزاد شمالاً (إلى الغربِ مِن موسى قلعة)، وهاجمَ رتلُهم مجاهدي الحزبِ الإسلاميِّ (حكمتيار) الذينَ كانُوا في قاعدتِهم في جبلِ "فرهد"، فأرسلَ مجاهدو "موسى قلعة" راجمةً لقصفِ القوَّاتِ السُّوفييتية، وبعدَ أنَّ دمَّرَ السُّوفييت قاعدةَ الحزبِ الإسلامي، أرسلُوا رتلينِ آخرين (أحدهما الذي دمَّر القاعدة) للهجومِ على "موسى قلعة".

توجَّهَ الرَّتلُ الذي دمَّرَ القاعدة باتِّجاهِ الشَّرقِ نحوَنا في "موسى قلعة"، بينما تحرَّكَ الرَّتلُ الثَّاني من غرشك على طولِ الطَّريقِ المُحاذي للنَّهر، واقتربَ نحونا من جهةِ الجنوبِ الغربي، ثُمَّ التقى الرَّتلان معاً فطوَّقَا "موسى قلعة" بالكامل.

أنشأنا دفاعاً مُحيطيّاً (خطاً دفاعيّاً من كلِّ الاتِّجاهات المحيطةِ بنا)، وقاتلْنا سبعةَ أيَّامٍ متواصلةٍ بدايةً من أواخرِ حزيران حَتَّى أوائلِ تموز عام ألفِ وتسعمئةٍ وثلاثةٍ وثمانين ، فسقطَ منَّا أربعمئةٌ واثنان وسبعون قتيلاً، أمَّا المدنيون فقد كَانَت قتلاهم أكثرَ منَّا بكثير، وقد كنتُ وقتَها مسؤولاً عن المُستشفى التي كَانَت تَغُصُ بالجرحى.



موسى قلعة

الخريطة 1-13

وأثناءَ القِتال، وصلتِ الدَّبَّاباتُ السُّوفييتيَّةُ من جهةِ الشَّرقِ حَتَّى صارَت على بُعدِ ثلاثمئة مترٍ جنوبَ المستشفى، وبدأَت بقصفِها فكانَ عليَّ إخلاءُ الجرحى. وأثناءَ الليل، استطْعنا فعلاً الخروجَ ونقلَ المستشفى شمالَ المنطقةِ المُحاصرة. لقد حملْنا الجَرحى باستخدامِ النقَّالات

لمسافةِ خمسمئة مترٍ، حَيْثُ تلقانا بعدَها المجاهدون من جبهَةِ "بغران"، فأرسلُوا لنا شاحناتٍ نقلْنا بها جرحَانا إلى مكانٍ آمن. وبعدَ إخلاءِ الجَرحى عُدتُ إلى موسى قلعة في السَّاعة العاشرة ليلاً، واجتمَعتُ معَ المجلسِ العَسكرِيّ للجبهة، فقرَّرنا الهروبَ من التَّطويق.

في تلكَ الليلة، ساعدَتنا الظُّروف الجوِّيَّةُ على تنفيذِ عمليَّةِ الهروب هَذِهِ؛ فقد كَانَت الرِّياحُ عاصفةً تلقي الرِّمال في الوجوه، كما أخفَى صرصر (ضجيج) الرِّياح وغبارُها تملُّصَنَا من بينِ دبَّابات العَدو. لقد كَانَ داخلَ طوقِ العَدو الكثيرُ من المجاهدين، حَيْثُ أتى العديدُ منهم ليقاتلُوا من مديريَّاتٍ ومناطقَ أخرى، فبلغَ تِعدادُهم قرابةَ الألفي مقاتلٍ، غيرَ أنَّهم استطاعُوا جميعاً الهروبَ أثناءَ الليل. لقد ساعدَ الليلُ والغبارُ بقيَّةَ المدنيين أيضاً على الهروبِ والتَّسلل، وبمجرَّدِ خروجِنا هَدَأتِ الرِّياح، فتكلَّمَ النَّاسُ فيما بعد بأنَّ يدَ الله قد أنجتْهم."[1]

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، المقالة الثانية من الفصل 13.

المبدأ الرابع: المرونة وقابلية الحركة.

يُقصَد بهذا المبدأ: توجيه الحركة والنقل المدروس للقوات والنيران في زمان ومكان مناسبين، بغية وضعها في وضعية متفوقة على العَدو.

واستخدام هذا المبدأ في الخُطَطِ والعمليات ينبغي أن يكون متزامناً مع الاستفادة القصوى من نقاط ضعف العَدو، وبهذا ترتفع حظوظ نجاح المناورة المنفذة. ويعني هذا أن التنفيذ الناجح للمناورة لَهُ علاقةٌ قويةٌ، بالاستفادة من نقاط ضعف العَدو (عدم معرفته بالأرض، حاجته لطرق الإمداد، جهله بتكتيكات العصابات، انفصاله عن الشعب...إلخ).

وتشكل الحركة الجوهر الرئيس لأصل المناورة، وكُلَّمَا كَانَت ظروف التَّحَرُك متاحةً أكثر كُلَّما تضاعفت قدرة المناورة. لهذا يَجِبُ على القائد أن يكون لديه معرفةٌ تامةٌ بقدراته وإمكاناته الدَّاخليَّة والخارجية وكيفية الاستفادة منها ليتمكن من تطبيق هذا المبدأ بالشكل المطلوب.

أمَّا المرونة فيُضِيفُها القادةُ على خططهم بتحديد مواقعَ بديلةٍ، وطرقِ مواصلاتٍ متنوعةٍ، وقواتِ احتياطٍ مدربةٍ على الحركة، وتصميمِ خططِ الهجوم المضاد والاستعداد لها.

ومن العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة التي تحتاج فيها الوحدات للمرونة وقابلية الحركة بِشَكلٍ خاص هي عَمَلِيَّات التراجع، حَيْثُ يَجِبُ أن تتوفر خلال هَذِهِ العَمَلِيَّات لدى القوةِ المدافعةِ مرونةٌ تعبويةٌ مساويةٌ أو أكبرُ من الخطرِ الذي يُهَدِدُها، مما سيضمن لها النجاح في عملية التراجع.

ويَعتمِدُ مبدأُ الحركةِ بِشَكلٍ أساسيّ على قدرة قوات الدِّفَاع على تطبيق إجراءات البقاء على قيد الحياة من خلال:

1. التخفي.
2. والخداع.
3. والتفرُّق.
4. والتحصينات الميدانية.

وتَشمُلُ مهام البقاء على قيد الحياة استخدام المعدات الهندسيَّة للمساعدة على إعداد وحفر الخنادق وبناء ملاجئ القيادة ومرابض المدفعية ومواقع نيران المركبات القِتَالِيَّة. فينبغي على القائد أن يُقدِّمَ لأتباعه إرشاداتٍ واضحةٍ حول مستوى الحماية مثل التَّحصينات الأولية أو التغطية الأمامية، كما يَجِبُ عليه حماية مخازن الإمدادات من التفجيرات والشظايا والحرائق والتلوُّث بأسلحة الدمار الشامل.

يُمكِنُ حماية الإمدادات والقوات من أي شيء تقريباً إلا من ضربةٍ مباشرةٍ، وذلك عبر إنشاء سواترَ كبيرةٍ بما فيها الكفاية لاستيعاب المركبات، وعميقة بما فيها الكفاية لإبقاء الإمدادات تحت مستوى سطح الأرض. وتشمل إجراءات التمويه التي توفِّر هَذِهِ الحماية إنشاء مواقع هيكلية وأشراك خداعية.[1]

تَتَعاظَمُ الحاجة لمبدأ الحركة في الحروب الثَّوريَّة، حَيْثُ يعتمد الثُّوار بِشَكلٍ مطلق على مرونة الحركة للتغلب على التفوق العددي والناري الذي يحظى به عدوهم النِّظاميّ، وبحسب أبي مصعب السوري: "يَجِبُ على الثُّوار أن يفهموا جغرافيةَ البلد فيعرفوا أين المرتفعات، وأين الماء، وأين الطرق.. لأنَّ ذَلِكَ يُسَهِلُ حركتهم بِشَكلٍ كبير.. العَدو حَتَّى ينقل كتيبة أو ينقل فرقة من عشرة آلاف رجل يحتاج لشهرٍ أو شهرين، خَاصَّةً في البرد والجليد والثلج، بينما العصابات تستطيع أن تحرك بسرعة في كل الظُّروف، لذلك يحتاج جندي العصابات إلى تدريب على استخدام القوة الذهنية والبدنية بِشَكلٍ مرتفع عشْر أضعاف الجندي النِظاميّ، لأنَّ الجندي النِّظاميّ يعتمد على التكنولوجيا، ويعتمد على الإمداد، ويعتمد على الخدمات اللوجستية الكثيرة جدًا، بعكس جندي العصابات المُتأقلِمُ مع أقصى الظُّروف. رجال عصابات المدن يستطيعون الضرب في شمال المدينة، ثُمَّ خلال ساعتين ينتقلون إلى جنوب المدينة ليضربوا من جديد، فيظن العَدو أنهم مئة شخص بسبب ما حصل، بينما هم في الحقيقة ثلاثة أو أربعة، ثُمَّ هَذِهِ العَمَلِيَّات التي تحصُلُ في كافة

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-43 and 8-87.

أنحاء المدينة تضطر العَدو إلى التمركز، مما يمكنك من تطبيق نظرية التمركز والانتشار التي سبق الحديث عنها.

القوات الأجنبيَّة مهما طال وجودها في البلد، لا يمكن أن تفهم الناس والأرض كما يفهمها عضو العصابات، ممَّا يُتيحُ لَهُ التنقلَ بكل خُفةٍ وحريةٍ مقارنةً بالجيوش الدخيلة، ومعرفة الأرض والشعب بِشَكلٍ جيد هي التي تقلص الفارق في القوة المادية والتكنولوجية.

عنصر العصابات يستطيع أن يمشي عشرين كيلومتراً أو ثلاثين كيلومتراً في اليوم دُونَ أن يوقفه برد أو حر، لأنه يأخذ أكله وطعامه معه ولا يحتاج إلى طرق إمداد متصلة، لذلك فحركته تبقى مستمرة في أحلك الظُّروف، بعكس جيوش العَدو التي ستضطر مع انقطاع الطرق إلى الإنزال عن طريق الطيران. فهذه النقطة الأساسية، أنك تعتمد على الخفة والسرعة في التنقل وتسعى لإيقاع العَدو في مشكلة التحرك والتمركز، هذا الموضوع شرحه الجنرال جياب بِشَكلٍ جيد."[1]

العوامل التالية تزيد من مرونة الحركة:

1. الاستطلاعُ الشخصي للطرق ومواقع القتال من قبل جميع القادة.
2. تحصينُ شبكات الطرق الموجودة والسيطرة على حركة المرور فيها.
3. وجود أسلحة دفاع جوي (مدفعية م /ط) فعَّالة لمنع تدخل طيران العَدو.
4. إخلاءٌ سريع للاجئين المدنيين وتقييد تحركاتهم على الطرق التي تستخدمها القوات.
5. إخلاء الخسائر والمعدات والإمدادات غير الضرورية.
6. الاستفادة القصوى من المناخ والتَّضَارِيس والسكان.
7. اعتماد مجموعات صغيرة، تحمل إمداداً يكفيها لفترة طويلة.
8. التدريب العالي والعقيدة القِتَالِيَّة للجنود والقدرة على التحمّل.

---

[1] أبو مصعب السوري: إدارة وتنظيم حرب العصابات، مع بعض التهذيب.

ويمكن تقليل مرونة حركة العَدو بالوسائل التالية:

1. السَّيطَرَة على الأرض الحاكمة لمقتربات العَدو.
2. تدمير الطرق والجسور ومعابر الأنهار التي لا تحتاج إليها قواتنا.
3. تدعيم الموانع الطَّبيعِيَّة وإنشاء الموانع الصناعية وحمايتها وتغطيتها بالنيران.
4. استخدام النيران والدخان يُخفِضُ درجة الرؤية للعدو ويُبْطِئُ تقدمه.
5. أعمال تعرضية على أهداف محدودة للإخلال بتوازن العَدو وإجباره على التوقف.
6. عند تقييم مرونة الحركة يؤخذ في الاعتبار تأثير الأرض والطقس معاً.

مثال واقعي عن هذا المبدأ:[1]

لا يُمكِنُنا أن نتحدث عن مرونة الحركة، دُونَ أن نذكر ثوار الريف المغربي بقيادة منظر حرب العصابات الأمير محمد عبد الكريم الخطابي، حَيْثُ اشتُهِرَت ثورةُ هذا القائدِ الفذِ بالعمليات الخاطفة والسرعة الهائلة والمناورة الرشيقة والقوات الخفيفة، وكانت "معركة أنوال" الفريدة معركةٌ يُضرَبُ بها المثل في تطبيق مبدأ الحركة في الحروب الثَّوريَّة.

كَانَ أولُ شرارةِ هَذِهِ المعركة احتلالُ القوات الإسبانية بقيادة "مانويل سلفيستري" لجبل "أبران" الإستراتيجي الذي يقعُ في منطقةِ الريف شمال المغرب، ويبعُدُ عن بلدة أنوال قرابة تسعةَ كيلومترات، وقد حصل ذَلِكَ في واحد حزيران عام ألف وتسعمئةٍ وواحدٍ وعشرين، بقوةٍ تُقارِبُ ألفي جنديٍ وأربعمئة وخمس وثمانين دابةً محَّلةً بالعتاد والغذاء والمدافع. وظن سلفستري أنه بسيطرته على هَذِهِ القمة المشرفة جغرافياً فإنه سيخضع قبيلة تمسمان بالكامل، ثُمَّ سيتمكن من خلالها من إخضاع قبيلة الخطابي (بني ورياغل).

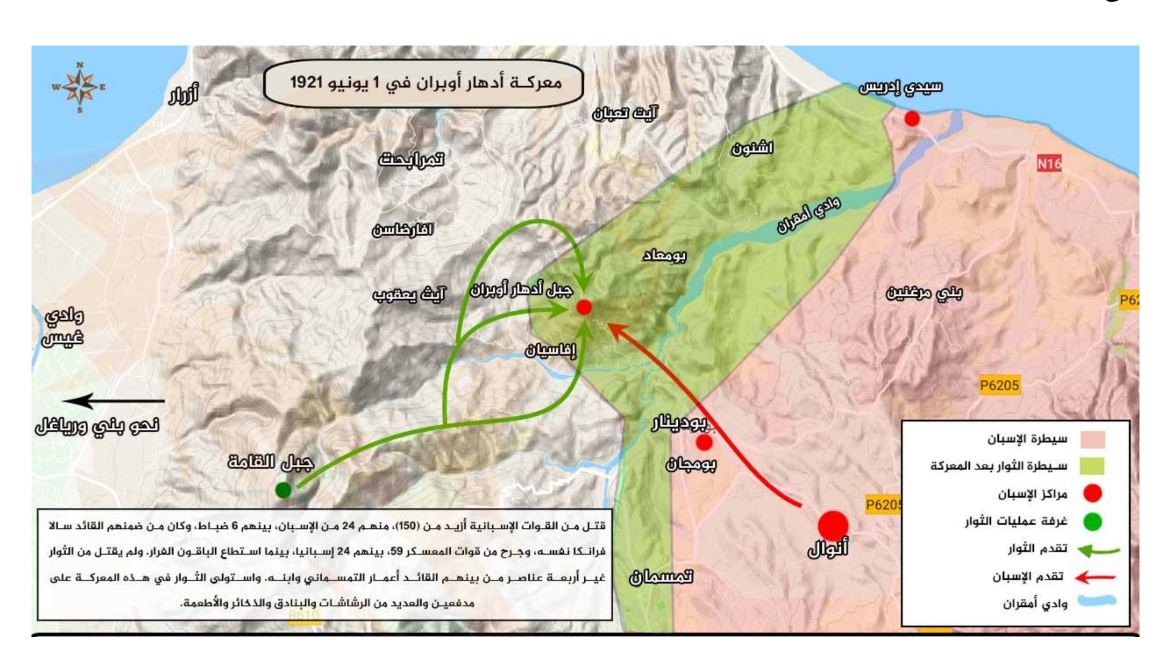
وبعد وصولهم للقمة، قاموا بتحصين الموقع بالأكياس الرمليَّةِ وأسوارِ الحجارةِ والأسلاكِ الشائكةِ، وقد كَانَ هؤلاء الجنودُ مزودين بأربعةِ مدافعَ، وكان جُلّهم من المليشيات القبلية

[1] انظر مركز الخطابي، كتاب الخطابي ملهم الثَّورات المسلحة، طبعة أولى، من ص 46 حَتَّى ص 53.

والمرتزقة المجمعين من قبيلة تمسمان وما حولها، وكان يطلق عليهم "الشُّرطَة الأهلية" و"حركة تمسمان"، ولم يكن بينهم من الإسبان إلا القليل من الضباط المشرفين.

كَانَ ظهور الإسبان على قمة أبران مفاجئاً للمجاهدين الذين كَانَ معسكرهم قريباً في جبل القامة، وبسرعةٍ فائقة تجهزَ للهجومِ على أبران قرابة خمسَمئةِ رجلٍ ينتمون إلى قبيلة تمسمان وقبيلة بني ورياغل وقبائل أخرى، وكان على رأسهم المجاهد "أعمار التمسماني" وابنه.

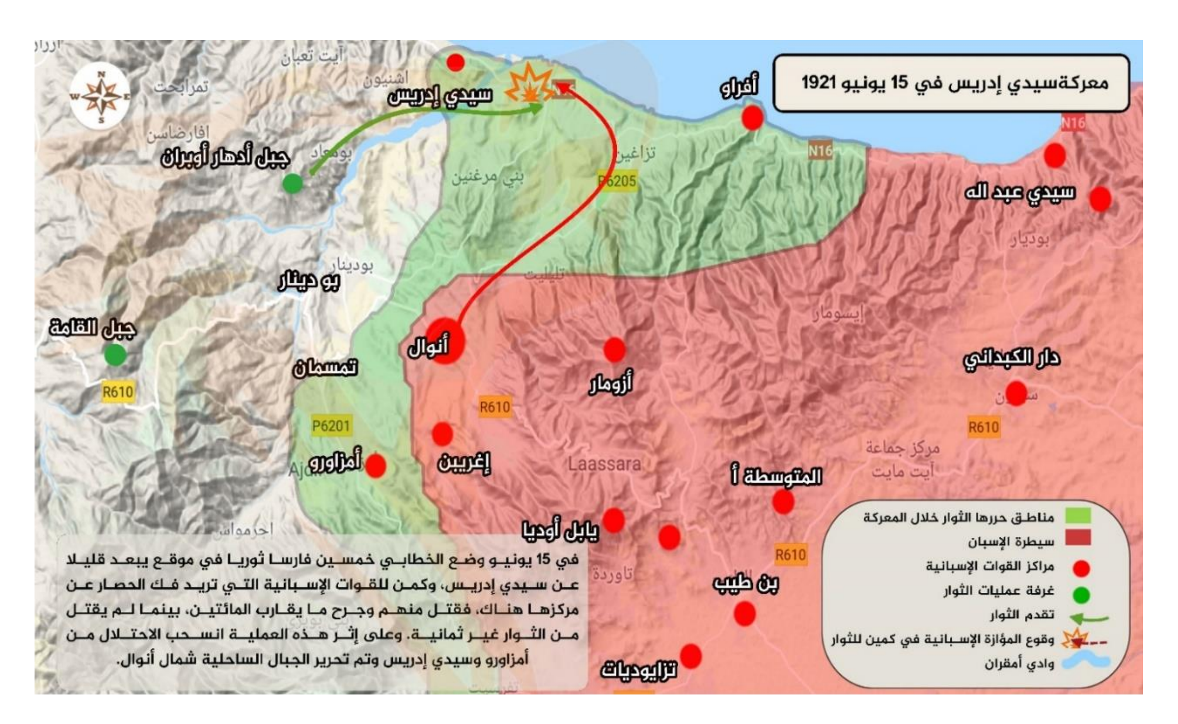
توزع المجاهدون الريفيون على ثلاث مجموعات، تمركزت الأولى في المرتفعات غرب أدهار أوبران (بني يعقوب)، وتمركزت الثانية شماله، لكي تغطيا بنيرانهما على المجموعة الثالثة التي ستشن الهجوم من الشرق (إفاسيان)، وقد تسللت المجموعات الثلاث نحو مواقعها قريباً من جبل أوبران دُونَ أن تُثِيرَ الانتباه، ثُمَّ باشرَ بعضُ المجاهدين بالانغماس داخل المعسكر بعد الثالثة زوالاً. أي بعد أن انسحبت معظم القوات الإسبانية إلى مركزها العام بأنوال، ومع انغماس المجموعة الأولى، اضطربَتِ القُواتُ داخلَ المعسكرِ، ممَّا مهدَ الأجواءَ للهجوم من الشمال والغرب.



أَحاطَ الثُّوار بالمعسكرِ، وانقَضُوا عليه من كل الجهات. وعندما فشلت الشُّرطَة الأهلية وحركة تمسمان في صد الهجوم، قررَ جُلُّ جنودهم الانقلاب على الإسبان والقتال بجانب المجاهدين. ومع تَمردِ العديدِ من عناصر المليشياتِ الرديفةِ، فقدَ القائدُ الإسبانيُّ سيطرته

على جنوده، وتحت ظِلِّ زخمِ الهجوم الثَّوريّ، فشلَ فشلاً ذريعاً في محاولة إعادة تنظيم قواته، فتعرضَ مُعَسكرُه للإبادة، وانتهت المعركة لصالح الثُّوار بعد ساعتين من الاشتباك.

وبتحرير قمة أوبران، انكشف طريق إمداد القوات المتمركزة في شاطئ سيدي إدريس. فبدأ الخطابي في قطع طرق إمداد هذا المركز عن المركز الرئيسي في أنوال، وفي العاشرِ من حزيران وضع خمسين فارساً ثورياً في موقع يبعدُ قليلاً عن مركز سيدي إدريس الإسباني، فقاموا بتمويه أنفسهم بين الأعشاب والأحجار، وكَمَنُوا للقوات الإسبانية التي تريد فك الحصار عن سيدي إدريس، وهناك قتل منهم وجرح ما يقارب المئتين ، بينما لم يُقتَلْ من الثُّوار غير ثمانية. وعلى إثر هَذِهِ العَمَلِيَّة انسحب الاحتلال من سيدي إدريس، وتم تحرير الجبال الساحلية شمال أنوال.



كَانَ الهدف الرئيسي لسلفستري هو تأمين مراكزه الكبرى الواقعة على الطرق الرَّئِيسيَّة، من خلال بعث مراكز فرعية على القمم الجبلية شمالاً وجنوباً، ومن أجل تأمين مركز أنوال كَانَ جبل أبران هو خط الدِّفَاع الأمامي، وكان ساحل سيدي إدريس خط الدِّفَاع الشمالي، بينما كَانَت بلدة إمزورن خط الدِّفَاع الجنوبي. أمَّا بالنسبة للخطابي فقد كَانَ يعمل على إسقاط هَذِهِ المراكز الفرعية لتمهيد الطريق نحو تحرير أنوال، وكانت سياسته

لتحقيق ذَلِكَ متمثلة في قطع طرق الإمداد عن هَذِهِ المراكز الفرعية بالكمائن المحكمة والاستمرار في مناوشتها حَتَّى تَصِلَ الحامية فيها إلى مرحلة من الانهيار تُمَهِدُ لتحرير المركز بالكامل عبر إغارة خاطفة، أو حَتَّى تصل الحامية إلى قناعة بوجوب الخروج والانسحاب، حَيْثُ ستكون كمائنُ الثُّوار في انتظارِها.

وبعد تحرير المناطق القريبة من أنوال شمالاً (سيدي إدريس) وغرباً (قمة أوبران)، لم يبقَ غير الجهة الجنوبية. وفي عملية إعادة تموضع دفاعي، أواخر شهر حزيران، انسحبت القوات الإسبانية من بلدة أمزاورو. فعبرت مجموعة من المجاهدين وادي أمقران، وتمركزت في أمزاورو. وهناك تمَّ نقل غرفة العَمَلِيَّات الثَّوريَّة التي كَانَت في جبل القامة لتصبح أمزاورو المركز الجديد للثوارِ.

حاول الإسبان منع الثُّوار من التمركز في أمزاورو بالقصف المدفعي، إلا أن المجاهدين عمدوا إلى حفر الخنادق ليلاً والتراجع نهاراً، إلى أن أصبح المكان موقعاً محصناً بِشَكلٍ جيدٍ.

ويوم السابع عشر من حزيران قامَ الاحتلالُ بالسيطرة على موقع "إغريبن" المتواجد بتسمان والذي يبعد عن أنوال حوالي ستةَ كيلومتراتٍ، ويَحمي الطريق الرابطَ بين أنوال وبن الطيب. وتم إنشاء مركز فوقه، تواجد فيه خمسمئةُ جندي يقودهم المدعو "بنيتيز"، معهم بطارية مدفعية، وفصيلة من الرشاشات، ومفرزة من الشُّرطَة المَحلِيَّة.

بُعيدَ احتلاله مباشرة حاول المجاهدون تحريره من خلال هجوم بمجموعتين، الأولى انطلقت من سيدي بو يعقوب والثانية من مرتفعات تيزي عزة شمال بن الطيب، لكنهم لم يتمكنوا من ذَلِكَ، مما حذا بهم إلى استغلال نقطة ضعف هذا الموقع، وهي ابتعاده عن مصدر الماء، فالعين القريبة منه وهي عين سيدي عبد الرحمن تبعدُ عنه حوالي أربعةُ كيلومتراتٍ، فتواجُدُ المجاهدين بموقع سيدي إبراهيم مكنهم من محاصرة هَذِهِ العين ومنع الإسبان من التزوّد بالماء.

ساهم في حصار إغريبن أكثرَ من سبعمئةِ مجاهدٍ تمترسوا في الخنادق، تواجدوا على كل الممرات التي يمكن أن يستغلها الإسبان لنجدة إغريبن، وقطعوا الإمدادات بِشَكلٍ كامل.

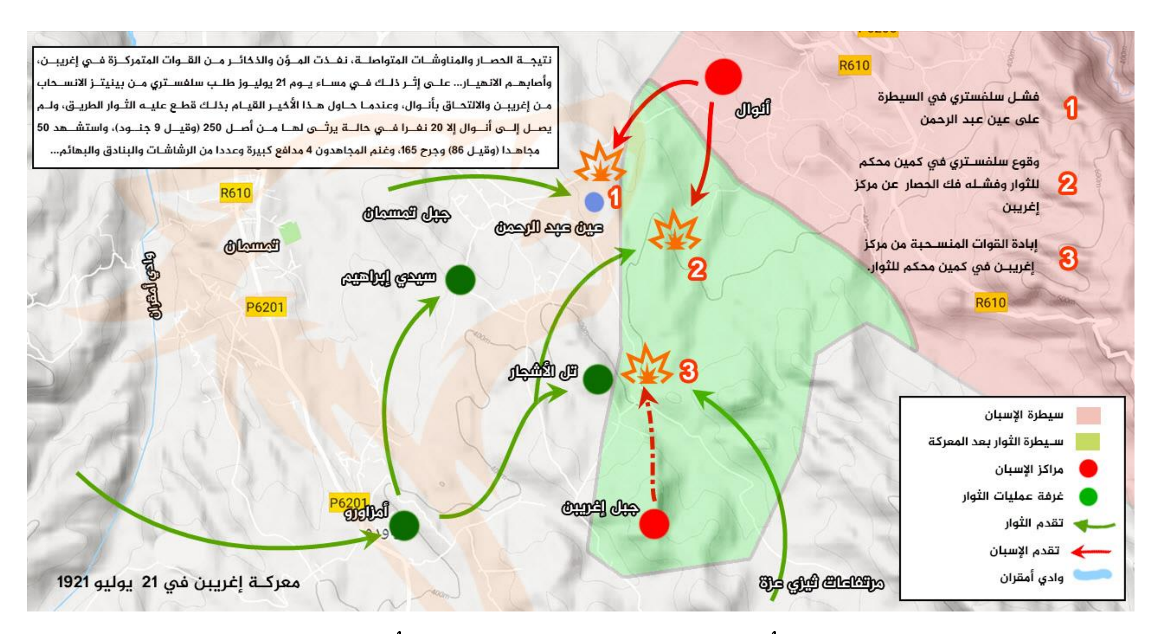
وتكلفَ بالسيطرة على وادي الحمام الذي يفصل بين أنوال وإغريبن مئةُ مقاتلٍ مشهودٌ لهم بالبسالة والشَّجاعةِ والتسديدِ الدقيقِ.

دامَ حصارُ إغريبن خمسةَ أيام، من السابع عشر من شهر تموز حَتَّى الحاديّ والعشرين منه.

وفي هَذِهِ الأيام القليلة، كَانَ الثُّوار قد أعدوا خنادقاً عديدةً على طول الطُّرُقِ المؤديةِ إلى إغريبن، كما أعدوا مواقع حصينةً في المرتفعات المشرفة على طريق الإمداد، وخاصةً في تل الأشجار وجبل تمسمان. كما قام الريفيون بإغراق أرض أنوال بالماء من عين عبد الرحمن لعرقلة التعزيزات. ولم تتوقفْ أبداً المناوشاتُ على القوات المحاصرة، مما أبقاها في استنفارٍ ويقظةٍ متواصلةٍ، وأَنهَكَ قواها واستنزفَ رجالها.

وفي صبيحة يوم العشرين من تموز ترأسَ سلفستري هجوماً استعملَ فيه ثلاثةَ آلافَ جندي، وبمجرد انطلاقه، كَانَ الخطابي ورفاقه قد خططوا مسبقاً لنصب كمينٍ محكمٍ لهذه القوات، حَيْثُ أغرقوا الطريق في سهل أنوال بالماء لعدة أيام، وهناك وبمجرد وصول الإسبان، غرقت المدافع والفرسان في الوحل، فانقض عليهم الثُّوار من مختلف جبال تمسمان بالأسلحة التي غنموها من معركة أدهار أبران، وأوقعوا فيهم خسائرَ كبيرةً.

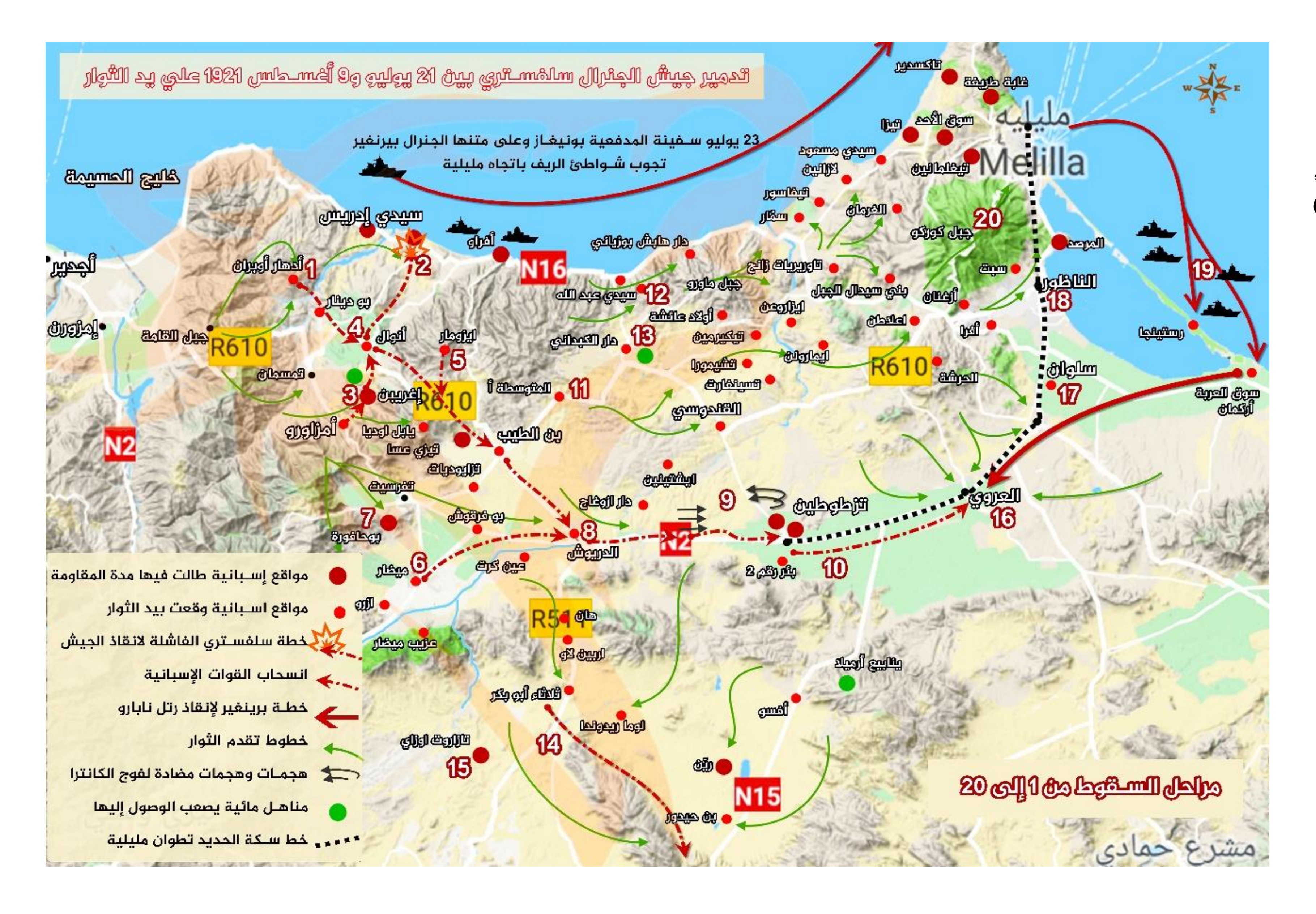
دامت المعركة أكثر من ثماني ساعات، ومع تكاثف الرصاص الذي يطلقه المجاهدون من خنادقهم سيضطر هذا الجيش إلى التراجع صوب أنوال بعد أن خلف العديد من الجرحى والقتلى وخسائر في المعدات... على إثر ذَلِكَ في مساء يوم الحادي والعشرين من تموز طلب سلفستري من بينيتز الانسحاب من إغريبن والالتحاق بأنوال، وعندما حاول هذا الأخير القيام بذلك قطع عليه المجاهدون الطريق، ولم يصلْ إلى أنوال إلا ثلاثون نفراً من أصل مئتين وخمسين، واستُشهِدَ في هَذِهِ العَمَلِيَّة خمسون مجاهداً (وقيل ستةٌ وثمانون) بينما جُرِحَ منهم مئة وخمسٌ وستون، وغنِمَ المجاهدون أربعةَ مدافع كبيرةً وعدداً من الرشاشات والبنادق والبهائم، كما أسروا سبعين جندياً إسبانياً تقريباً.



وأخيراً انهزمَ الجيشُ الإسبانيُّ، وسقط جبل إغريبن بيد الثُّوار الريفيين، وهرب من بقي من الجنود الإسبان باتجاه أنوال، وتم دفن جثث القتلى الإسبان قرب جبل "امزوج"، وهذا الحدث وارد في مذكرات الجنود الإسبان، ومازال إلى اليوم مكان المقبرة يأتي إليه باحثون إسبان بِشَكلٍ سنوي.

وبعد السَّيطَرَة على إغريبن، تخندق الثُّوار في وادي الحمام الواقع على أبواب معسكر أنوال، والذي كَانَ يتواجد فيه أكثر من ستة آلاف جندي إسباني، ويحيط به أكثرُ من أربعةٍ وثمانين مدفعاً، وقد شارك في حصار أنوال أكثرُ من ألفٍ وخمسمئةِ مجاهدٍ، توزعوا على مختلف الجبهات بِشَكلٍ رائع، ولحيويتهم وحركتهم المتواصلة اعتقد الإسبان أن عددهم يزيد عن العشرة آلاف.

أصبح الوضع بأنوال مرعباً بالنسبة للإسبان، فقد دخلوا في حصار خانق، وانقطعت عنهم الإمدادات، وكثر لديهم الجرحى، وبدأت تنفد منهم الذخائر، وتيقن الأمير أن سلفستري سينسحب إلى ما وراء أنوال، لذلك أصدر أوامره بقطع خط العودة والسيطرة على جميع المسالك المؤدية إلى بلدة بن طيب وإلى غيرها من المراكز التي يُسَيطِرُ عليها الإسبان، وذلك من خلال تمركز القوات الثَّوريَّة وكمونها على المرتفعات وقمم التلال والأحراش الشجرية.


تدمير جيش الجنرال سلفستري بين 21 يوليو و9 أغسطس 1921 علي يد الثوار
23 يوليو سفينة المدفعية بونيغاز وعلى متنها الجنرال بيرنغير
تجوب شواطئ الريف باتجاه مليلية
مراحل السقوط من 1 إلى 20
مواقع إسبانية طالت فيها مدة المقاومة
مواقع اسبانية وقعت بيد الثوار
خطة سلفستري الفاشلة لانقاذ الجيش
انسحاب القوات الإسبانية
خطة بيرنغير لإنقاذ رتل نابارو
خطوط تقدم الثوار
هجمات وهجمات مضادة لفوج الكانتيرا
مناهل مائية يصعب الوصول إليها
خط سكة الحديد تطوان مليلية
خليج الحسيمة
سيدي إدريس
أجدير
إمزورن
مليلية
Melilla
الناظور
العروي
تزطوطين
الدريوش
بن الطيب
أنوال
إغريبن
جبل كوركو
مشرع حمادي

وفعلاً بعد أن أيسَ سلفستري من وصول الدَّعم العَسكرِيّ الذي طلبه، قررَ الانسحابَ من أنوال يوم الخامسِ والعشرينَ من تموز عند الساعة العاشرة صباحاً بعد تدمير معظم الآليات العَسكَرِيَّة، وتم الانسحاب بِشَكلٍ فوضوي دفع بسبه الإسبان ثمناً غالياً، حَيْثُ تفرقت قواتهم في الأودية الريفية، ووقع العديد منها في كمائن الثُّوار.

وخلال هذا الانسحاب تحررت تباعاً العديد من المراكز (قشلة بومجان، اثماميست، بن طيب، دار بوزيان، الدريوش، دار الكبداني...) وأغلبها دُونَ قتال يذكر، حَيْثُ استمر الثُّوار والسكان المسلحون في مطاردة الإسبان بعد أنوال، وأوجعوهم بالمضايقات والكمائن المستمرة إلى أن وصل من تبقى منهم إلى جبل العروي وحاولوا التحصن فيه، فتم محاصراتهم هُنَاكَ من اليوم الثاني حَتَّى اليوم الثاني عشر من آب.

وفي الثاني من آب أيضاً اقتحم المجاهدون مدينة الناضور، وتمكنوا من تحريرها.

وبعد يوم واحد من تحرير الناظور (في الثالث من آب) تمَّ تحرير بلدة سلوان.



جثث الإسبان بعد معارك أنوال



تجمع للثوارِ في معركة أنوال

كَانَت خسائرُ الإسبان في معارك الانسحاب فادحةً بأتم معاني الكلمة، وكانت غنائم الثُّوار كبيرةً وعظيمةً، وفي هذا الصدد يقول الخطابي: "ردت علينا هزيمة أنوال مئتي مدفعٍ من عيار 75 أو 65 أو 77، وأكثر من عشرين ألفَ بندقية، ومقادير لا تحصى من القذائف وملايين الخراطيش، وسيارات وشاحنات، وتموينا ًكثيراً يتجاوز الحاجة، وأدويةً، وأجهزةً للتخيم، وبالجملة، بين عشية وضحاها. وبكل ما كَانَ يعوزنا لنجهز جيشاً ونشنَ حرباً كبيرة. وأسرنا سبعمئةَ جنديٍ، وفقد الإسبان خمسةَ عشَرَ ألفَ جنديٍ ما بين قتيلٍ وجريحٍ". بينما يقدر المؤرخ الإنجليزي روبرت فورنو الخسائر الإسبانية في هَذِهِ المعركة على الشكل التالي:

"ثمانيةَ عشرَ ألفِ قتيلٍ ، وفي مقدمتهم قائد الحملة الجنرال سلفستري، وألفاً ومئة أسيرٍ، وفي مقدمتهم الجنرال نافارو، اغتنام 19504 بندقية و352 رشاشاً و129 مدفعاً، إِضَافَةً إلى المواد العَسكَرِيَّة الأخرى كالملابس والخيام والعربات والتغذية."

المبدأ الخامس: الهجوم المضاد

الهجوم المضاد هو شكلٌ من أشكالِ الهجوم بجميع القوات المدافعة أو ببعضها ضدّ قوة العَدو الهجومية، هدفه حرمان العَدو من تحقيق غايته من الهجوم، فيعمل إمَّا على هزيمة العَدو وتدميره، أو استغلال انكشاف العَدو وضعفه، أو استعادة السَّيطَرَة على التَّضَارِيس والمرافق التي استولى عليها العَدو.[1]

وبالعموم ينبغي على قادة الوحدات المدافعة أن يحافظوا على ثبات الروح الهجومية كأولوية، وأن يحافظوا على اندفاع وشجاعة قادة الوحدات الصغرى.

ويُمكِنُ المحافظة على الروح الهجومية لدى الأفراد والحفاظ على زمام المبادرة في العَمَلِيَّات من خلال تنفيذ عَمَلِيَّات السطو والإغارات والدوريات والكمائن والمناوشات... إلخ.

ولا ينفذ المدافع هجوماً مضاداً حاسماً حَتَّى يتبين لقائد الدِّفَاع اتجاه الجهد الرئيسي لهجوم الأعداء، والذي يظهر بتكليف وإطلاق معظم قوته القِتَالِيَّة نحو اتجاهٍ معين. وبالنسبة لتنفيذ الهجوم، فمثله مثل جميع أشكال الهجوم المعتادة، لكن يخطط القائد لهجومه المضاد وينفذه حينما يكون عدوه بأضعف لحظاته، وهي حين يحاولُ السَّيطَرَةَ على مواقعَ دِفَاعِيَّةٍ صديقةٍ.

هُنَاكَ مستويان من الهجمات المضادة:

الأولى: الهجمات المضادة الكبيرة، والثانية: الهجمات المضادة المَحَلِيَّة. وفي كلتا الحالتين، فإنه يَجِبُ الانتظار حَتَّى ينكشف اتجاه الجهد الرئيسي للعدو وانكشاف جانب ضعيف لديه قابل للهجوم عليه.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 5, 5-145.

يُنفِذُ المدافعُ هجوماً مضاداً كبيراً بغرض استعادة زمام المبادرة من العَدو، وقد يلجأ المدافع لهذا النوع من الهجوم بغرض صد اختراق خطير من قبل العَدو لخط الدِّفَاع، أو بهدف إنهاك العَدو عن طريق تدمير وهزيمة أجزاء معزولة منه.

وفي الهجوم الكبير يستخدم القائد على نحوٍ مثالي قواته ويقسمها إلى كتلة رئيسية وقوات تأمين واستطلاع واحتياط، بينما تكون القوات المدافعةُ المشتبكةُ مع المهاجمين بمثابة قوات تثبيت للعدو. بينما في الهجوم المضاد المحلي يجمع القائد ما توفر لَهُ من القوات على الفور لمحاولة استرجاع المواقع التي سيطر عليها العَدو، أو لاستغلال فرصة سانحة سريعة ظهرت لَهُ.[1]

يَجِبُ على المدافع أن يبذل كافة الجهود لانتزاع المبادرة من العَدو، ويتأكد من تدميره وذلك بخوض معركة هُجُومِيَّة، ويمكن تصنيف ما تشتمله المعركة الهجومية كما يلي:

- الهجوم المعاكس: يتفاوت مستوى الهجوم المعاكس من عملٍ سريعٍ تقوم به الجماعة الخلفية من الفصيلة إلى هجومٍ معاكسٍ مُدبرٍ تقوم به تشكيلة الاحتياط.
- الهجوم التخريبي (الإفسادي): يُشَنُّ لإحباط تحضيرات العَدو للهجوم خارج المواضع الدِّفَاعِيَّة الأمامية غالباً وفي مراحل التَّشكِيل[2] والتجميع لهجوم العَدو.
- الدوريات: يجري القيام بها للحصول على المعلومات لكسب زمام المبادرة وإدامتها.
- الاحتياط: يَجِبُ على القائد أن يكون مهيأً لمُجابهِةِ أي موقف غير متوقع يفرضه العَدو وذلك بالاحتفاظ باحتياطٍ كافٍ يُركَزُ بِشَكلٍ مناسب إمَّا لِشَنِّ هجومٍ معاكسٍ

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 5 ATTAK, from 5-150 until 5-155.

[2] عَمَلِيَّات التَّشكِيل: هي العَمَلِيَّات التي تخلق ظروفاً (أو تحفظها) بغرض إنجاح العَمَلِيَّات الحاسمة. وهي مفهوم يشير إلى ممارسة حرب المناورة وتعني تشكيل الموقف المطلوب في ساحة المعركة للانطلاق في العَمَلِيَّات الحاسمة. وتشمل عَمَلِيَّات التَّشكِيل: شنّ عَمَلِيَّات معلومات هُجُومِيَّة وتدمير عقد القيادة والسيطرة لدى العَدوّ وتدمير قوات الهندسة والاستطلاع والإسناد النَّارِيّ والدفاع الجوي لديه.

لإعادة احتلال الأراضي الحيوية أو ليقوم بواجب وقف الاختراق. وعندما يَقُومُ القائدُ باستخدام احتياطه يَجِبُ أن يبذل أقصى جهده لتشكيل احتياطٍ آخر.[1]

لا تستطيع العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة وحدها عادةً أن تُحقِقَ حسماً، فيصبح هدفها هو تهيئةُ الظُّروف لِشَنِّ هجومٍ مضادٍ يسمحُ لقواتنا باستعادة المبادرة.

ويَجِبُ أن يقابلَ أيَّ نجاحٍ للعدو بهجوم مضاد لمنع العَدو من استثمارِ نجاحه، ويتم استخدام القوة الضاربة أو الاحتياطِيَّة لإنجاز هَذِهِ المهمة.

يسمح القائد للعدو بالعبور والتقدم للأمام، وفي نفس الوقت يعمل على إخفاء قوته الصاعقة بالدخان أو خلف التَّضَارِيس، حَيْثُ ستقوم هَذِهِ القوة بهجوم مضاد غير متوقع ضد هَذِهِ القوات المعادية.

من الصعب على العَدو أن يخوض معركة دِفَاعِيَّة رداً على هجوم مضاد بعد وصول العَدو إلى أقصى طاقاته. وبأسلوب الدِّفَاع المتحرك يُرَكِزُ المدافعون على تدمير قوات العَدو من خلال استدراجها إلى موقع يعرضها لهجوم مضاد ويسمح بتطويقها.

ويَجِبُ أن تضع قوات الهجوم المضاد كهدفٍ لها دفعُ العَدو والسيطرة على مواقع تسمح لها بإطلاق النيران على الجزء الخلفي أو الجناح المكشوف من العَدو.

وفي الحرب الثَّورِيَّة يُعَدُّ الهجومُ المضادُ صفةً لازمةً للثوارِ، فمن خلال تكراره يتمّ استنزاف الحملات الهجومية للعدو، ويجري إخضاع العَدو لسياسة ردود الفعل، لتصبح قواته معرضةً للانهيار والفوضى، وليخسرَ معنوياته التي كَانَ قد حققها بهجومه السابق، كما أن تفعيل هذا المبدأ يجعلُ الثُّوار أكثرَ سيطرةً على قواتهم وثباتاً على مسارهم التكتيكي والإستراتيجي، لأنهم إن لم ينتقلوا عن الدِّفَاع لضاع مسارهم الإستراتيجي وفقدوا السَّيطَرَة على قواتهم، كما أن عجزهم عن الدِّفَاع الثَّابِت أمام القوات التي تَفُوقُهُم قدرةً وقوةً، يُجبِرُهُم على الدِّفَاع عن طريق الهجومات المضادة. وهم من خلال تطبيقهم لهذا المبدأ يحمون أنفسهم من

[1] موسوعة التكتيك، الصادرة عن مكتب الخدمات لإمارة أفغانستان الإسلامية، ص 95.

الحملات الضخمة التي كَانَت ستحصل لهم لو أن القوات المعادية تفرغت من الدِّفَاع إلى الهجوم.

يقول ماو تسي تونغ: "إن التدابير الدِّفَاعِيَّة التَّكتيكِيَّة تصبح عديمة المغزى إذا لم تدعم الهجوم بصورة مباشرة. إنَّ حسم المعارك بسرعة هو مسألة تتعلق بمدة الهجوم... إن الهجوم هو الوسيلة الوحيدة من أجل إفناء العَدو، كما أنه الوسيلة الرَّئِيسيَّة من أجل المحافظة على الذات، في حين أن الدِّفَاع البحت والتراجع المحض لا يمكن أن يلعبا إلا دوراً مؤقتاً وجزئياً في المحافظة على الذات، وهما عديما الجدوى كلياً في إفناء العَدو".[1]

الانتقال من الدِّفَاع إلى الهجوم المضاد:[2]

يقوم القائد المدافع الذي ينتقل إلى الهجوم بتوقع متى وأين تصل قوة العَدو إلى نقطة الذروة، أو متى تتطلب هَذِهِ القوات استراحة عملياتية قبل أن تتمكن من الاستمرار، إذ يَجِبُ أن تكون نسبة الطاقة القِتَالِيَّة في تلك اللحظات لصالح القوة المدافعة. مع التنبيه أن قوات العَدو ستبذل كل ما في وسعها لمنع القوات الصَّديقَة من معرفة الوقت الذي ستصبح فيه منتشرةً بِشَكلٍ زائدٍ.

إن المؤشرات التي تدل على اقتراب العَدو من هَذِهِ الحالة، عندما:

1. تبدأ قوات العَدو بالانتقال إلى الدِّفَاع، وقد يقوم بهذا الدِّفَاع قوات على تماسٍ مع القوات الصَّديقَة أو بدون تماس.
2. تتكبد قوات العَدو خسائر فادحة.
3. تبدأ قوات العَدو بالانتشار قبل مواجهة القوات الصَّديقَة.
4. تُهزم قوات العَدو في معظم الاشتباكات.
5. يتمّ زجُّ قوات العَدو بِشَكلٍ تدريجيٍّ في هجمات العَدو المستمرة.

---

[1] ماوتسي تونغ: ست مقالات عسكرية، ص123.

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 8, from 8-159 until 8-169.

6. يتمّ التعرف على قوات العَدو الاحتياطِيَّة من بين القوات المهاجمة.
7. يُظهر فحص جنود العَدو -الأسرى أو القتلى- ومعدات وإمدادات العَدو -التي تمَّ اغتنامها أو تدميرها- أن قواتَهُ غيرُ قادرةٍ على استدامة نَفَسِها بِشَكلٍ كافٍ.
8. تنخفض وتيرة عَمَلِيَّات العَدو بِشَكلٍ ملحوظٍ.
9. تواجِه الهجمات المضادة المَحَلِيَّة نجاحاً غير متوقعاً.

يَجِبُ أن يحذر القائد من كونه هدفاً للعمليات المعلوماتية من قبل العَدو والمصممة لإغرائه بالتخلي عن مزايا القتال من مواقع دِفَاعِيَّة مجهزةٍ أي أن يتظاهر العَدو بوصوله لنقطة الذروة لدفع القوات المدافعة إلى التحول من الدِّفَاع إلى الهجوم بهدف إخراجها من مواقعها الدِّفَاعِيَّة المحصنة.

يَجِبُ ألا ينتظرَ القائدُ طويلاً للانتقال من الدِّفَاع إلى الهجوم في الوقت الذي تقترب فيه قوة العَدو من نقطة الذروة، لأنَّ قوات العَدو ستتفرقُ وتنتشرُ في العمق وتَضْعُفُ مباشرةً إذا قام بالهجوم بسرعةٍ، وستكون حينها أيُّ استعداداتٍ دِفَاعِيَّة للعدو متسرعةً ولن تكون قواته على استعدادٍ كافٍ للدفاع. ويبذل القائد كل جهده -عند انتقاله إلى الهجوم- ليكون العَدو في هَذِهِ الحالة، فهو لا يريد أن يمنح قوات العَدو الوقت اللازم لتستعد للدفاع، إضَافَةً إلى ذَلِكَ فإن الصدمة النفسيَّة على جنود العَدو ستكون أكبر إذا ما وجدوا أنفسهم يدافعون -فجأةً وبشكلٍ يائسٍ- بشروطٍ جديدةٍ ليست من صالحهم في أغلب الأحيان، بينما يتمتع جنود القائد المدافع بدفعةٍ معنويةٍ بسبب مبادرتهم بالهجوم.

يمكن للقائد استخدام طريقتين أساسيتين عند انتقاله إلى الهجوم:

الأسلوب الأول والمفضل عموماً هو: بدء الهجوم باستخدام قواتٍ لم يتمّ الزج بها سابقاً في الدِّفَاع، وذلك لأنَّ الوحدات المدافعة في منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة قد لا تزال في حالة اشتباكٍ حاسم، وبالتالي فقد يتمّ تشكيل هَذِهِ القوات المهاجمة من القوات الاحتياطِيَّة أو قد تتألف من المؤازرات. ونظراً لأنَّ هَذِهِ القوات لم تشارك مؤخراً بأي نشاطٍ قتالي، فمن المرجح أنها:

1. ستكون في مستويات الطاقة المصرح بها <أي تكون طاقتها الفعلية تامةً وليست كالقوات التي استُنزفت طاقتها أثناء القتال>.
2. تمتع بنظامٍ قتاليّ جاهزٍ للعمل بمعدلٍ أعلى من غيرها من القوات المنخرطة مسبقاً في الدِّفَاع.
3. تملك قادة وجنوداً مرتاحين -على الأرجح- ما يعني أنهم قادرون على القيام بعملياتٍ طويلةٍ ومتواصلة.
4. لديها حمولةٌ كاملةٌ من الإمدادات الأساسية.
5. تمتلك الوقت والطاقة للتخطيط والاستعداد للعمل الهجومي.
6. قادرةٌ على المناورة بعيداً عن التَّمَاس المباشر مع العَدو.

لكنَّ أحدَ عيوب استخدام هذا الأسلوب هو حاجة القوات لإجراء مرورٍ أماميّ عبر الخطوط، بالإضافة إلى ذَلِكَ فمن المرجح أن تكتشف أنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع المعادية وصول مؤازراتٍ كبيرة.

أمَّا **الأسلوب الثاني** فهو: القيام بأعمالٍ هُجُومِيَّة باستخدام قوات الدِّفَاع الحالية، ويتميز هذا الأسلوب عموماً بأنه قابلٌ للتنفيذ بسرعةٍ أكبر، وبالتالي من الممكن اصطياد العَدو على حين غرة.

إن سرعة التنفيذ في هذا الأسلوب نتيجةٌ لعدم الاضطرار إلى إجراء مسير اقترابٍ[1] أو مسير طريقٍ تكتيكيٍّ من مناطق تجمع القوات الاحتياطِيَّة، أو -في حالة المؤازرات- الانتقال من مواقع مناطق العَمَلِيَّات الأخرى ومواقع الاستقبال والتنظيم والتكامل. وتكون السرعة نتيجةً لعدم الحاجة إلى إجراء مرورٍ أماميٍّ عبر الخطوط، وإجراء الارتباط الضروري لإنشاء صورةٍ عملياتيةٍ عامةٍ تتضمنُ معرفة أنماط عَمَلِيَّات قوات العَدو. أمَّا العيب الأساسي لهذا

[1] مسير الاقتراب هو طريقة تَقَدُّم الوحدة القِتَالِيَّة عندما يكون من المقرر أن تصبح على تماسٍ مع العَدوّ.

الأسلوب فيكمُنُ في أن القوة المهاجمة عموماً تفتقر إلى القدرة على التحمل، ويَجِبُ استبدالها بسرعةٍ إذا لم تنجح عَمَلِيَّات الهجوم الصَّديقَة.

مثال واقعي عن هذا المبدأ



في حزيران عام ألفين وست شنت فصيلة الجورخا[1] التابعة للتحالف الأمريكي غارة على مُجَمّعٍ لطالبان خارج بلدة نوزاد في أفغانستان، حَيْثُ كَانَ يُعتقَد أن قائداً من طالبان من المستوى الأوسط يختبِئ هُنَاكَ، غير أن الثُّوار قد نصبوا كميناً مسبقاً قبل أن تصل الفصيلة إلى هدفها، ومباشرةً قاموا بإطلاق النَّار انطلاقاً من مواقع معدَّةٍ مسبقاً في أحد البساتين، ثُمَّ حاولوا تطويق موقع الجورخا والاقتراب منها، ولكن هجوماً مضاداً للقوات البريطانية أنقذ الموقف ومكن العناصر البريطانية من الانسحاب. [2]

تحركت الجورخا في الساعة الحاديةَ عشْرة، في ثماني مركبات فيها ثمانيةٌ وعشرون جندياً من الجورخا، وأربعةُ أخصائي تفكيك متفجراتٍ بريطانيين، وانطلقت معهم سيارتان مع حفنة من الجنود ورجال الشُّرطَة الأفغان.

توجهت الجورخا ابتداءً نحو شمال المُجمَّع، ثُمَّ توجهت جنوباً أسفل الوادي من أجل تطويق المُجَّمع من الشرق.

[1] الجورخا هم فئة من الجيش البريطاني، وأصلهم من دولة النيبال الواقعة شمال شرق الهند. خدم الجورخا كجزء من الجيش البريطاني الهندي قديماً، وإلى الآن توجد صيغة عمل لهؤلاء الجورخا بالتنسيق بين النيبال والهند وبريطانيا كجزء من لواء الجورخا البريطاني الملكي.

[2] تمَّ اقتباس العَمَلِيَّة من كتاب تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، ص 35.

عندما بدأت العربة الرائدة بالاستدارة واقتربت من المُجمَّع ، اصطدمت بأحد حراس طالبان الذي كَانَ مسلحاً بقاذف آر بي جي. كَانَ الحارس على بعد خمسة أمتارٍ من السيارة، وقبل أن يُطلَق النَّارُ عليه من قِبلِ الجورخا، استطاع إطلاق قذيفة RPG نفَذت عبر العربة المفتوحة وضربت المِقْود، غير أن القذيفة ارتدت على جدار الوادي ولم تنفجر، وذلك لأنها أُطلِقَت من مسافةٍ قريبةٍ جداً من هدفها، ولم يكن لديها وقتٌ كافٍ لفكّ أمان التسلّح. ألحقت هَذِهِ القذيفة الضرر بتوجيه المركبة مما أجبر القافلة على التوقف.

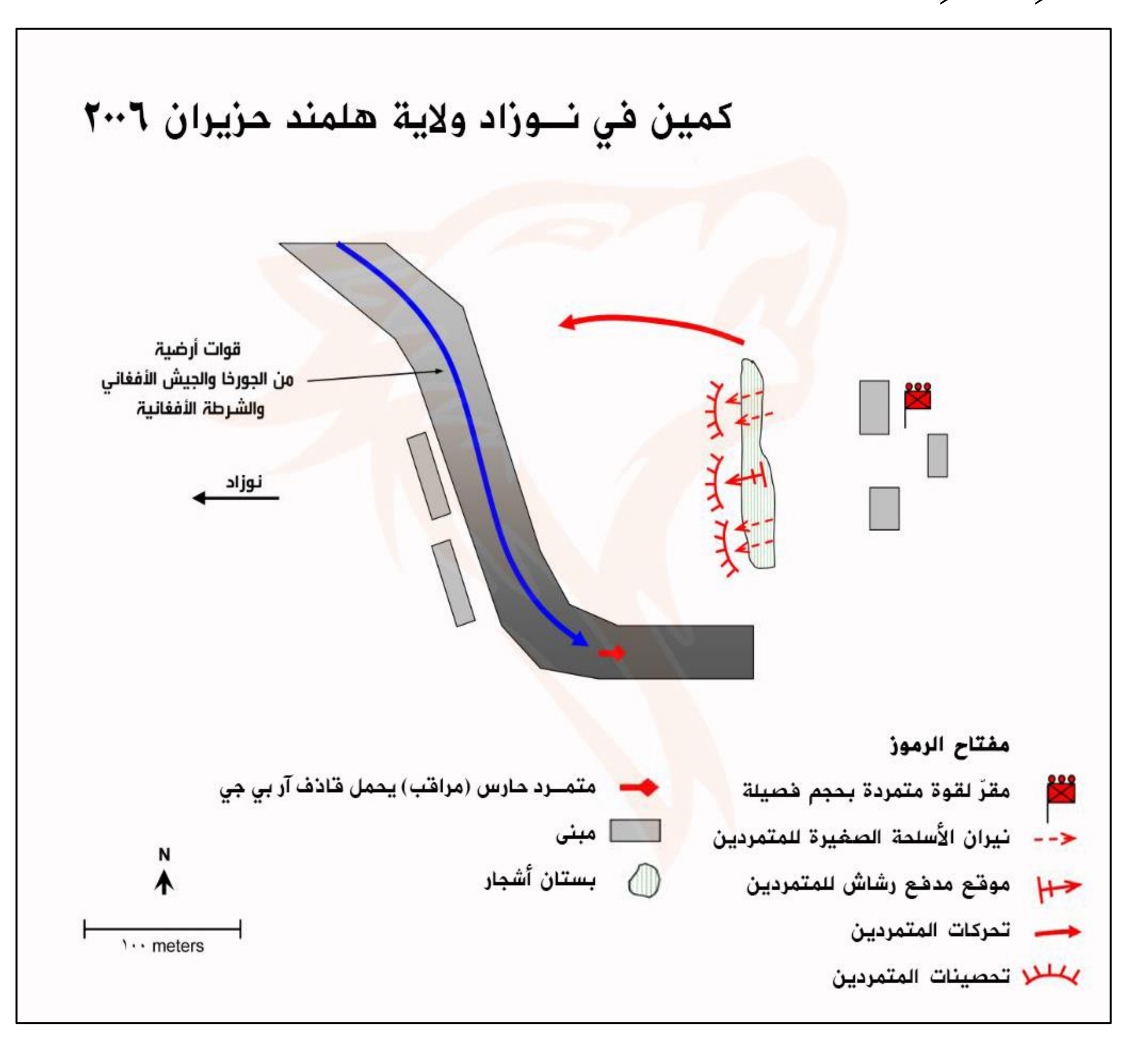
في الوقت نفسه، تعرض ما تبقى من القافلة لكمين من اليسار من قبل ثلاثين ثائراً على الأقل مزودين برشاش متوسط، فضلاً عن بنادق كلاشينكوف وقواذف آر بي جي.

كَانَ الثُّوار في مواقع جاهزة على بعد مئةِ مترٍ في بستان صغيرٍ من الأشجار، وكانوا قد أنشؤوا نقطة قيادة ونقطة إعادة إمداد بالذخيرة في قريةٍ إلى الخلف.

مع توقف السيارة الرائدة ترجلت قوات "الجورخا" و"الجيش الوطني الأفغاني" و"الشُّرطَة الأفغانية" واستترت خلف جداريْنِ من الطين على الجانب الآخر من الوادي. عند هَذِهِ النقطة، تمَّ تثبيتهم بنيران طالبان، وقام الثُّوار بضرب الجدران الطينية، مما جعل إحداها تسقط بينما كَانَت الطلقات تخترق وتضرب التراب خلف الجورخا، ثُمَّ هرب أفراد الجورخا وراء جدار طيني آخر، غير أن المشكلة نفسها بقيت مستمرة. حاول الضابط القائد استدعاء الإسناد الجوي، وفي الوقت نفسه كَانَت الطالبان تعزز مواقعها بمزيد من العناصر.

على مدار الساعة التالية، اقتربت عناصر حركة طالبان من الجورخا والجيش الأفغاني والشرطة الأفغانية، وبدأ الجدار الطيني الآخر بالانهيار تحت وطأة نيرانهم. وفي الوقت نفسه، اكتشف الجنود الأفغان مقاتلي طالبان وهم يلتفون حول موقعهم، فقام جنود الجورخا بإطلاق القنابل من بنادقهم لدفعهم. في هَذِهِ الحالة الرهيبة، عاد أحد الضباط مسرعاً إلى السيارات التي كَانَت تقع في مناطق مكشوفة من أجل الحصول على جهاز الراديو ليتمكن من استدعاء الإسناد الجوي. وفعل هذا الأمر بسلام.

تمكن الجورخا من طلب الإسناد الجوي القريب من مروحيات هُجُومِيَّة بريطانية من طراز أباتشي. وكان من الممكن لطياري الأباتشي رؤية مقاتلي طالبان يتزودون بالمؤن من القرية، كما تمكنوا أيضاً من رؤيتهم وهم يلتفون حول الموقع البريطاني، فقامت الأباتشي بثلاثة انقضاضات، **وبينما هم يفعلون ذَلِكَ، قام جنود الجورخا بهجوم مضاد**، واستطاعوا الانقضاض على قمة الجانب الآخر من الوادي. ومع تحسن الوضع، استطاعوا أيضا القيام برماياتٍ دقيقةٍ على الهدف واكتسبوا التفوق النَّارِيّ.



حافظت طالبان على مواقعها بالرغم من الضربات الجوية، بينما تراجعت الجورخا ما بين مئتين إلى ثلاثمئةِ مترٍ نحو المركبات <أي تراجعت عن المسافة التي استطاعت أن تتقدمها بعد قدوم الطائرات والقصف الجوي>. في هَذِهِ العَمَلِيَّة أصيب جندي أفغاني بنيران طالبان، وقُتل أحد أفراد طالبان من مسافة قريبة بالقرب من المركبات، كما استطاع البريطانيون تحريك العربة الرائدة وهم تحت نيران كثيفة، ثُمَّ تمكنوا من الانسحاب ببطء.

المبدأ السادس: التَّحضير والتَّنسيق للخطط الدِّفَاعِيَّة

للدفاع جوانب قوة متأصلة فيه، منها:

1_ أن المدافع يصل لمنطقة العَمَلِيَّات قبل المهاجم.

2_ويستخدم الوقت المتاح لَهُ في التَّحضير والتَّنسيق لخططه الدِّفَاعِيَّة، بحيث يتمكن من التَّحضير للمعركة أفضل من عدوه من خلال:

أ_دراسة الأرض.

ب_ اختيار المواضع الدِّفَاعِيَّة التي تُتيحُ لَهُ حشد النيران على المقتربات المحتملة.

ج_ المزج بين العوائق الطَّبيعِيَّة والصناعية لتضييق مسارات العَدو المهاجم إلى منطقة اشتباكات مُحدّدة مُسبقاً.

د_ إعدادُ القوات المدافعة نفسها مسبقاً، وذلك بتنسيق ومراجعة أعمالها على الأرض واكتساب المعرفة الوثيقة بتضاريسها، ومن خلال نشر قوات التَّأمين والاستطلاع عبر المنطقة. وهذه التحضيرات تضاعف من قوة الدِّفَاع، ليستمر القائد بعدها في إعداد الدِّفَاع بالعمق حَتَّى مع بدء الاشتباكات مع الخطوط الأولى.

هـ_ إعداد المواقع التَّموينيَّة في الخطوط الخلفية، فبحسب كلاوزفيتز:

> **"يحظى المنسحب دفاعاً بالقدرة على جمع المواد التَّموينيَّة التي سبق لَهُ ترتيب أماكنه، أمَّا المهاجم فهو في حاجة لأن ترسل مدخراته إلى الأمام، وهذه مهمة صعبة طالما واصل تقدمه بغض النظر عن قصر خطوط مواصلاته. هنا سيعاني المهاجم من نقص التموين منذ البداية، ولا يمكنه الاعتماد أو التعويل على استيلائه على مستودعات ومدخرات العَدو التَّموينيَّة."**[1]

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص657.

3ـ وفيما يخص التنسيق النَّارِيّ، فإن المدافعين يشتبكون مع قوات العَدو بجميع القوة النَّاريَّة المتاحة حين دخول العَدو لمنطقة اشتباك الوحدة المدافعة، مع اتخاذ تدابير السَّيطَرَة النَّاريَّة المتمثلة بتحديد نقاط مرجعية للأهداف، وخطوط بدء الاشتباك ومناطق الاشتباك.

4ـ أنَّ المدافعين يحاولون الاشتباك مع العَدو على مديات بعيدة، وإنهاك قوة العَدو أثناء تقدمه. ويمكن للنيران المباشرة وغير المباشرة أن توفر الحماية النَّاريَّة (الحجاب النَّارِيّ) الأخيرة، وهو حاجز ناري مُعدٌّ مسبقاً يُرمى فوراً وبسرعةٍ عاليةٍ لإعادة الحركة عبر الخطوط والمناطق الدِّفَاعِيَّة.[1]

وفي الحروب الثَّوريَّة، يُعدُّ التخطيط المسبق للدفاع أمراً حاسماً، لأنَّ القوات الثَّوريَّة ستبقى حَتَّى مراحل متأخرة من الحرب معتمدة على الدِّفَاع السلبي، الذي يقوم بِشَكلٍ أساسي على التَّمَلُّص والحركة والمراوغة، وسيتطلَّبُ الدِّفَاع الثَّوريّ الفعَّالُ ضدَّ الهجمات البَرِيَّة :

أـ وصولَ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ بِشَكلٍ فوري.

بـ إعدادَ خططٍ وتدرياتٍ قِتَالِيَّة مسبقةٍ.

جـ إعدادَ مواقعَ قِتَالِيَّة مَحمِيَّةٍ.

دـ تجهيزَ قوَّةِ ردٍّ سريعٍ.

هـ توفيرَ الأسلحةِ والذَّخائر، ومنافذَ الهروب.

وـ نشرَ مجموعاتٍ من الحرَّاس ودوريَّات التَّأمين.

زـ نشرَ عناصرِ الإنذارِ المبكِّرِ على مسافاتٍ كافية.

---

[1] **adrp3-90**، الفقرات 32،30، 33 من الفصل الرابع.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

كَانَ السوفييت في أفغانستان يشنون عَمَلِيَّات هُجُومِيَّة متواصلةٍ على قواعد المجاهدين، وفي إحدى هَذِهِ العَمَلِيَّات تمَّ إبادة مجموعة كاملة من الثُّوار بسبب إهمالهم للتخطيط الدفاعي المسبق.

يروي القائد الأفغاني الحاج عبد القادر أحداث العَمَلِيَّة فيقول: "في التاسع من شهر كانون الثاني عام ألف وتسعمئةٍ وأحدٍ وثمانين، شَنَّت مفرزةٌ سوفيتيَّةٌ إغارةً على منزلي في قريةِ سايغاني، على بُعدِ حَوالي ستَّةِ كيلومترات شمالَ شرقَ قاعدةِ باغرام الجويَّة.

في تلكَ اللَّيلة، كَانَ لديَّ ضيوفٌ من لغمان في بيتي داخلَ القرية، فسهرْنا إلى وقتٍ مُتأخِّرٍ من الليل بينما نتسامر، وصرفتُ معظمَ رجالي للمبيتِ في القرى الأخرى المُجاورة، بينما احتفظتُ بأربعين منهم في سايغاني (اثنان وعشرون منهم من سكان القرية).

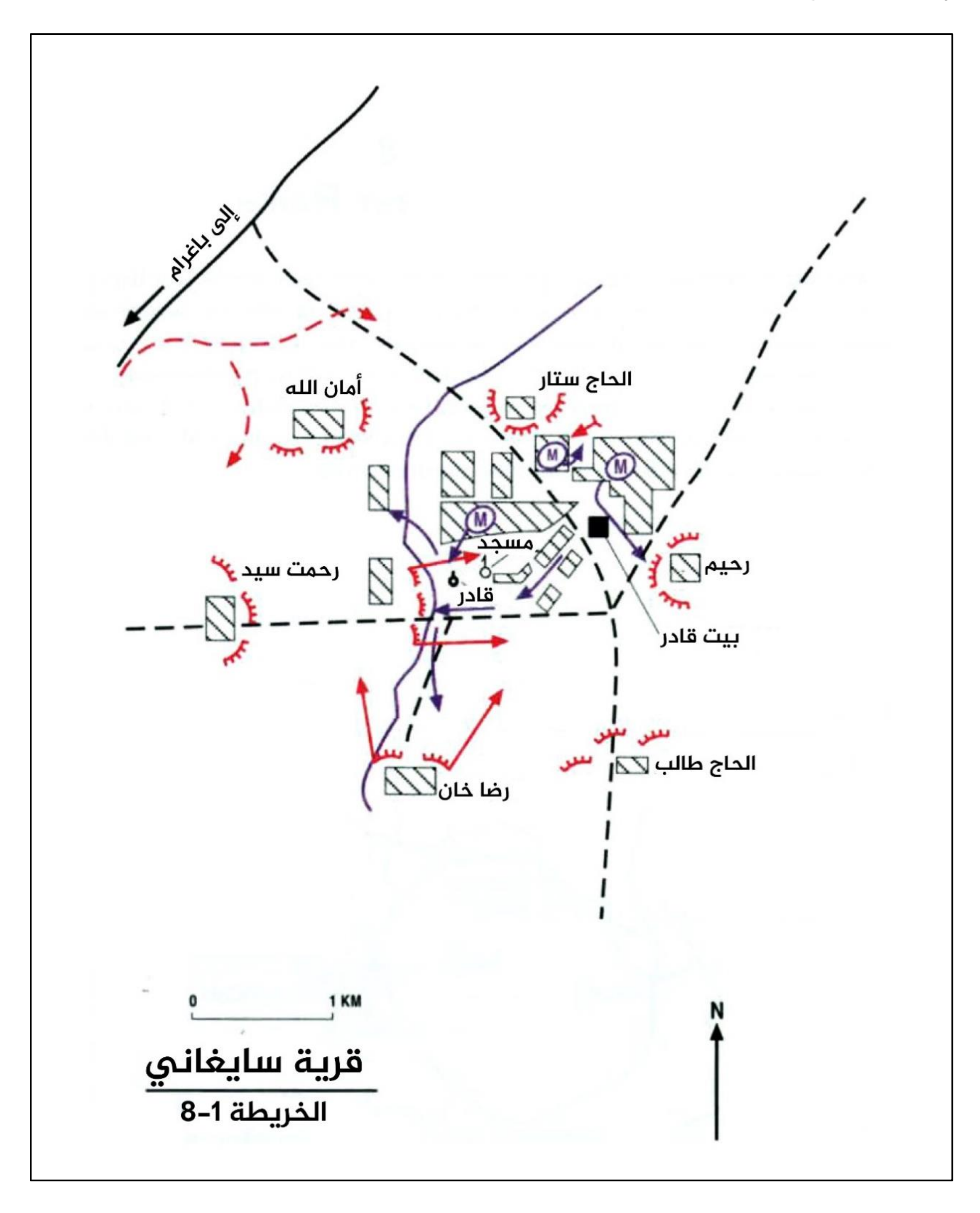
تضمُّ قريةُ سايغاني مئةَ منزلٍ على جانبي الطَّريقِ الرَّئيسي. وكانَ بيتي قريباً من مسجدِ القرية، محمَّياً بهياكل تشبهُ الحصونَ وتحيطُ بكلِّ القريةِ (الخريطة 8-1-سايغاني).

وضعتُ مفرزتين للحراسة، الأولى في بيتي والثَّانيةَ في المسجد. وخيَّمَ الهدوءُ طيلةَ تلكَ اللَّيلةِ تماماً، وبدأَ تساقطُ الثُّلوجِ في منتصفِها. وفي الصَّباح الباكر، استيقظتُ لتأديةِ صلاةِ الفجر. فأبلغني الحرَّاسُ على السطح بأنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام. إلا أنَّني أثناءَ وضوئي، لاحظتُ مشاعلَ إشارةٍ تمرقُ عبرَ السَّماءِ الغائمة. وكانت تأتي من اتّجاهيْ الشَّمالِ الشَّرقي والجنوبِ الشَّرقي.

بالرُّغمِ من أنَّ الوضعَ بدا ساكناً في اللَّيلِ بالنِّسبةِ للحرَّاس، إلا أنه كَانَ هائجاً بالنِّسبةِ لمفرزةِ الإغارةِ السُّوفييتية. فقد تسلَّلُوا من باغرام إلى القريةِ أثناءَ تساقطِ الثُّلوجِ ليلاً مُسترشدين بالأدلاءِ والمُخبرين، واحتلُّوا بكلِّ هدوءٍ مباني حولَ القرية. وفي وقتِ الفجر، كَانَ العَدو

[1] تمَّ اقتباس العَمَلِيَّة من كتاب الجانب الآخر من الجبل، ترجمة مركز الخطابي، الفصل الثامن، المقالة الأولى.

قد اتَّخذَ مواقعَ قِتَالِيَّة في حصونِ الحاج ستار ورحيم والحاج طالب ورضا خان والحاج رحمت صيد وأمان الله.[1]



[1] الكثير من البيوت في أفغانستان محاطةٌ بالجدران العالية السميكة المصنوعة من اللبن، وهي في الحقيقة حصونٌ صغيرة.

بمجرَّدِ رؤيتي للمشاعلِ سألتُ الحرَّاس عنها. فأخبروني بأنَّهم ظنُّوا بأنَّ العَدو على الطَّريقِ المتَّجهِ نحوَ القريةِ على بُعدِ كيلومترين. إلا أنَّني لم اقتنعْ، واعتقدتُ بأنَّهم أقرب، ولم يكن لديَّ وقتٌ لجمعِ جميعِ رجالي، فخرجتُ بخمسةَ عشَرَ مقاتلاً ممَّن كانُوا في منزلي، وحاولنا الهروبَ من القرية. وبعدَ بُرهةٍ من خروجِنا من البيت، أدركتُ أنِّي نسيتُ حقيبتي التي تتضمَّنُ بياناتِ مجموعتي. فأرسلتُ أخي الأصغر لجلبِها، وأمرتُ رجالي بالنُّزولِ إلى أسفلِ الطَّريقِ نحوَ المسجد ومن ثُمَّ التوجُّهِ نحوَ حصنِ رحمت سيد على أطرافِ القرية. ومن هُنَاكَ نخرجُ للتوجُّهِ إلى مناطقَ يسيطرُ عليها المجاهدون.

بقيتُ أنتظرُ أخي، وبعدَ بضعِ دقائق عادَ إليَّ وهرَعْنا لنلحقَ بالمجموعة. وأدركْناهُم وقد اقتربُوا من المَجرى المائيِّ بعدَ المسجد. وكانت المفاجأةُ، فقاعُ المَجرى مليء بالجنودِ السُّوفييت وقد نصبُوا لنا كميناً، وأطلقُوا النَّار على رجالي ببنادق ال AK-74، وأردَوا في الحالِ ثلاثةً من رجالي قَتلى. هَرَبَتْ بقيَّةُ مجموعتي لتختفيَ في الظَّلام، بينما تحرَّكتُ نحوَ الجنوبِ الغربيِّ، إلا أنَّه كَانَ هنالك كمينٌ آخر، فقُتل رجالي عن آخرِهم، وحَرَقَت طلقةُ خطَّاط تساداري (وشاحي الغليظ)، فنبَّهني أخي باحتراقِه، فسحبتُه وألقيتُه بعيداً، إلا أنَّ هذا الأمرَ لفتَ أنظارَ الكمينِ الأوَّل، فأطلقُوا النَّار علينا وأردَوا أخي قتيلاً. وفقدْتُ الاتِّصالَ بمجموعتي، فتحرَّكتُ نحوَ الاتِّجاهِ المُعاكس وخرجْتُ خِلْسةً من القرية عبرَ بيتٍ في أطرافِها.

لقد أغلقَ العَدو جميعَ الطُّرقاتِ ومنافذَ الهروب، ولم ينجُ أحدٌ من المجاهدين من هَذِهِ الإغارة غيرِي، إذ قتلَ العَدو أربعين مجاهداً وخمسةَ عشَرَ مدنياً في مواقع مختلفةٍ من القرية."

تحليل:

إنَّ انعدامَ التَّأمين الفعَّالِ في القريةِ كَانَ العاملَ الأكبرَ في نجاحِ الإغارة السُّوفييتيَّة، وهذا ما تَسبَّبَ في إبادةِ مجموعةِ المقاومةِ الأفغانية.

كَانَ التَّأمين الفعَّالُ سيحمي الوحدةَ من الهجومِ المباغِتِ، وسيوفِّرُ الوقتَ والمجالَ الكافيَ لِلقُوَةِ الرَّئيسيَّة للتجهزِ والانتشارِ وخوضِ القتالِ بأنسبِ ظروفٍ ممكنة. ولو أنَّ المجاهدين نشرُوا دوريَّاتٍ لتأمينِ مُقتربات القرية، لما استطاعَ العَدو الاقترابَ دُونَ انكشافِه في الغالب، ولما استطاعَ مباغتةَ عناصرِ المقاومةِ وهم غَافلون. أمَّا بالنِّسبة لمفرَزَتَي الحراسَة التي نَشَرَهُما القائدُ عبد القادر داخلَ القرية؛ فلا تستطيعانِ إلا توفيرَ الحمايةِ القريبة، لا التَّأمين التكتيكيَّ للوحدة.

كَانَ ينبغي للمجاهدين حَتَّى يتجنَّبوا الكارثةَ تجهيزُ خطةٍ للطوارئ، وتعليماتٍ واضحةٍ للعناصر ولقادةِ المجموعةِ في حالِ حدوثِ هجومٍ مباغت. وكان يَجِبُ أن تتضمَّنَ الخطَّةُ تحديدَ موقعِ كُلِّ عنصرٍ وقائدِ مجموعةٍ فرعيَّةٍ خلالَ إقامتِهم في اللَّيلِ داخلَ القرية. لقد كَانَت باغرام مُنشأةً سُوفييتيَّةً كبرى، إلا أنَّ غرورَ المجاهدين وزُهُوَّهم بأنفسِهم ساهمَ بهزيمتِهم.

ونظراً لتفاجئِه من وجودِ القُوَّاتِ السُّوفييتيَّة، لم يعمل عبدُ القادر على فرضِ قيادةٍ وسيطرةٍ محكمةٍ على الوضع، ذاكراً بأنَّه لم يكن لديه الوقتُ الكافي للوصولِ لكلِّ مقاتلٍ وقائدِ مجموعةٍ فرعيَّة. لكنَّه فشلَ حَتَّى في قيادةِ مجموعتِه المؤلَّفةِ من خمسةَ عشَرَ رجلاً من المرافقة. فقد انتظرَ أخاه ليأتيَه بالحقيبة، فيما أرسلَ مجموعتَه من دُونَ تعيينِ قائدٍ بديلٍ لهم. فبقيَتِ المجموعةُ بلا قائدٍ حَتَّى وقعَت في كمينين.

تعلَّمَ الحاجُ عبد القادر درساً مهماً وقاسياً جداً. وكما قال، لم تَبِتْ مجموعتُهُ مرَّةً أخرى في سايغاني إلا وقد نشرَت مفرزةً أمنيَّةً قويَّةً على مقترباتِ القرية، وعلى مسافةٍ لا تقلُّ عن كيلومترين.

المبدأ السابع: الإعاقة

يشمل هذا المبدأ كافة الإجراءات الحربية والاستخبارية التي تتكفل بمنع العَدو من استكمال تهيئة الظُّروف التي ستمكنه من الهجوم. وعملاً بهذا المبدأ، يُعَرقِلُ المدافعون من سرعة عمل المهاجمين ومن قدرتهم على تنسيق أعمالهم لمنعهم من حشد القوة القِتَالِيَّة الكافية للتقدم، كما يُوظِفُ القادةُ المدافعون مجموعةً من أعمال الإعاقة لبلبلة استعدادات العَدو وتعطيل هجماته، وبمجرد وقوع العَدو في الوهَنِ والتردد فإن النصر سيكون حليف العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة الحاسمة كما ينص على ذَلِكَ كلاوزفيتز:

"إن سبب تحقيق المدافعين للنجاح دُونَ قتال حاسم في حالات عديدة هو: وهَنُ عزيمة المهاجم التي أدت به إلى التردد وخوف التحرك".[1]

تشتمل أساليب الإعاقة هَذِهِ على تضليل قوات استطلاع العَدو أو تدميرها، وتجزئة تشكيلاته، وعزل وحداته، والهجوم على أنظمته أو إعاقتها. إذ لا ينبغي للمدافع أن يسمح للمهاجم أبداً بأخذ كامل الاستعدادات الهجومية، بل لابد من استخدام الهجمات الإفسَاديَّة قبل أن يستطيع الأعداء تركيز قدراتهم القِتَالِيَّة، كما يَجِبُ القيام بالهجوم المضاد قبل أن يستطيع العَدو أن يعزز أي مكاسبٍ لَهُ. إِضَافَةً إلى هذا يُوجِهُ المدافعون قدرات الحرب الإلكترونية ضد أنظمة القيادة والسيطرة التابعة للعدو، ويعرقلون باستمرار قوات العَدو في العمق.[2]

تتضاعف أهميَّةُ هذا المبدأ في الحروب الثَّوريَّة، لأنَّ قوات الثُّوار حَتَّى مراحل متأخرة من الثَّورَة لن تكون قادرة على تنفيذ عَمَلِيَّات دِفَاعِيَّة مباشرة، أو على الأقل إدامتها، وهنا يعمل مبدأ الإعاقة لمنع وقوع هَذِهِ الهجمات أصلاً.

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص539

[2] Offense and defense, adrp3-90, 4.4

وتحقق القوات الثَّوريَّة العمل بهذا المبدأ من خلال:

1. استمرار العَمَليَّة السّريَّة داخل مناطق العَدو والتي تستهدف بنيته التحتية وقواته العَسكَرِيَّة وكوادره.
2. استمرار العمل بأساليب الاحتجاج السِّلميّ التي تعطل مؤسسات الحكومة وتشل عمل النظام.
3. تخصيص مجموعاتٍ صغيرة على الجبهات العَسكَرِيَّة المفتوحة لتستمر في المناوشة والاشتباك مع قوات العَدو المدافعة.
4. الاستفادة القصوى من عامل الأرض والحركة.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

كادَتْ أن تكونَ الحربُ في أفغانستان مُنحصرةً في: **"محاولةِ كُلِّ طرفٍ السَّيطَرَة على لوجستيَّاتِ (خطوط إمداد) الطَّرف الآخر"**، وذلك لأنه إذا تمكن أي طرف من إعاقة إمداد عدوه فإنه سيقوي بالتالي عملياته الهجومية. فكانَ السُّوفييت يقومُون بتنفيذِ عَمَليَّات القصفِ الجويِّ والألغامِ القابلةِ للنَّثرِ وحرقِ المحاصيل الزَّراعيَّة واقتحامِ القُرى الريفيَّة لدفع سكانِ الرِّيفِ نحوَ النُّزوحِ للمنفى أو المدن. **وقد كَانَ غرضُهم من ذَلِكَ: "تجفيفَ منابع إمدادِ الثُّوار من حَيْثُ الطَّعامُ والمأوى، وحرمانَهم من الرَّاحة" وبالتالي تعطيل أي قدرة لدى الثُّوار على الهجوم.**

بينما كَانَت خطوطُ الاتِّصالِ (الإمداد) السُّوفيتيَّة (LOC) متمثِّلةً في شبكةِ الطُّرُق السَّريعَة المزدوجةِ التي لا تحوي منصِّفات، والتي تخترقُ جبالَ الهندوكوش التي تُعدُّ من أشدِّ التَّضَارِيس وعورةً في العالم. وكانَ المجاهدون يَقطعون هَذِهِ الطُّرُقَ باستمرار، ويكمنونَ لقوافلِ الإمدادِ المارَّة عليها والتي كَانَت تحملُ الموادَّ اللوجستيَّة القَادمة من الاتِّحادِ

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، الفصل السادس، المقالة 3.

السُّوفييتي. وقد اعتمدَ بقاءُ الجيشَ السُّوفييتيّ في أفغانستان على قدرتِه في إبقاءِ هَذِهِ الطُّرُقِ مفتوحةً. وكانت مُعظمُ معاركِ السُّوفييت في أفغانستان مُوجَّهةً للسيطرةِ على شبكةِ الطُّرُقِ هَذِهِ، حَيْثُ تطلَّب منهم تأمينُ خطوطِ الإمدادِ الشَّرقية: ستٌّ وعشرون كتيبةٍ، تشغلُ مئةً وتسعةً وتسعين مركزاً ثابتاً أو تقومُ بدوريَّاتِ تَفَقُّدٍ أو تعملُ على مرافقةِ القوافلِ من أجلِ حمايتِها. بينما تطلَّبت طرقُ الإمدادِ الغربيَّة التي تمرُّ بتضاريسَ أقلَّ وعورةٍ ثلاثَ كتائبَ فقط. وقد تمَّ تكليفُ أكثرَ من ثلاثةِ أرباعِ القُوَّاتِ القِتَاليَّة السُّوفييتيَّة على نحوٍ منتظمٍ في مهمَّاتِ التَّأمين هَذِهِ. كما أُشغِلَت القُوَّاتِ الأفغانيَّة أيضاً في مهامِ تأمينِ طُرُقِ الإمدادِ وتأمينِ المناطق.

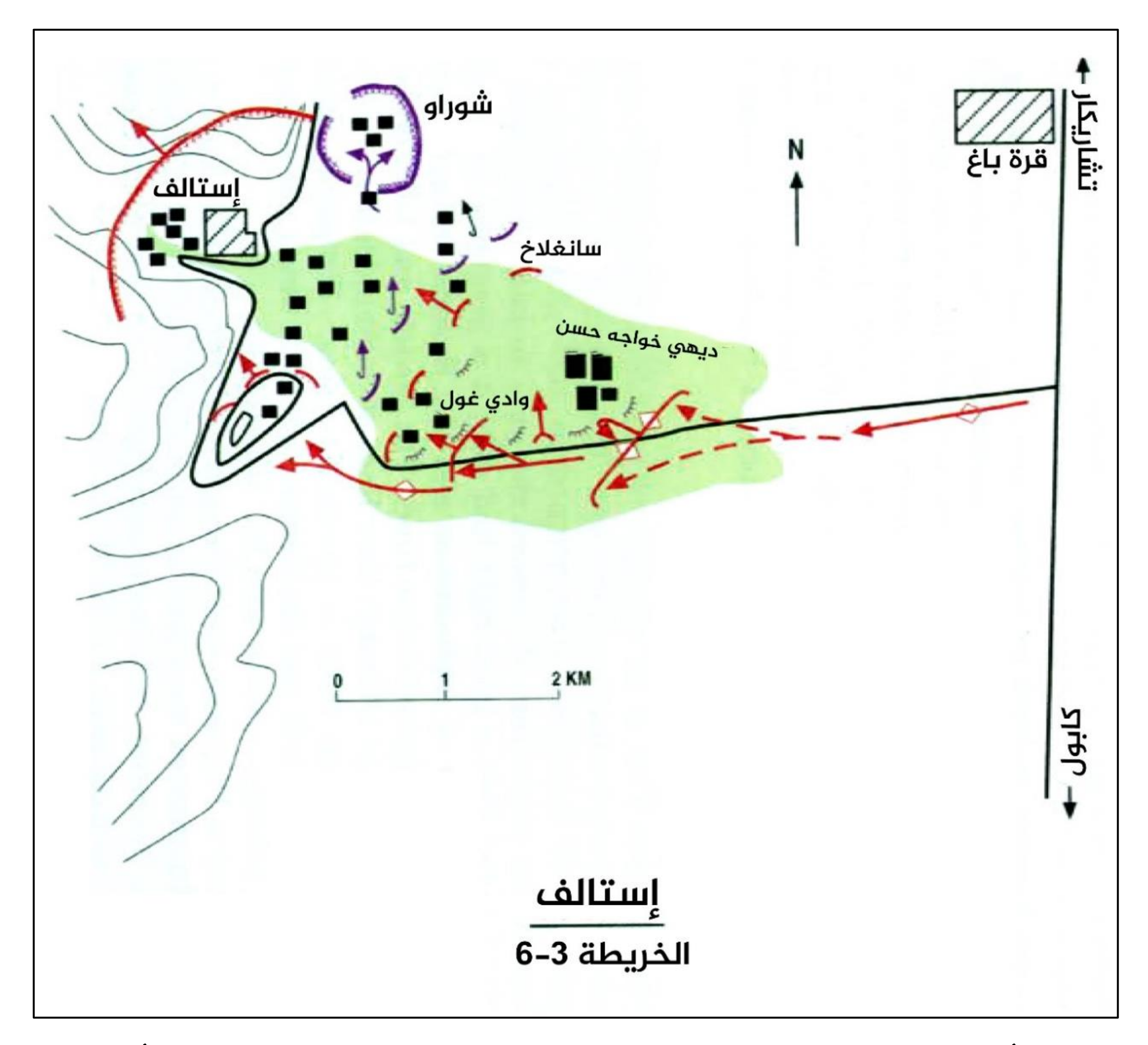
لقد استطاعَت المقاومةُ الأفغانيَّةُ تدميرَ أكثرَ من إحدى عشْرَ ألفَ شاحنةٍ سُوفييتيَّةٍ للإمداد، كما وردَت تقاريرُ تُفيدُ بأنَّ خسائرَ النِّظامِ الأفغانيّ من الشَّاحنات كَانَت أعلى. ومثَّلت قدرةُ المجاهدين على اعتراضِ طرقِ الإمدادِ هاجساً مستمراً للسُّوفييت، كما مَنَعَتهم من إدامةِ قوَّةِ احتلالٍ أكبرَ في أفغانستان.

وكمثال عن معارك الإعاقة هَذِهِ يكفينا أن نذكر رواية القائد الأفغاني "صوفي لال غول" عن معركة ستالف التي وقعت في تشرين الأول عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثةٍ وثمانين:

"أُصِيبَ أحدُ رجالي في اقتِتَالٍ مع مجاهدٍ آخرٍ من منطقةٍ أخرى. فأخذتُ مجموعةً من عشرين مجاهداً من قاعدتي في فارزا وَسِرْنا خمسةَ كيلومتراتٍ شمالاً إلى إستالف. وَكُنَّا سنلتقي بوجهاءَ إستالف لتسويةِ النِّزاع مع القادةِ المَحليين الآخرين. وتمتازُ إستالف بأنَّها مَصيفٌ شَهيرٌ، يَقعُ على بُعدِ حَوالي أربعين كيلومتراً شَمالَ كابول.

أَبْلَغَتْ عيونُ العَدو القُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ عن اجتماعِنا، فقرَّرُوا التَّوجُّهَ لمهاجمتنا. فجاءَت القُوَّاتُ السُّوفييتيَّةُ من قاعدةِ باغرام القريبةِ، وجاءَتِ القُوَّاتُ الأفغانيَّةُ من كابول. وفي الليل، أبلغتْنا دوريَّاتُ المجاهدين عند مفرقِ إستالف على طريقِ كابول تشاريكار السَّريع بأنَّ أرتالاً سُوفييتيَّةً وأفغانيَّةً قد تحرَّكت من كابول وباغرام وكانت مُتَّجهةً نحو إستالف، فأيقظْنا بقيَّةَ المجاهدين عندَ الفجر. فانضمَّت مجموعتي المؤلَّفةُ من عشرين رجلاً

إلى قُوَّةٍ قَوَامُها حوالي مئةُ فردٍ بقيادةِ نجلِ زعيمِ قبيلةِ إستالف (وكيل محمد أمين خان). واتَّخذْنا مواقعَ قِتَالِيَّة في بساتين ديهي خواجه حسن وقبرِ مالك (الخريطة 6-3 – إستالف). كَانَت خطَّتنا تَتَمَثَّلُ بإغلاقِ طريقِ إستالف ومنع العَدو من الوصولِ إلى البلدةِ الحاكمةِ على الوادي الخَصب.



إستالف
الخريطة 3-6

قَسَمَ قادةُ المجاهدين رجالَهم إلى فِرقٍ صغيرةٍ من أربعةِ رجالٍ أو خمسةٍ، وَنَشَرُوهم في البساتينِ المُمْتدَّةِ على الطَّريقِ لإيقاعِ رتلِ العَدو في كمينٍ مُمتد. وَوَجَّهنا رجالَنا بتركِ الرَّتل حَتَّى يصلَ أوَّلُه إلى قبرِ مالك، ثُمَّ يفتحُ الجميعُ النِّيرانَ عليه. وَمَعَ وصولِ العربةِ الرَّائدة إلى قبرِ مالك، تمَّ إيصالُ الأمرِ بإطلاقِ النِّيرانِ من القائدِ إلى الجنودِ عبرَ مكبِّراتِ الصَّوتِ المَحمولة. فَضَرَبْنا العَرَبة الرَّائدة وسيَّارَةَ جيب، فَنَشَبَتِ المعركةُ على طولِ الرَّتلِ من قبرِ مالك إلى ديهي خواجه حسن. وترَّجلتِ المُشاةُ السُّوفييت وهاجمُوا مواقعَ المجاهدين وبدؤُوا

بخوضِ اشتباكٍ عنيفٍ معنا. كَانَ منَ الصَّعبِ بالنِّسبةِ للمُشاة السَّوفييت العملُ على تثبيتِ قُوَّاتنا، لكونِنَا مُنتشرينَ في البَساتين، مِمَّا مَنَحَنا مَجالاً للمناورة.

استمرَّ القتالُ في البساتين حَتَّى السَّاعة الثانية عشْرَةَ، حَيْثُ نفدتِ الذَّخيرةُ، فانسحَبَت مجموعاتُ المجاهدين في اتّجاهات مختلفة، ونقلُوا جرحَاهُم إلى مناطقَ آمنة. بقي السُّوفييت في البلدةِ لثلاثةِ أيَّامٍ مُتتاليةٍ، ثُمَّ قفلُوا عائدين إلى قواعدِهم. كَانَت خسائرُ المجاهدين في هَذِهِ المعركةِ قتيلينِ وثمانيَ عشَرَ جريحاً، معظمُهم نتيجةَ القصفِ الجويّ السُّوفييتي."

تحقق مبدأ الإعاقة في هَذِهِ المعركة عندما بادر المجاهدون بضربِ القوات المهاجمةِ قبل وصولها إلى هدفها، فأحسنُوا العملَ بردِّهم العاجلِ وانتشارِهم السَّريعِ على امتدادِ الطَّريقِ المُؤدي إلى إستالف، واستفادُوا من معرفتِهم بالأرضِ في التَّعجيلِ باختيارِ المواقعِ القِتَالِيَّة الفعَّالة، مستغلِّين التَّضَارِيس والغِطاءَ النَّباتيَّ لإخفاءِ أنفسِهم من القُوَّات الجويَّةِ والبريَّة السُّوفييتيَّة، ولولا صنيعهم هذا_ أي إذا بلغت القوات المهاجمة إلى هدفها وحاربت حَيْثُ كَانَ مرادها_ لكانت خسائرُ المجاهدين فادحةً للغاية.

كَانَت هَذِهِ العَمَلِيَّة معيقةً للقُوَّاتِ السُّوفييتيَّةَ والأفغانيَّةَ التي لم تستطع الالتفافَ على المجاهدين أو تطويقَهم، وكُلَّمَا قدرُوا عليه هو مجرَّدُ الضَّغطُ عليهم. وهذا الأمرُ أفشلَ محاولتَهم في فرضِ معركةٍ حاسمةٍ وسَمَحَ للمجاهدين بالانسحابِ دُونَ خسائرَ فَادحةٍ.

المبدأ الثامن: المباغتة

هي عبارة عن تنفيذ العَمَلِيَّات في زمان ومكان وبطريقة لا يتوقعها العَدو، بحيث لا يمكن للعدو أن يعمل بالتصورات المطلوبة للمواجهة وردة الفعل. ولتحقيق أصل المباغتة، ينبغي ألا يكون العَدو مطلعاً على العَمَلِيَّاتِ إلا في المقطع الذي لا يكون لديه متسعاً من الوقت للقيام بردة فعل مؤثرة. ويتجلى فن الحرب عندما تستعمل القيادةُ جميع المبادئ السابقة لتحقيق المفاجأة.[1]

ورُوي أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها.[2] وذلك لتحقيق المباغتة في جميع عملياته العَسكَرِيَّة وتيسيراً لأعماله القِتَالِيَّة بمفاجأة العَدو. كما يقول سن تزو:

> **"عندما نستطيع الهجوم يَجِبُ أن نبدو كما لو كُنَّا عاجزين عنه، وعندما نُنَاوِرُ ونُحَرِكُ قواتنا يَجِبُ أن نبدو خاملين، وعندما نقترِبُ يَجِبُ أن نجعل العَدو يَظُنُّ أنَّنا بعيدون، وعندما نكون بعيدين يَجِبُ أن نجعل العَدو يَظُنُّ أنَّنا قريبون".[3]**

يعتمد التطبيق النَّاجِحُ لهذا المبدأ في الحروب الثَّورِيَّة على:

1. الحيلة والخداع.
2. تضليل الرؤية واستخدام فنون التَّمويه والإخفاء والتَّحصين الهندسيّ.
3. استثمار السّكان والأرض للحد الأقصى.
4. مقاتل وقائد عقديٌّ شجاع.
5. الاعتماد على الإبداع والخروج عن التقليد والتكرار.

---

[1] مركز الخطابي للدراسات: الخطابي ملهم الثَّورات المسلحة، الطبعة الأولى، ص198.

[2] صحيح البخاري، حديث 2787.

[3] فن الحرب، سن تزو، الفصل الأول، فقرة 17.

والخلاصةُ: أن التغيير في الأساليب المتداولة للعمليَّات، واستخدام التكتيكات الفاعلة، والابتكار الناجح، واستثمار الظُّروف والعوامل الطَّبيعيَّة، يُمَكِّنُ القادة من مباغتة العَدو بِشَكلٍ غير متوقع. كما أن المباغتة تتحقق كذلك في ظل الجرأةِ **والشَّهامةِ** وهذا ما ينبغي أن يكون عليه القادة. وأفضل نتيجة قد تحصُلُ دائماً في الحرب الثَّوريَّة، تَتَأتَى من خلال تنفيذ بقية المبادئ بالتزامن مع مباغتة العَدو.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

في سبتمبر عام ألفٍ وتسعمئة وستةٍ وثمانين، كَانَ النِّظامُ الأفغانيُّ -مدعومَاً بالقُوَّاتِ السُّوفييتيَّة- يُحاولُ فرضَ السَّيطَرَة على بانجوايي مركزِ مديريَّة بانجوايي في أفغانستان (خريطة 4-2-بانجوايي). وتقعُ بانجوايي على بُعدِ خمسةٍ وعشرين كيلومتراً جنوبَ غربَ قندهار. وقد كَانَت هَذِهِ المُديرِيَّة ذاتَ أهميَّة عسكريَّةٍ لكلا الطَّرفين، لكونِ البلدةِ والتِّلالِ المحيطةِ بها توفِّرُ قاعدةً مواتيَةً للعملِ العَسكرِيِّ في المنطقةِ الخضراءِ التي كَانَت تمتدُّ على طولِ الطَّريقِ إلى مدينةِ قندهار. كما كَانَت هَذِهِ المنطقةُ ساخنةً وتُمَثِّلُ حاضنةً للمقاومة، وكانَ في صالح جميع المجاهدين المحلّيين السَّيطَرَة عليها.

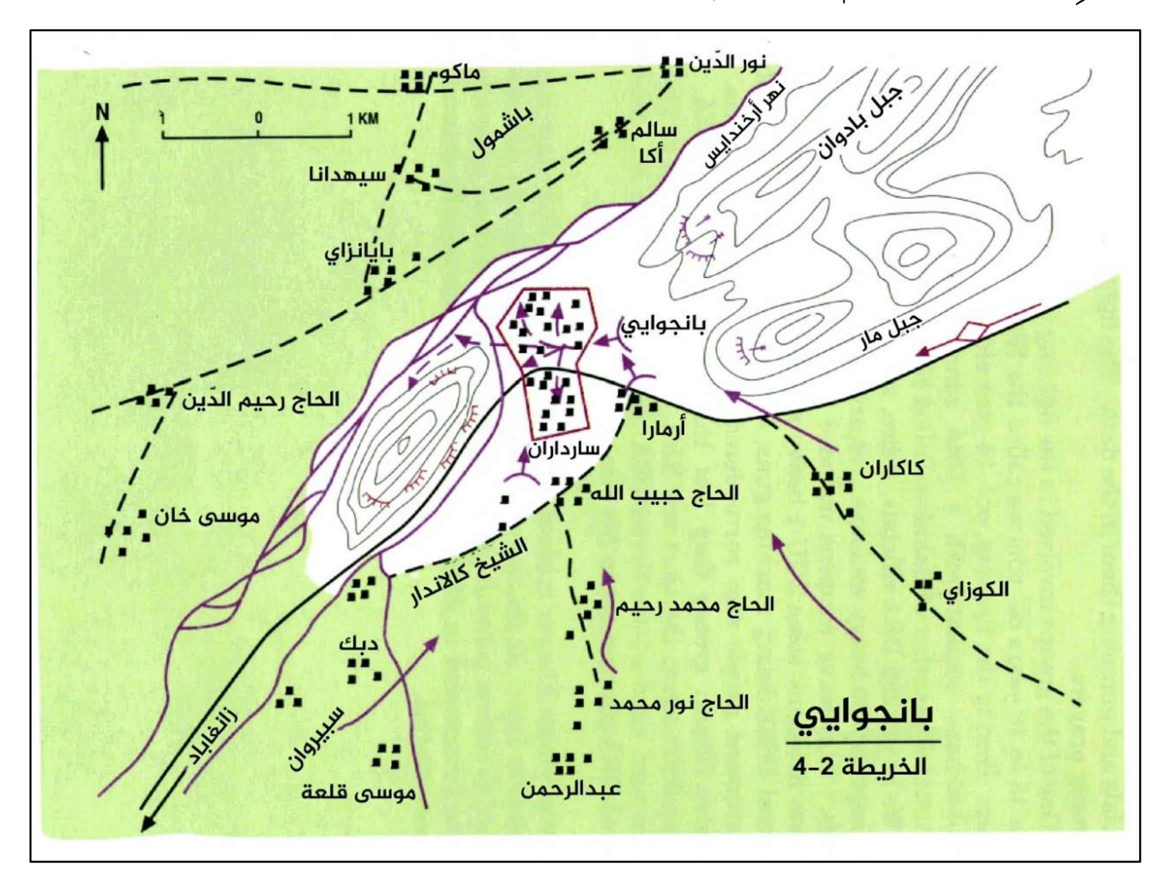
اجتمعَ قرابةُ ألفِ مجاهدٍ قربَ بانجوايي لِغَرَضِ السَّيطَرَة عليها. وقد كَانَ هذا العملُ تحتَ إدارةِ "الملَّا مالانغ" وبعضِ القادةِ الآخرين، وكانَ الملا مالانغ قائداً في الحزبِ الإسلاميِّ التابع لمَولوي يونس خالص.

كَانَت البلدةُ محميَّةً من قِبَلِ ميليشيات أفغانيَّة يَزيدُ عَدَدَها عن ثلاثُمئةِ مقاتلٍ، حَيْثُ كانُوا يقطنونَ فيها برفقةِ عوائلهم. وقد حولَّت أفرادُ هَذِهِ الميليشيات بيوتَهم وجميعَ المباني الأخرى إلى مواقعَ مُحصَّنة، كما أنشؤوا مواقعَ مُحصَّنة جاهزةً للرَّماية فوقَ أَسطح البنايات، واحتلُّوا المُرتفعاتِ الحاكمةَ على البلدةِ وأطرافها، وقامُوا بتحصينِها.

---

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، الفصل الرابع، المقالة 2.

بدأَ المجاهدونَ العملَ بحصارِ البلدةِ وقصفِها لمدَّةِ يومين، إلا أنَّ تأثيرَ القصفِ كَانَ لا يُذكَر على المدافعين، بل إنَّ المجاهدين قد وجدُوا أنفسَهم في مَرمَى نيرانِ مدفعيَّةِ العَدو وقصفِهِ الجويِّ. فاضطرَّ معظمُهم للانسحابِ إلى القريتين المُجاورتين؛ "سبيروان" و"زانغاباد".



في اليومِ الثَّالثِ من العمل، قرَّر القائدُ ملا مالانغ اختراقَ البلدةِ بمجموعةٍ صغيرةٍ من خمسةٍ وعشرين مجاهداً والسَّيطرةَ على عددٍ من المَواقعِ الحاكمةِ على أطرافها، وفي الظَّهيرة قادَ مالانغ المجموعةَ، ودخلَ بها من الجهةِ الجنوبيَّةِ للبلدةِ ومع أفرادِها العديدُ من المجارفِ والمَعَاول، فقامُوا -وبكلِّ هدوءٍ- بفتحِ ثغرةٍ عبرَ جدارِ اللَّبِنِ إلى داخلِ أحدَ البيوت. وبمجرَّدِ دخولِهم، بدؤُوا التَّقَدُّم من بيتٍ إلى بيتٍ من خلالِ فتحِ الثَّغَرَات عبرَ الجدران. ولم يلاحظْ أفرادُ الميليشيات الذين كانُوا على أسطحِ البنايات تسلُّلَ المجاهدين على الإطلاق، إلى أن فتحُوا ثغرةً في جدارٍ أدَّت بهم إلى باحةٍ مكشوفة.

اندفعَ المجاهدون إلى الباحةِ شاهرين أسلحتَهم، فباغتُوا عناصرَ الميليشيات الذين ظنُّوا بأنَّ المجاهدين قد سيطرُوا على البلدة بأكملِها، فولَّوا الأدبارَ هاربين. واستطاعَت مجموعةُ الملا

مالانغ تأمينَ منطقةٍ آمنةٍ، ثُمَّ نادَوا على المجاهدين خارجَ البلدةِ بأن يتقدَّمُوا، فأتَت المئاتُ منهم وباشَرَت بتمشيطِ البلدةِ من جنوبِ شرقِها حَتَّى شمالِ غربِها، ليصلُوا إلى ضِفَّةِ نهرِ أرغنداب. وعبرَ التَّسلل أيضاً من ثغراتِ الجُدرانِ وتجنب الشَّوارعِ، قامَت قُوَّاتُ المجاهدين بتطهيرِ كلِّ بناياتِ البلدة. وعلى الفورِ تسَلَّقَ مجاهدونَ آخرونَ الأسطحَ ليُشغِلُوا مواقعَ الرِّمايةِ المحصَّنة. ولم يبقَ تحتَ سيطرةِ الميليشيات إلا بناياتُ مركزِ المُديرِيَّة. وفي تلك اللَّيلةِ عزَّزَ المجاهدون انتصارَهم بالهجومِ عليها، إلا أنَّهم لم يتمكنُوا من السَّيطَرَة عليها إلا في اليومِ التَّالي.

وبهذا استطاعَت مفرزةٌ مكونةٌ من خمسةٍ وعشرين رجلاً فِعلَ ما عَجِزَت عنه قوةٌ من ألفِ مقاتل. وقد تمكَّنُوا من تحقيقِ ذَلِكَ من خلالِ توظيفِ عاملِ المُباغتةِ واستخدامِ مقاربةٍ غيرِ مباشرةٍ.

الباب الثالث: عواملُ قوة الدِّفَاع

"يُشكِلُ الثُّوارُ بطبيعتهم تهديداً غير متماثلٍ. فهم لا يستخدمون حرب العصابات لأنهم جبناءُ يخافون "القتال العادل". وإنما يستخدمون هَذِهِ التكتيكات لأنها أفضلُ الوسائلِ المتاحةِ لهم لتحقيق أهداف الثَّورَة. فهجمات حرب العصابات يتمّ عادةً التَّخطيط لها من أجل تحقيق أكبر تأثير سياسي وإعلامي بأقل كمٍ من المخاطر على الثُّوارِ" (دليل مكافحة التمرد الأمريكي)

لَعَلَّ أسوء ما يُعاني منه الثُّوارُ في أيِّ زمانٍ ومكانٍ هو الفرقُ الشاسعُ بينهم وبين عدوهم على مستوى التسليح والموارد البشرية والمادية، حَيْثُ تمتلك الحكومات عادة أو سلطات الاحتلال جيوشاً منظمةً ومجهزةً بأعتا الأسلحة في الوقت الذي يكون فيه الثُّوارُ ليس إلا مجموعاتٍ شعبيَّةً قليلةً تفتقد للعُدَّةِ والعتادِ والتدريبِ.

والثُّوار بين ثلاثةِ خياراتٍ لتداركِ هذا الفارق على المستوى القوة:

أولاً: الحصول على دولة حليفة تمدهم بالأسلحة والتقنيات والتدريبات اللازمة، وهذا نادر الحدوث في التَّاريخ المعاصرِ الذي تقوم فيه التحالفات على المصالح، حَيْثُ لا يتوقع أن تمدَّ دولةٌ على مستوى العالمِ مجموعةً من الثُّوارِ بسلاحٍ يضمنُ لهم التَّفوقَ الكامل، وحتى هذا الدَّعمُ إنْ حصل فسيكون محدوداً وموجهاً ومشروطاً.

ثانياً: تطوير الصِّناعةِ الحربيَّةِ الثَّوريَّة بما يُحقِقُ اكتفاءً ذاتياً للثورة، وهذا أيضاً مستحيلٌ، وذلك ببساطةٍ لأنَّ البُنية التحتيةَ للصناعة الحربيَّةِ في الثَّورَة ستكون بدائيَّةً جداً، ولن تحظى بالوقت الكافي لتطوير نفسها بما يوازي العَدو، ونحن لا نعلم أي حركة ثوريَّةٍ وصلت إلى تطوير خط إنتاجٍ محليّ لصناعة الطَّائرات أو المدرعات أو المدافع أو الصَّواريخ، اللهم إلا بعض الأسلحةِ الخفيفةِ والطَّائرات المسيرة البدائية والصَّواريخ قصيرة المدى، وقد يكون هذا مساعداً، إلا أنه لا يمكن أن يُحقِقَ طبعاً ردعاً ناريَّاً أمام الجيوش المتطورة.

ثالثاً: إيجاد وسائل أخرى لمواجهة القوة النَّاريَّة والجويَّةِ للعدو انطلاقاً من الموارد المتوفرة، فإذا لم يكن بالإمكان إسقاط الطَّائرة بطائرةٍ أخرى أو بصاروخ مضاد للطائرات، فيمكننا أن نُفقِدَ هَذِهِ الطَّائرات فاعليتها ودقتها وقدرتها على الاستطلاع والقصف، وإذا لم يكن من الممكن إسكات نيران العَدو بنيرانٍ موازيةٍ لها في القوة، يمكننا أيضاً أن نستغل ظروفاً معينةً لتُصبح هَذِهِ النِّيران عديمةَ الجدوى والتَّأثير.



الشكل (2): عوامل القوة في الدِّفَاع

يختص هذا الباب في شرح هَذِهِ العوامل التي يمكن للثوارِ من خلالها تدارُكُ الفارق على مستوى القوة بينهم وبين العَدو الذي يفوقهم تطوراً، وهي: الأرض، العمق، الانتشار، الاستمرَارِيَّة، التَّمَلُّص. ورغم التشابه بين هَذِهِ العوامل وبين المبادئ التي ذُكِرَت في الفصل السابق، قمنا بتخصيص باب مستقل يتناولها لأهميتها في الحروب الثَّوريَّة أكثر منها في الحروب النِّظَاميَّة، أي أن الجيوش النِّظَاميَّة إذا لم تحصل على أحد هَذِهِ العوامل في الحرب يمكنها تَدارُكُ النقص الوارد بفواته من خلال استثمار قوتها النَّاريَّة والبَشَرِيَّة، أَمَّا الثُّوار فإنهم بفوات هَذِهِ العوامل قد يخسرون الحرب، لأنهم لا يملكون شيئاً يتداركون به النقص، اللَّهُمَّ إلا إذا تدخلت دولةٌ حليفة لهم، وقليلاً ما يحصل هذا.

العامل الأول: الأرض.

يقول كلاوزفيتز: "**كل موضع تستفيد فيه من الأرض لحمايتك أثناء المعركة فهو موضع دفاعي**".[1] وتشمل الجوانب التي يتمّ استثمارها في الأرض لتحقق لقوات الدِّفَاع المزايا التالية:

1. حقل رؤية ورماية واضح.
2. القدرة على الاختفاء والغطاء.
3. موانعُ طَبيعيَّة يتمّ تعزيزها.
4. النّقاط الحيويَّةُ الحاكمة والمسيطرة على ما حولها.
5. التَّحَكُّمُ في مسالك الاقتراب.

وبمقدور القائد أن يستغل الأرض بأقصى ما يُمكِنُ حينما يأخذ الظُّروف الجويَّة بالحسبان، فهي تساعد في إعداد وإدارة الدِّفَاع.[2]

يُوظِّفُ القائد المدافع التَّضَارِيسَ الحاكمة لعرقلة تَحَرُّكَاتِ العَدو.

ومن هَذِهِ التَّضَارِيس التي تكسبه تفوقاً على عدوه: الممرات الجبليَّة والأنهار والغابات الكثيفة والمستنقعات والجروف والقنوات والمناطق المبنية والمنحدرات العكسيَّةِ.

ينبغي على المُدافع أن يختار المواقع الجغرافيَّةَ التي تُعينُه على حشد النِّيرانِ الصَّديقَة في الوقت الذي تجبر العَدو فيه على تجزئة قواته إذا ما أراد الهجوم على مناطق الاشتباك الصَّديقَة. مثال عن هَذِهِ التَّضَارِيس، أن يختار القائد مَعلماً جغرافياً يغطي شبكةً كبيرة من العوائق أو تقاطعَ طرق أو خانقاً يُؤثِرُ على تَحَرُّكَات قوات العَدو الرَّئِيسيَّة والاحتيَاطيَّة ويُعطِلُ خطوط مواصلاته.

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص565.

[2] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكرِيّ للجيش اللبناني، شريحة رقم 1.

يُحَدِدُ القائدُ نسبة القوى المحتملة التي سيواجهها خلال الدِّفَاع، فيُنشِئُ مواقعَه الدِّفَاعِيَّة انطلاقاً من ذَلِكَ. وانطلاقاً من طبيعة التَّضَارِيسِ يُمكِنُ أن يُحَدِدَ متى سيقترِبُ العَدو من المواقع الدِّفَاعِيَّة وكَمْ الوقت المتوفر لَهُ؟.

وهنا يرتب القائد قواته بما يَزيدُ من احتمالية قتل الأعداء، وذلك بالتأكد من تصفير جميع أسلحته، ووضع نقاط علام على مديات الأسلحة النَّارِيَّة غير المباشرة.

بِشَكلٍ عامٍ، تمتلك القوات المدافعة التفوق في تهيئة التَّضَارِيس، حَيْثُ أنها تقوم مسبقاً بتعزيز العوائق الطَّبيعِيَّة، وتحصين المواقع، ومراجعة العَمَلِيَّات. فهي تعمل:

أولاً: على تهيئة الأرض لفرض قيودٍ على كل جزءٍ من قوات العَدو، حَتَّى يهزم كل جزء منه على حدةٍ.

وثانياً :على تهيئة الأرض حَتَّى يُجبر العَدو على القتال في الأرض التي لا يُفضِلُها، مثل إجباره على القتال في الأراضي المفتوحة التي تطل عليها تضاريس حاكمة مما سيوفر للمدافعين ستراً وإخفاءً. وتعمل القوات المدافعة على استدراج قوات العَدو أو إغرائه إلى مناطق الاشتباك هَذِهِ المُعدّة مسبقاً، كما تعمل تلك القوات على استخدام العوائق وتعزيزها واستخدام التَّحصينات باستمرار لتحسين المناعة الطَّبيعِيَّة للموقع. وفي هذا الصدد يقول كلاوزفيتز:

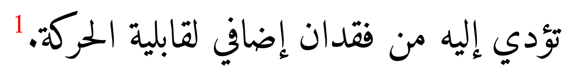
> **"نعتقد أن قوة الموضع الدفاعي تزداد وتقترب من الحالة المثالِيَّة كُلَّما كَانَت القوة مخفيَّةً، وكُلَّمَا ساعد ذَلِكَ الموضع على أخذ العَدو على حين غرة خلال سير العَمَلِيَّة. فالمرء يسعى دائماً إلى خدع العَدو حول القدر العددي الحقيقي لقوته القِتَالِيَّة واتجاهها الحقيقي. كما ينبغي وبنفس الدرجة عدم السماح للعدو بمعرفة الطريقة التي يحاول الاستفادة فيها من الأرض."[1]**

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص 570.

والتَّضَارِيس التي تعين على الدِّفَاع يَجِبُ أن تتضمن:

1. سلسلة من حرف الجبال المتوازية على طول خط تقدم العَدو، حَيْثُ توفر الجبال درجةً عاليةً من القوة للدفاع السلبي، كما أنها لا تشكل بذاتها محذوراً، ما عدى ما تؤدي إليه من فقدان إضافي لقابلية الحركة.[1]





2. مجاري أنهار، وبحيرات، ومستنقعات وغيرها من العوائق غير القابلة للعبور سواء في المقدمة أو الأجناب.
3. أراضٍ مرتفعة ذات حقول مراقبة جيدة وحقول نارية ممتدة.
4. طرق تحرك مخفية خلف المواقع الدِّفَاعِيَّة مباشرة.
5. شبكة طرق محدودة أمام خط الاشتباك لحصر العَدو المتقدم من مقتربات متوقعة.
6. شبكة طرق جيدة خلف خط الاشتباك بما يسمح للقائد المدافع من إعادة تموضع قواته مع مجريات المعركة.

غياب مثل هَذِهِ التَّضَارِيس يُضعِفُ القدرةَ الدِّفَاعِيَّة للمدافعين، فعلى سبيل المثال، إذا ما كَانَت التَّضَارِيس تفتقر لشبكة الطرق، سيضيّق ذَلِكَ على مسار القوات المدافعة، وسيستطيع العَدو المهاجم توقع تَحَرُّكَات المدافع، ثُمَّ سيسهل عليه عرقلة تلك التحركات.[2]

وإن كَانَت التَّضَارِيس تحظى بأهمية كبيرة في الحروب النِّظَامِيَّة فإنها في الحروب الثَّورِيَّة أهم بكثير، فهي بالنسبة للثوارِ عامل قوة كبير يعينهم على الصمود أمام هجمات السلطات المَحليَّة أو القوات الأجنبيَّة الغازية، إن التَّضَارِيس الوعرة توفر للثوارِ قدرة دِفَاعِيَّة مدمرة، حَيْثُ يقول كلاوزفيتز:

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص586.

[2] **ADRP3-30** من فقرة 51 من الفصل الرابع حَتَّى الفقرة 57.

"مع حالة العصيان الشعبي، يصبح تأثير الغابات الكبيرة ومن مختلف الأنواع أكثر أهمية بما لا يقاس، إذ تعتبر الغابات أكثر الأماكن ملائمة لذلك دُونَ نقاش. فإن أمكن استنباط خطة دفاع استراتيجية تجعل خطوط مواصلات العَدو تمر عبر غابة عميقة، فسيمنح ذَلِكَ قوة إضافية طاغية لآلية الدِّفَاع".[1]

كما تُقدِمُ الأرضُ للثوارِ الملاذاتِ الآمنةَ لإنشاء القواعد التَّموينيَّة والتدريبية واللوجستية، والساتر والتحصين الطبيعي للاحتماء والتمويه من عَمَلِيَّات الاستطلاع والقصف الجوي والمدفعي والصاروخي، وفي هذا المقام يقول كلاوزفيتز أيضا:

"الجبال هي الوسط الذي يتنامى فيه العصيان الشعبي، ويمكن أن تجد العصابات فيها ملجأً آمناً ليعيدوا الكرة بالانقضاض ثانية على أهدافهم دُونَ أن يلحقهم أي أذى".[2]

وستكون العوائق الطَّبيعيَّة مانعةً ومعطلة لعمليات التمشيط والتطويق والحصار التي قد تلجأ إليها السلطات، إضَافَةً لهذا فإن البنية التحتية البدائية في التَّضَارِيس الوعرة ستكون سبباً في تعطيل مواصلات العَدو ذو الطابع النِّظاميّ وستجعله فريسة سهلة لكمائن وإغارات الثُّوار.

وفي هذا السياق يقول روبرت تابر مؤلف كتاب حرب المستضعفين:

"يَجِبُ اختيار الأرض المناسبة للحرب الثَّوريَّة عندما يكون ذَلِكَ ممكنًا، والمثالي منها ما كَانَ ريفياً أكثر مما هو مدني ، وما كَانَ وعراً تكسوه الغابات الكثيفة، والسكك الحديدية الطويلة، والطرق السيئة، مع اقتصاد زراعي أكثر مما هو صناعي. كما أن لتركيز السكان، أو تبعثرهم النسبي، أهمية كبيرة أيضاً. فالمنطقة ذات السكان الريفيين المبعثرين هي أكثر ملاءمة من منطقة فيها تجمعات سكنية عظيمة، تفصلها مساحات مزروعة غير مسكونة.

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص633.

[2] المصدر نفسه، بتصرف يسير، ص594.



الشكل (3): محاسن ومساوئ الأرض الوعرة بالنسبة لكل من الثُّوار وأعدائهم.

ويَجِبُ أن توفّر هَذِهِ الأرض ملاجئ طَبيعيَّة، وعوائق تحدّ من التحركات العَسكَرِيَّة، كالجبال أو المستنقعات العصيّة على الدبابات والشاحنات. وتسمح الأحراش والأدغال بالتخلص من المرصد الجوي، وتشكل الغابات منطلقاً للهجوم السريع والمضمون على السكك الحديدية والطرق، ونصب الكمائن للوحدات الصغيرة. ومع ذَلِكَ فإن ثوار العصابات لا يستطيعون انتقاء المنطقة الأكثر بعداً أو وعورة بحثاً عن الأمن، إذ لا بد لهم من البقاء على اتصال دائم مع السكان، حَيْثُ يجدون معين المتطوعين، ومصادر التموين، وحَيْثُ يمكنهم اختيار المراسلين الذين يؤُمِنون استمرار اتصالهم مع الحركة السّريَّة في المدن. تفرض تلك الضَّرورَة اختيار إقليم ذي سكان ريفيين مبعثرين ما أمكن، على

أن يتواجد فيه عادة ملاجئ طَبيعيَّة، وعوائق على تَحَرُّكَات العَدو، بالإضافة إلى ميزة أخرى هي أن إقامة الحاميات الحكومية فيه تكون مكلفةً اقتصادياً."[1]

ويضيف على هذا محمد صلاح الدين فيقول: "على الرغم من أهمية الوعورة إلا أن هُنَاكَ عناصر أخرى لا بد من توفرها في هَذِهِ المناطق.. وهي العناصر التي تساعد على حياة العصابات واستمرارها، وذلك مثل وجود **المياه** السطحية أو على الأقل وفرة المياه الجوفية لإمكانية حفر آبارٍ بها، وقدرة هَذِهِ الأرض على **توفير الأطعمة**، سواء لمميزاتها الزراعية، أو قربها من الحدود والقواعد الخَارجيَّة للعصابات، مما يساعد في شراء المواد التَّموينيَّة."[2]

---

[1] روبرت تابر، حرب المستضعفين، ص 122

[2] محمد صلاح الدين /عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سيَاسيَّة وعسكريَّة (الجزء الثالث) حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ ، ص 84.

مثال واقعي عن هذا العامل:

فيما يلي مثالٌ عن أحد الكمائن الدِّفَاعِيَّة التي استفادت من تضاريس الأرض، حدثت في أفغانستان في ولاية فراه، في شهر تشرين الأول عام ألفين وسبعة. جاء هذا الدِّفَاع بعد أن سيطر مقاتلو طالبان على مراكز مديريات في ولاية فراه.[1] وبمجرد سقوط مركز مديرية غولستان، قام عدة مئات من الثُّوار المزودين بأسلحة ثقيلة بإنشاء مواقع الكمائن في نهر غولستان، وتستر الكثيرون خلف الصخور على طول جبلٍ كبيرٍ يُطِلُ على نقطة دخول أقصى شمال الوادي. هُنَاكَ قاموا بإعداد مواقع الهاون، وقاموا بتحديد إحداثيات أهدافها مسبقاً.

لم يكن هُنَاكَ سوى طريقين إلى غولستان: من الجنوب على طول النهر، ومن الغرب عبر الجبال.

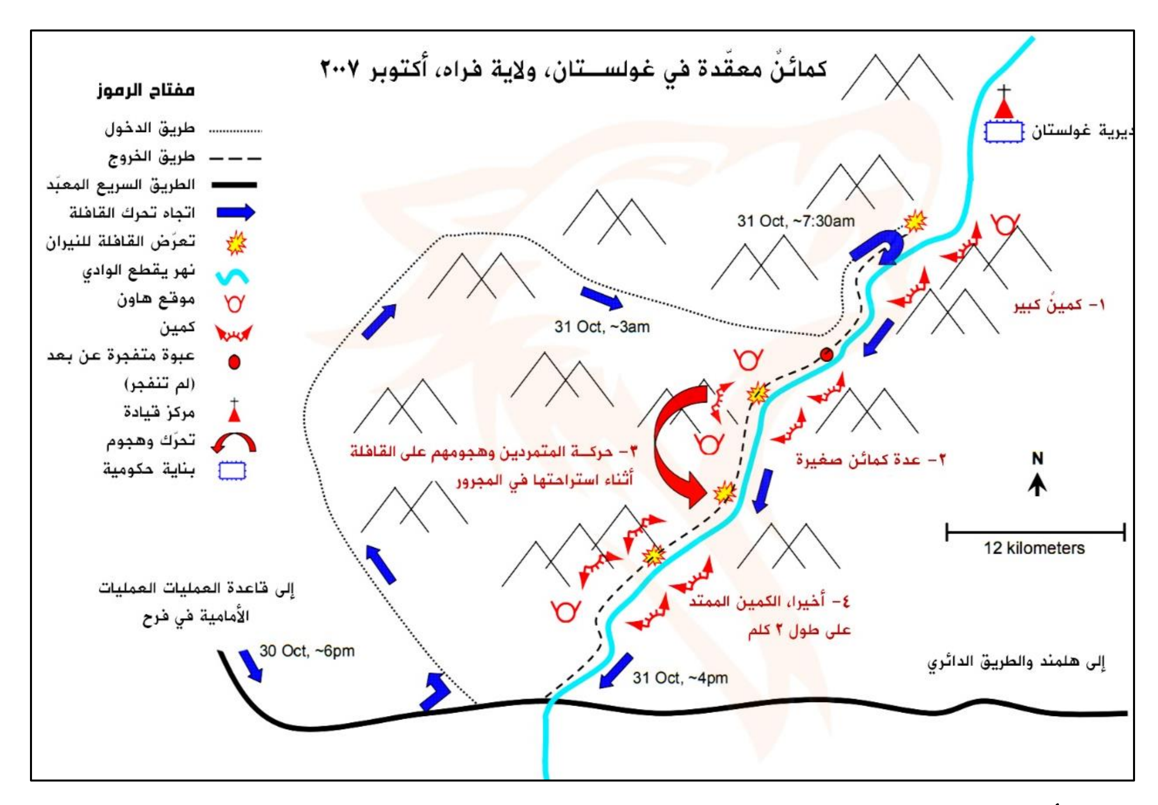
اختار الثُّوار مهاجمة موقعٍ شمال ملتقى الطريقين بالقرب من قرية غوزيني. وتمركزت مجموعةٌ كبيرةٌ أخرى من المقاتلين عند نقطة خنق في الجزء الجنوبي من الوادي، عند نهاية مسار الخروج الوحيد الصالحة للقافلة، حَيْثُ ستكون حتماً مكشوفة للرمايات النَّاريَّة. بينما انتشر الباقون على مجموعات صغيرة على طول العديد من المواقع بين النقطتين السابقتين، ومعظمهم تستروا بهياكل صخرية صغيرة مخفية تُطِلُ على النَّهر.

وقد غطى الثُّوار جميع الطرق الممكنة نحو داخل الوادي وخارجه، وكانوا يعرفون الطريق الذي من المُرجَّح أن تسلكه القافلة عندما غادرت، والوقت الذي ستصل فيه إلى مواقعهم الدِّفَاعِيَّة. كما كانوا يعرفون التركيبة المحتملة للقافلة استناداً إلى معرفتهم بالقوات الموجودة في المنطقة، وكيفية استجابتها لهجمات مماثلة على مراكز المديريات في السابق.

---

[1] كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي: تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، ص46.

في مساء يوم الثلاثين من شهر تشرين الأول، غادرت قوة الرَّد السريع المؤلفة من حوالي سبعين إلى ثمانين فردٍ من الجيش والشُّرطة الأفغانية بقيادة عشرين إلى ثلاثين مُدَرِباً أمريكيَّاً نحو غولستان. لم تكن القافلة تستطيع الاستعانة بالإسناد الجوي، فاقتربت من الغرب باستخدام طريق جبلي طويل وصعب، معتقدة بأن الثُّوار ربما زرعوا ألغاماً على الطريق الرئيسي على طول النهر. كانوا يسيرون طيلة المساء وحتى آخر الليل، ودخلوا الوادي في ساعات الصباح الباكر. ثُمَّ تحركوا شمالاً لمدة ساعتين نحو مركز المُدِيرِيَّة، وحوالي الساعة السابعة صباحاً، وصلوا إلى مضيق الوادي. وعلى الجانب الشرقي، كَانَ هُنَاكَ جبلٌ كبيرٌ، حَيْثُ تمركزت مجموعةٌ كبيرةٌ من الثُّوار منتظرةً ومجهّزةً بالمدافع الرَّشاشة، وقاذفات الآر بي جي، ومدافع الهاون المُعَدَّةِ مسبقاً. ومع شروق الشَّمس مباشرة، كَانَ الجنود في القافلة بالكاد يَرَونَ.



فتح الثُّوار النَّار بأسلحة صغيرة من مواقع متعددةٍ على وجه الجبل، ثُمَّ أطلقوا قذيفة هاونٍ أصابت هدفها بدقة عالية مدمرةً سيارةً تابعةً للشرطةِ على رأس القافلة، مما أدى إلى مقتل معظم ركابها. قُتِلَ أربعةٌ من الشُّرطَة الأفغانية في بداية الكمين، ثُمَّ انسحب ثلاثة رجال

شرطة وجنديان أفغانيان عن القافلة بعد أن تركوا سياراتهم ولاذوا بالفرار، وقد قُتلوا لاحقاً، وتدمّرت وتضررت العديد من عربات الجيش والشُّرطة الأفغانية - جميعها كَانَت شاحنات نصف نقل فورد رينجر غير مصفحة- ثُمَّ استدارت القافلةُ عائدةً علها تستطيع الانسحاب، وتحركت جنوباً لمسافة مئتي مترٍ، غير أنها اصطدمت بكمين آخر أصغر، وردّ الجنود بإطلاق النَّار لكنهم لم يستطيعوا كشف أغلب مواقع الثُّوار، فقرّروا الخروج من الطريق الرئيسي بعيداً عن المنطقة المفتوحة حول النهر.

وفي طريق انسحابهم، قطعوا قرابة أربعمئة إلى خمسمئة مترٍ فوق مسار جبلي متعرّج، ثُمَّ وجدوا في نهاية المطاف ساتراً خارج نطاق أسلحة الثُّوار، واجتمع الهاربون من الجيش والشُّرطة الأفغانية -كَانَ بعضهم راجِلاً- مع بقية القافلة في هذا الموقع. توقفوا هنالك ونظّموا أنفسهم بسرعةٍ، واتصلوا بقاعدة العَمَلِيَّات الأمامية (FOB) في فراه لتأمين الإسناد الجوي القريب، إلا أنَّه لم يكن متاحاً.

خلال ذَلِكَ كَانَ الثُّوار يُغيِّرُونَ مواقع الكمين الخاص بهم من أجل أن يصبح هدفهم في مدى أسلحتهم.

قرّر قائد القافلة التحرك، وقاد فريقه عائداً نحو النهر، وسارت القافلة على الطريق الرئيسي بسرعة خمسةٍ وثلاثين إلى أربعين ميلاً في الساعة.

وطيلة مسافة تقرب من الواحد كيلومتر، كَانَت القافلة تتعرّض لنيران متواصلة من العديد من المواقع الصغيرة على طول الجبال المطلة على النهر، والتي كَانَت ممتدةً في خط طويل حَتَّى نهاية الوادي، والعديد من هَذِهِ المواقع كَانَت عبارةً عن هياكل صخرية صغيرة .بُنِيَت قبل أيام. وفي طريق انسحابها مرَّتِ القافلةُ على عبوةٍ ناسفةٍ على الأقل.

العامل الثاني: العمق

يقول كلاوزفيتز: "طُولُ خطوطِ المواصلات وكَشفُ الجناح الإستراتيجي ، هما من نقاط الضعف الرَّئيسيَّة لهجوم يندفع بعيداً داخل أراضي العَدو".[1] لهذا السبب من المعتاد أن يفضل قائد الدِّفَاع خيار الدِّفَاع في العمق. خَاصَةً وأن الكثير من الظُّروف الملائمة للمدافع لن تتحقق إلا عند نهاية الحملة وعندما يستنفذ المهاجم قوته، وفي المقابل ستكون الظُّروف قد انقلبت على المهاجم الذي سيواجه مع التَّقَدُم أكثر فأكثر قلةً في المؤن وشعباً ساخطاً ومناخاً قاسياً، وهنا تكْمُنُ أهميةُ وجود العمقِ الجغرافيّ.

يُساعِدُ هذا العامل على امتصاص زخم هجوم العَدو بإجباره على تكرار الهجوم في العمق عبر العديد من المواقع المتساندة فيما بينها.

والعمق يتيح الوقت اللازم للمدافعين أن يسلطوا نيران إسنادهم النَّارِيّ بكثافة، كما يمنح المُدافعين العديد من الفرص لتركيز قوةٍ قِتَالِيَّة ضدّ العَدو المهاجم. إضَافَةً إلى هذا يتُيحُ الدِّفَاعُ بالعمق الوقتَ اللازم للمدافعين للرد على الهجوم بهجومٍ مضادٍ، كما يتيح أيضاً الوقت اللازم لجمع المعلومات الاستخباراتيِّة عن نوايا العَدو ومعرفة مسار عمله.[2] ويمكنُنا أن نجمع خلاصة الفوائد التي يُوفِرُها العمقُ للمدافعين بِشَكلٍ عام في النقاط التالية:

1) إجبارُ العَدو على تكرار الهجوم بِشَكلٍ ارتجالي، دُونَ إجراء الاستطلاع والتخطيط اللازم.
2) إتاحةُ فرصةٍ لتركيزِ القوات المدافعة وتكثيف إسنادها النَّارِيّ.
3) توفيرُ الوقتِ اللازمِ للهجومِ المضاد أو المعاكس.
4) توفيرُ الوقتِ اللازمِ لمعرفةِ هدف العَدو ونواياه.

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص665.

[2] الدليل الأمريكي (FM 3-90) الفقرة 28 من الفصل التاسع.

5) حرمانُ العَدو من المراقبةِ الأرضيَّة وكشفُ كل القطاع الدفاعيّ.

- بتطبيق الدِّفَاع في العمق تتبعثر القوات الصَّديقَة وجميع مقدراتها عبر منطقة العَمَليَّات الدِّفَاعِيَّة. وتعتمد درجة التبعثر للقوات المدافعة على قدرات العَدو وقدرات القوات الصَّديقَة في تركيز قوتهم القِتَالِيَّة بسرعة في النقاط الحاسمة.

ولتطبيق الدِّفَاع بالعمق، يضع قائد الدِّفَاع مواقع وحداته في عدّةِ خطوطٍ من المواقع القِتَالِيَّة على طول مقتربات العَدو المحتملة. ويلجأُ لتطبيق هذا النوع من الدِّفَاع في حال وجود الظُّروف التالية في حال :

1. امتلاك العَدو لكمياتٍ كبيرةٍ من الذخائرِ الموجهةِ بدقةٍ أو حَتَّى أسلحة دمارٍ شاملٍ.
2. عدم حصر مهمة الدِّفَاع بمنطقةٍ محددة، وهو ما يسمح للدفاع بالانتشار عبر ساحة المعركة.
3. إذا كَانَت التَّضَارِيسُ لا تفضل الدِّفَاع في الأمام حصراً، وكانت هُنَاكَ تضاريس لها قابلية دِفَاعِيَّة أفضل ضِمْنَ منطقة العَمَليَّات.
4. كَانَت منطقة العَمَليَّة أطولُ عمقاً منها عرضاً.
5. كَانَ المهاجم على استعداد لقبول الخسائر بحيث يستطيع دائِماً اختراق الحاجز الدفاعي الأول.
6. كَانَت قابلية الاختفاء والستر في خط الدِّفَاع الأمامي محدودة.
7. كَانَت القوة القِتَالِيَّة للمهاجم أضعافها لدى المدافع.[1]

تتعاظم أهمية العمق في الحروب الثَّوريَّة، لأنَّ عمقَ المجال الأرضي للعمليات الثَّوريَّة يُصعِّبُ على القوات المعادية اجتياحه بِشَكلٍ كاملٍ في وقت قصير، أو محاصرته حصاراً خانقاً، كما يُوفِرُ العمقُ مجالاً دفاعياً للثوارِ يُمكِّنُهُم من امتصاص الحملات الهجومية بتكتيكات الدِّفَاع المتحرك، وإيقافها في وقت مبكر بالقتال التقهقري، ثُمَّ العودة على قطع طرق إمداد العَدو

[1] الدليل الأمريكي (**FM 3-90**) الفقرة 30 من الفصل التاسع.

التي أصبحت طويلةً وممتدةً، مما يفقد هَذِهِ الحملات فاعليتها وجدواها. إِضَافَةً إلى هذا، يُوفِرُ العمق للثوارِ أماكن تبادلية سواء لقواعدهم المستقبلية أو لتحركاتهم اليوميَّة، كما يسمح لهم بالمناورة الحرة دُونَ الخشية من خطر الوقوع في حصار، فكلما ازداد قطاع العَمَلِيَّات اتساعاً، كُلَّما صعب الاستدلال على الثُّوار من قبل العَدو.

خلاصة الفوائد التي يُوفِرُها العمق للحركات الثَّوريَّة:

1. تعطيل/إضعاف عَمَلِيَّات الرصد والاستطلاع البَرِيَّة والجوية.
2. تعذر عَمَلِيَّات التطويق والحصار.
3. تعذر عَمَلِيَّات التمشيط والبحث.
4. إجبار قوات العَدو على نقاط عديدة وبالتالي إضعافها في كل نقطة.
5. القدرة على التَّمَلُّص من الحملات الهجومية بأقل الخسائر.
6. تعطيل/إضعاف قدرة العَدو على الإمداد العَسكرِيّ واللوجستي.
7. توفير الأوضاع الملائمة بتنفيذ الدِّفَاع المتحرك والكمائن.
8. توفير أهداف لتنفيذ إغارات ضد العَدو الذي اضطر للانتشار.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

وأكبر مثالٍ في العصر الحديث على الاستفادة من العمق للدفاع في الحروب الثَّوريَّة، ما مارسَهُ السّوفييت من حربٍ دِفَاعِيَّة مستفيدةٍ من المساحات الشائعة لبلادهم، مع توجيه مجاميع العصابات السّوفييتية خلف خطوط النازيين. وشنّت مجاميع العصابات الشيوعية الكثير من عَمَلِيَّات حرب العصابات على طرق إمداد ونقل القوات الألمانية.

ففي التاسع عشر من سبتمر عام ألف وتسعمئةٍ وثلاثة وأربعين، بدأت عملية للعصابات السوفييتية تحت اسم "كونسيرت" (أي سري). وكانت إحدى كبرى العَمَلِيَّات الحرب العالمية الثانية في تأثيرها على شبكات السِّكك الحديديَّةِ للوجستيات مؤخرة العَدو النازيّ.

وتمت العَمَلِيَّة عبر خطة رسمتها وأدارتها الأركان المركزية لحركة العصابات في اللجنة العَسكَرِيَّة المركزية بـ"ستافكا"، وكانت العَمَلِيَّة منسقة مع الهجوم المتوقع للقوات السوفييتية في عملية سمولنسك الهجومية (أو عملية سوورف) ما بين السابع من أغسطس والثاني من أكتوبر وعملية عبور نهر دنوبر ضِمْنَ حملة صيف-خريف ألف وتسعمئةٍ وثلاثة وأربعين. وقد اشتملت العَمَلِيَّة على مشاركة مئةٍ وثلاث وتسعين مفرزةَ عصاباتٍ بقوام مئتين وعشْرةِ آلاف شخصٍ من الرجال والنساء وحتى الأطفال.

كَانَت العَمَلِيَّة قائمة على تشكيل العصابات ضد شبكة السكك الحديدية الألمانية، ونجحت العَمَلِيَّة في تقويض ما بلغ نسبته خمسة وثلاثين إلى أربعين في المئة من قدرة السكك الحديدية في منطقة العَمَلِيَّات، وهو ما عرقل تعزيزات الألمان وإمداداتهم لمعركة دنوبر وعلى اتجاه الهجوم السوفييتي في سمولنسك. وشاركت في العَمَلِيَّات عصابات من روسيا البيضاء، وكالينين، وكاريليا، وليثوانيا، ولاتفيا، واستونيا، والقرم.

كما بلغت مساحة منطقة العَمَلِيَّات تسعمئة كيلومترٍ على طول الجبهة (باستثناء كاريليا والقرم) وأربعمئة كيلومترٍ بالعرض. وكانت هَذِهِ العَمَلِيَّة حاسمة في نجاح العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة

[1] Codenames, Operation of world war 2. (https://2u.pw/1ixLK)

السوفييتية في الخريف من العام ألف وتسعمئةٍ وثلاثة وأربعين، ففي روسيا البيضاء لوحدها، زعمت العصابات أنها دمرت أكثر من تسعين ألفَ قضيبِ سكةٍ مع ألف وواحد وستين قطاراً، واثنين وسبعين جسراً للسكك، وثماني وخمسين حاميةً لقوات المحور. ووفقاً للمراجعات التاريخية السوفييتية، فإن قوات المحور خسرت ما مجمله أكثر من ثلاثة وخمسين ألف جندي.



العامل الثالث: الاستخبارات

المعلومات (التي توفرها الاستخبارات) هي الأساس لجميع الأنشطة الأخرى، وهي التي تُوفِرُ الروابطَ التي تسمح للعناصر الوظيفيَّة المنفصلة أن تتعاون كوحدة متكاملة. ويُعَدُّ جمع المعلومات وصياغتها وتخزينها ونشرها أمراً حاسماً في الحرب، وذلك لمساهمته في تشكيل الوعي والفهم بطبيعة الصراع لدى جميع الأطراف الفاعلة.

يَجِبُ أن تستند القرارات في جميع مستويات القيادة على فهمٍ واعٍ ومفصَّلٍ ببيئة المعركة، ويشمل ذَلِكَ معلومات حول:

1. **العَدو:** وقيادته وتشكيله العَسكرِيّ وعقيدته القتاليَّة ومعداته الحربيَّة والتقنيَّة ونقاط ضعفه وخططه المستقبلية الإستراتيجية والتكتيكية...إلخ
2. **الأرض والمناخ:** تحليلات التَّضَارِيس والطقس مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً، وتُؤثِرُ كل منهما بالأخرى في العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة، وتشمل التَّضَارِيس ميزات طَبيعيَّة (كالأنهار والجبال) وأخرى بشريَّة (مثل المدن والمطارات والجسور)، يتمّ جمع المعلومات حول الأرض باستخدام الاعتبارات العَسكَرِيَّة الخمسة للتضاريس وهي:

أ_ هَلْ تتيح مجالاً جيداً للمراقبة؟

ب_ أين يُمكِنُ أن تتركز قطاعات النيران؟

ج_ أيُّ المقتربات والتَّضَارِيس الرَّئِيسيَّة والحاكمة؟

د_ ما العقبات؟

هـ_ ما طبيعة الستر والإخفاء الذي توفره هَذِهِ التَّضَارِيس؟

وتشمل الاعتبارات العَسكَرِيَّة للطقس جمع معلومات حول: الرؤية والرياح والأمطار والغطاء الذي تشكِّله الغيوم ودرجة الحرارة والرطوبة.

3. **الاعتبارات المدنية:** هي تأثير البنية التحتية التي من صنع الإنسان والمؤسسات المدنية وأنشطة القادة المدنيين والسكان والمنظمات داخل منطقة العَمليَّات، على سير العَمَليَّات العَسكَرِيَّة، وتتألف من خمس أجزاء يَجِبُ جمع المعلومات حولها هي: المناطق والبنى والإمكانات والأفراد والأحداث.
4. **القوات الصَّديقَة:** نوع وإمكانيات وحالة القوات الصَّديقَة والدَّعم المتاح.

خلال عملية التخطيط، يستخدم القائد ما توصّلت إليه المخابرات لتحديد أهداف العَدو المحتملة والمقتربات المختلفة، فيدرس نماذجَ عَمَليَّاتِ العَدو المتوقعة ونقاط ضعفه لِشَنّ هجوم معاكس أو معركة تَعرُضِيَّة أو حرب إلكترونية أو هجمات جوية أو استخدام العوائق. ويستخدم القائد مخابراته وعتاد الرصد والاستطلاع والهندسة لديه لدراسة المنطقة، وبدراسة المنطقة يُحاوِلُ القائد تحديد المقتَرَبات العدوة والصديقة سواء كَانَت ثقيلةً أو خفيفةً أو جويَّةً. كما ينبغي أن يحدد أفضل منطقة للهجوم الرئيسي للعدو، إضَافَةً إلى العوامل الأخرى من المراقبة وحقول الرمي، والمُقتَرَبات والمناطق والهيئات الحاكمة، والعوائق والتغطية والإخفاء.[1]

وفي الدِّفَاع بِشَكلٍ خاص، يُوافِقُ القائدُ على خطة المخابرات والمراقبة والاستطلاع التي تُوَفِّرُ تحديداً مبكراً لكل من المتطلبات التالية: [2]

- مواقع، تشكيلات، معدات، نقاط القوة والضعف لقوات العَدو المتقدمة.
- المواقع المحتملة لمناطق تجمُّع العَدو.
- مواقع منظومات الأسلحة ووحدات النيران غير المباشرة.
- مواقع الثَّغَرَات، المجنَّبات المُعرَّضة للهجوم، ونقاط ضعف العَدو الأخرى.
- مواقع الطائرات المروحية للعدو والإنزالات المظليَّة.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 8, 8-32 and 8-33.

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 8, 8-34.

- موقع المدفعية وأسلحة الدِّفَاع الجوي ووحدات الصَّواريخ.
- موقع وحدات الحرب الإلكترونيَّة للعدو.
- موقع وأعداد ونيّات السكان المدنيين.
- تأثيرات الطَّقس والتَّضَارِيس على العَمَلِيَّات الحاليَّة والمتوقعة.
- طرق الانسحاب التي يُرَجَّح أن تستخدمها قوات العَدو.
- أعداد وممرات وتوجُّه حركة المدنيين النازحين.
- الجدول الزمني المتوقع لمسارات العمل المُرَجَّحَة للعدو.
- مواقع مخافر قيادة العَدو، مراكز سيطرة وتوجيه النيران، مواقع الحرب الإلكترونية، ومِجسَّات استمكان الأهداف ومواقع دمج الهدف والترددات التي يستخدمها.

وعلى الأرجح لن يكون لدى القائدِ معرفةٌ تامّةٌ بنيّات العَدو، لذا: يَجِبُ عليه التخطيط لمواصلة جهوده المُخَابراتيَّة أثناء المعركة.

وفي الحرب الثَّوريَّة تتعاظم الحاجة لهذا العامل مع الفارق الشاسع بين قوات الثُّوار والعدو، حَيْثُ يُمكّن الجهدُ الاستخباريُّ الثُّوار من توقع حملات العَدو واجتنابها والتَّملص منها قبل وصولها إلى أهدافها. ولأن الإمكانيات الثَّوريَّة ستكون في بداية الحرب متواضعة، فقد لا يكون بحوزة الثُّوار قوات الاستطلاع وعناصر الاستخبارات الكافية، وهنا ينبغي أن يعتمد عناصرُ الثُّوار بِشَكلٍ أكبر على الشعب الذي سيتعاون معهم في رصد تَحَرُّكَات قوات العَدو عند انطلاقاها.

وعلى سبيل المثالِ: كَانَت حركة طالبان تُديرُ شبكةً واسعةً من المُخبرين والمُراقبين الأماميين الذين يُراقِبون عن كثب تَحَرُّكَات قوات التَّحَالُف، سواء الرَّاجلة أو الرَّاكبة أو المروحية، ويتحرك معظم هؤلاء بدونِ سلاح ويعيشون حياة عادية مثل السكان المحليين. وكانت

بهذا حركة طالبان على درايةٍ مسبقةٍ بمعظم الدوريات والقوافل، كما كَانَ بإمكانها أن تتنبأ بوجهتها وطريقها.[1]

مثال واقعي عن هذا العامل[2]

بين أواخر مارس وأوائل أكتوبر عام ألفين وثمانية، واجهت مجموعة من جنود التَّحَالُف العديد من الهجمات بالعبوات الناسفة والكمائن حول سانجين في ولاية هلمند أفغانستان. ووقعت معظم هَذِهِ الهجمات في "المنطقة الخضراء"، وهي منطقة خصبة ومزروعة بكثافة جنوب مركز مديرية سانجين.

تمَّ تنظيم دوريات بحجم فصيلة انطلاقاً من مركز المُدِيرِيَّة، ثُمَّ في وقت لاحق أصبحت تخرج من قواعد الدوريات التي تمَّ اتخاذها في المنطقة الخضراء، في المكان الذي زرع فيه ثوار حركة طالبان مئات العبوات الناسفة وشنوا الكمائن السَّرِيعَة، فكثيراً ما فجروا عبوة ناسفة ثُمَّ أطلقوا النَّار على الجنود لمدة تتراوح بين الخمسِ والخمسَ عشْرةَ دقيقةً، ثُمَّ قاموا بقطع الاشتباك سريعاًد. وكانت معظم الكمائن على شكل حرف " L".

ثُمَّ انتقل الثّائرون شمالاً خلف الفصيلة، محاولين قطع طريق الانسحاب إلى مركز المُدِيرِيَّة، بينما أبقى ثائرون آخرون على الجانب الشرقي من القناة الفصيلةَ تحت نيران كثيفة، وهي تحاول التحرك إلى الشمال.

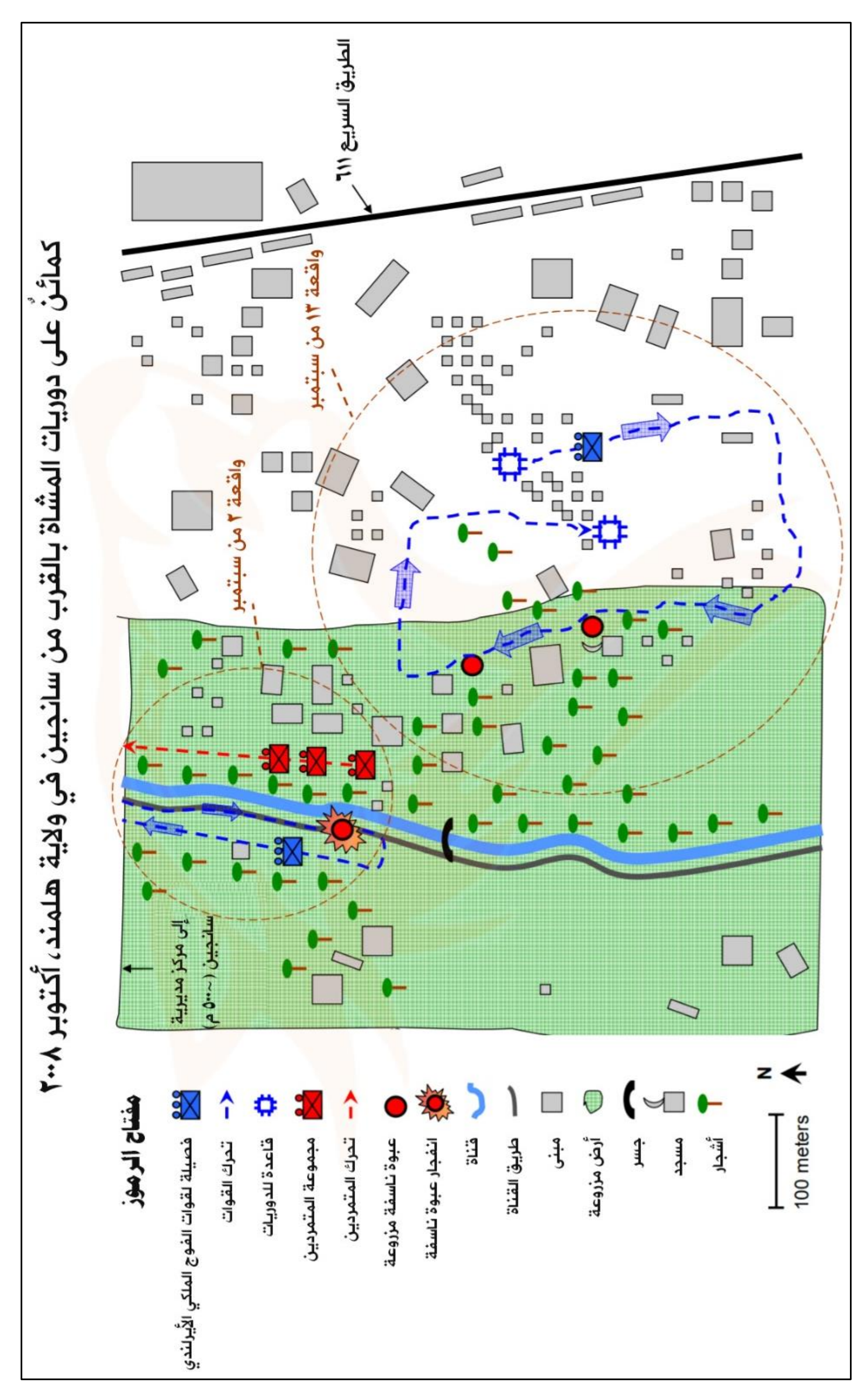
استخدم الثُّوار بِشَكلٍ منتظم المراقبين الأماميين، وهم عادة رجالٌ غير مسلحين يقفون فوق أسطح المنازل أو يتجولون في المنطقة على الدراجات النَّاريَّة ويستخدمون الهواتف

---

[1] انظر كتاب تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، كارتر ماليكسيان وجيري ميريلي، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، ص 139.

[2] كارتر مالكاسيان وجيري ميريلي: تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، ص 68

المحمولة. كَانَت معظم العبوات الناسفة تُفجَّر بالتحكم عبر الأسلاك، وقد تمَّ تصميمها للتحايل على التدابير المضادة التي تستخدمها الدوريات الراجلة البريطانية.



العامل الرابع: الانتشار

بينما يعمل مبدأ التركيز على توفير أكبر قدرٍ من القوة، فإن مبدأ الانتشار يُحقِقُ أكبر قدر من السَّيطَرَة. ولأن الثُّوار لا يبحثون عن السَّيطَرَة أبداً، إلا في مراحل متأخرة جداً من الحرب الثَّوريَّة، فإنهم يُحققون عاملاً شديد الأهمية من خلال الانتشار بدلاً عن السَّيطَرَة، وهو تشتيت العَدو وإجباره على توزيع قواته ليصبح ضعيفاً في كل النقاط.

كما أنهم بتطبيقهم لهذا المبدأ يُفقِدون عدوّهم القدرة على محاصرتهم، إذ سيتعذر عليه ذَلِكَ إذا كَانَ الثُّوار قد انتشروا على مساحةٍ واسعةٍ جداً من البلاد. ولأن وجود مراكز ثقل جغرافيَّة للثوارِ قد يُهدِدُ الثَّورَة في حال استطاع العَدو السَّيطَرَة عليها بحملات الاجتياح، فإن تطبيق مبدأ الانتشار يجعل الثُّوار لا يملكون أيَّ مركز ثقل جغرافيٍّ، وبالتالي لا يجد العَدو شيئاً يُسيطِرُ عليه ليحسِم الحرب. ويتكامل هذا المبدأ مع مبدأ المراوغة والحركة.

الجدير بالذكر أن مبدأ التركيز والانتشار يُكمِّلُ كلّ واحد منهم الآخر. ويتحدث أبو مصعب السوري عن ذَلِكَ فيقول: "لو تصورنا أن البلد مُقَسَّمةٌ إلى أربع ولايات، وكل ولايةٍ فيها عشرة مراكز، وكل مركز كبير حوله عشرة مراكز صغيرة، بحيث صار عددها أربعمئة مركز، وللعدو في كل مركز عادي خمسةُ أشخاص، واحتفظ في الثكنة المركزية لكل مدينة بمئة جندي، وفي الثكنة المركزية للولاية بألف جندي. لا تستطيع العصابة في البداية أن تهاجم بخمسة أشخاص مركزاً يحوي عشرين جندياً، ولا تستطيع أن تنصب كميناً بعشرين مقاتل لرتل من المدرعات يضم كتيبة أو لواء يحوي ثلاثة آلاف جندي، خَاصَّةً مع وجود طيران الهليكوبتر وهو العَدو الأساسي للعصابات، لأنها بكل بساطة دبابة طائرة، معظم الأسلحة الأرضية لا تُؤثِرُ فيها إلا الصَّواريخ، والصَّواريخ يندُرُ ويصعُبُ وجودها في أيدي العصابات في مراحلها الأولى.

فالحلُ لهذه المشكلة أن تقوم بإيقاع العَدو في مصيدة التمركز والانتشار، أنت بخلاياك الصغيرة تُهاجِمُ المواقع الضعيفة في معظم البلدات، تهاجم هنا وهناك فتكون منتشراً، مما

يُشعر العَدو أنه قد فقد السَّيطَرَة وأن مراكزه الصغير ضعيفة والأعداد فيها قليلة، فيقوم بإفراغ المراكز الكبيرة من القوات ويوزعها على كل البلاد من أجل أن يُسيطِرَ عليها، فإذا نشر قواته في كل البلاد من أجل السَّيطَرَة ستجد أن عدد القوة في المكان الواحد بسيط، لأنه إن كَانَ يملك مئة ألف جندي فنشرهم على ألف موقع فلن يبقى معه إلا مئة جندي في الموقع الواحد... إن العَدو عندما ينتشر يفقُدُ القوة في كل مركزٍ لوحده، ويُصبحُ أمامه أحد الخيارين: إمَّا أن يُجمِّعَ القوات في مراكزَ قليلةٍ حَتَّى تكون قويَّةً، فيفقُدَ السَّيطَرَة، أو ينشرها في كامل البلد فيفقد القوة، لأنه إذا جمَّعَ القوات في مراكزَ أساسية أصبحت المسافة بين كل مركزٍ ومركزٍ طويلةً وخاويةً من الرقابة مما يُفقِدُهُ السَّيطَرَة ويُمكِنُ العصابات من الحركة. والعصابة في هَذِهِ الحالة تستفيد من نقطتين:

الأولى: أن العَدو حَتَّى يُسيطر يتحرك كثيرًا، والتحرك يُضعِفُهُ بل هو نقطة ضعف القوات العَسكَرِيَّة، فتقوم العصابات بنصب الكمائن على الأرتال المتحركة.

الثانية: أن المراكز الأساسية التي فيها السِّلَاح والذخيرة أصبحت الأعداد الفردية فيها قليلة، فتستطيع العصابة أن تُغيرَ على مراكزَ فيها أعداد قليلة. وعندما تقوم العصابة بالإغارة على هَذِهِ المراكز مرةً تلو الأخرى يشعرُ العَدو أن مراكزه ضعيفة، فيقوم بتجميع القوات مرةً أخرى، فإذا جمع القوات يفقد السَّيطَرَة على الطُّرُقِ والممراتِ وعلى القرى الصغيرة والحاميات الصغيرة، فتعود العصابة للعمليات الصغيرة والتنظيم والانتشار والاستفادة من عدم وجود العَدو في أماكن كثيرة"[1]

آخر ما يمكن أن نتحدث عنه في مبدأ الانتشار خلال الثَّورَة المسلحة، قاعدةٌ مهمة في الحرب الثَّوريَّة، وهي أن: "**الانتشار السِّريّ للثوارِ يَجِبُ أن يكون في كل البلاد، ويَجِبُ أن يبقى كذلك طيلة أمد الحرب، أمَّا الانتشار العلني فيجب أن يبتدئ بالمناطق النائية، ثُمَّ مع الزَّمَن وانهيار العَدو، يتوسع شيئاً فشيئاً إلى الأرياف ثُمَّ المدن القريبة من العواصم، ثُمَّ العواصم**". وبحسب روبرت تابر: "فالثُّوارُ يندفعون من المناطق الريفية نحو التجمعات

---

[1] أبو مصعب السوري: إدارة وتنظيم حرب العصابات، مع بعض التهذيب.

السكنية، ثُمَّ نحو المدن، وهم يحتلون المرتفعات والأحراش قبل أن يستولوا على الطرق. ويختلف تصرفهم هذا كلياً عن الاستراتيجية الغربية التي تسعى أولاً إلى مسك النقاط القوية (مراكز صناعية، عقد المواصلات التجمعات السكنية الكبرى) ولا تُنظِفُ الأرياف إلا متأخرةً. وليست النقاط القوية ما يهم الثُّوار، بل الأرض التي لا يستطيع العَدو منازعتهم عليها، دُونَ أن يتعارض مع مبادئه، أي دُونَ أن يمدد خطوطه، ويضعف قوته الهجومية.. وهكذا فالتسلسل عند الثُّوار هو الأرياف أولاً ثُمَّ المدن... **وفي أثناء الحملة كلها، يَجِبُ تجنب البحث عن الحسم العَسكرِيّ (السَّيطَرَة على العواصم الكبرى)، حَتَّى اللحظة التي يتحقق فيها للثُّوار توازن القوى، ويصبح بالإمكان مواجهة الجيش الحكومي مع ضمان النجاح بِشَكلٍ واضح...**

تأخذ نشاطات العصابات، على الخارطة في البداية شكل نقاطٍ، ثُمَّ تكبر هَذِهِ النقاط شيئاً فشيئاً لتصبح بُقَعاً، ثُمَّ يتصل بعضها مع البعض الآخر لتغطي باللون الأحمر كل أرض الوطن. لكن فلنتنبه: إن التلوين لا يتقدم من الشرق إلى الغرب، أو من الجنوب إلى الشمال، بل من الجبال والغابات نحو المناطق المزروعة، ثُمَّ إلى قرى هَذِهِ المناطق، ثُمَّ إلى المدن على طول الطرقات الكبرى، دُونَ أن يطغى على هَذِهِ المدن، إلا في المرحلة النهائية"[1]

---

[1] روبرت تابر: حرب المستضعفين، ص 44.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

من أعظم الأخطاء التي ارتكبها محمد عبد الكريم الخطابي وتسبب في هزيمته رغم كفاءته القيادية، هو إهماله لأحد أهم مبادئ الحرب الثَّوريَّة: "**الانتشار والتوزع**". لقد اقتصر على منطقةٍ جغرافيةٍ صغيرةٍ جداً مقارنةً بمساحة المغرب، ولم يكن مهتماً بنقل ثورته إلى جنوب المغرب ووسطه الذي كَانَ يَضُمُّ أكثَرَ بقعةٍ جغرافيةٍ مناسبةٍ لتوسيع التمرد، وهي جبال أطلس. ولم يفكر الخطابي في توسيع الثَّورَة إلا بعد عام ألف وتسعِمئةٍ وخمسة وعشرين، وذلك ليس بدافع استراتيجي، وإنما كردة فعل على الصدام العَسكرِيّ مع الفرنسيين. بل إنه فوّت الفرصة التي كَانَت ستسمح لَهُ بتطبيق هذا المبدأ، وذلك عندما رفض طلب قبائل وسط المغرب القريبة من فاس التي أرادت منه التَّقَدُم إلى مناطقها.ومما زاد الطينة بلة أيضاً وأخل بمبدأ الانتشار بِشَكلٍ كامل أن الخطابي أقام دولة متكاملة في غير وقتها واعتمد أجدير عاصمة لها، مما جعل للثورة مركز ثقل واضح تتجه إليه حملات الاحتلال.

ومنذ سنة ألف وتسعمئة وإحدى وعشرين، لم تستطع أطراف الاحتلال أن تُحقق نصراً حاسماً ضد الثَّورَة الخطابية بِشَكلٍ فردي وبشن حملة من محور واحد. لذا، فقد أصبحت السياسة سنة ألف وتسعمئة وخمس وعشرين تعتمد على فتح العديد من الجبهات في نفس الوقت، مما سيستنزف الثُّوار ويُحقق خرقاً في خطوطهم الدِّفَاعِيَّة. وقد كَانَ الهدف الرئيسي لكل هَذِهِ الحملات هو الوصول إلى مركز ثقل الثَّورَة، مناطق قبيلة بني ورياغل وخاصةً أجدير.

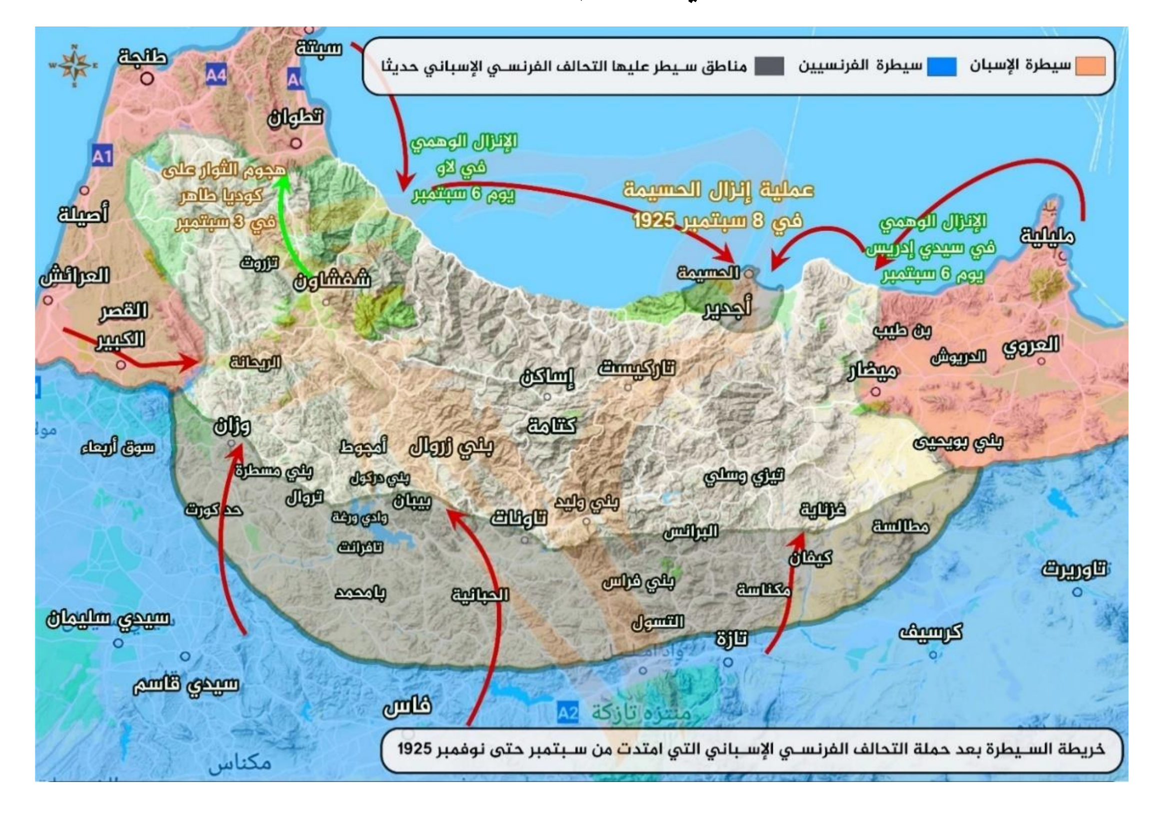
قرر الفرنسيون والإسبان في آب سنة ألف وتسعمئة وخمس وعشرين شنَّ حملة عسكرية باتجاه الريف الأوسط انطلاقاً من البحر شمالاً، ومن بن الطيب شرقاً، ومن تازة جنوباً ومن القصر الكبير ووزان غرباً.

[1] مقتطف من كتاب الخطابي مع اختصار وتهذيب الباب 9 الفصل 2 و3.

وتمهيداً لذلك تقرر أن تُنزِلَ إسبانيا جيشاً في شواطئ الحسيمة بهدف الهجوم من هُنَاكَ على أجدير عاصمة الثَّورَة، ثُمَّ مواصلة الزحف نحو الجنوب الشرقي والغربي، فيما يقوم الجيش الفرنسي في الوقت نفسه بهجوم كبير من الجنوب باتجاه كيفان فيزحف نحو الشمال حَتَّى يتصل بالجيش الاسباني في ميضار فيوحد الطرفان حركتهما العَسكَرِيَّة لإحاطة جبال الريفي الشمالية الشرقية وقطع خطوط اتصال الثُّوار فيضطروا إلى الاستسلام. أمَّا في الجبهة الغربية فقد صمم الفرنسيون على القيام بهجوم كبير من وزان على أن يهجم الإسبان انطلاقاً من القصر الكبير حَتَّى يتصلوا بالفرنسيين على ضفاف نهر لوكوس، وبذلك يستطيعون خرق البلاد شرقا وغربا فينحصر الثُّوار في منطقة محدودة.

بدأت الجيوش الاسبانية والفرنسية بتنفيذ حملاتهما المشتركة في الثامن من أيلول سنة ألف وتسعمئة وخمس وعشرين ، وكان مجموع القوات المعادية قد فاق الأربعمئة ألف جندي، بينما لم تكن أعداد الثُّوار تتجاوزُ الستين ألفاً.

وقد بدأت البوارج الحربية تظهر عند السواحل الشمالية قاصدة خليج الحسيمة للهجوم على أجدير. فيما بدأ الجيش الفرنسي بالهجوم من منطقة كيفان.

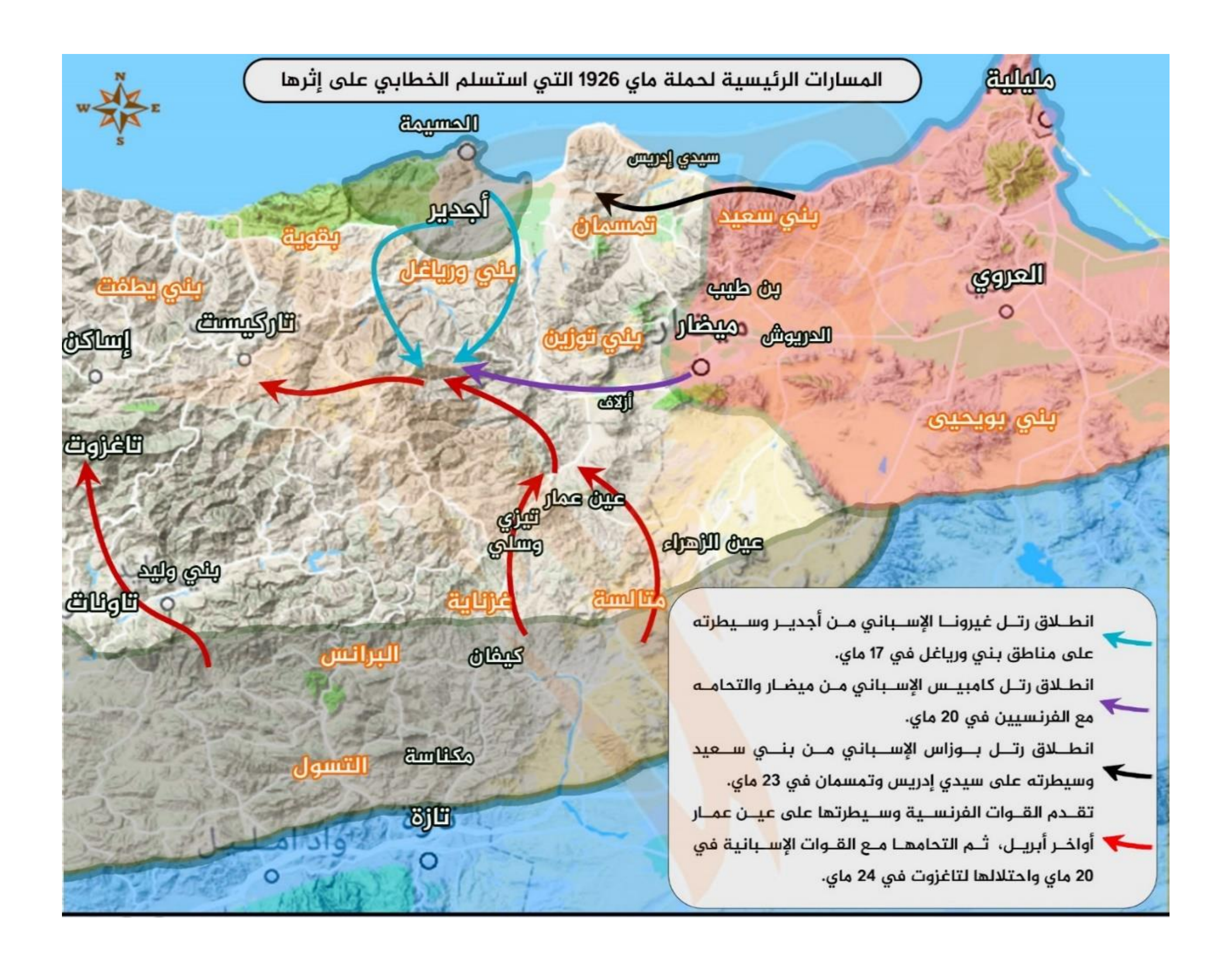


خريطة السيطرة بعد حملة التحالف الفرنسي الإسباني التي امتدت من سبتمبر حتى نوفمبر 1925

دارت بين الجانبين معارك شديدة في الشمال، فبعد عَمَلِيَّات إنزال وهمية في شاطئ سيدي إدريس وشاطئ وادي لاو، هاجمت القوات الإسبانية سواحل الحسيمة وقامت بأكبر إنزال بحري جوي شهده المغرب في تاريخه، حَيْثُ تمَّ نقل ثلاثةَ عشَرَ ألف جندي من سبتة ومليلية، عبر أربع وعشرين سفينةَ نقلٍ حربي إسبانية وفرنسية، واجتاحوا شاطئ "إجداين" و"صباديا" المتواجدين في منطقة الحسيمة.

اضطر الخطابي وباقي القيادات الورغيالية أن يخرجوا برفقة أهاليهم من أجدير، واتخذت القيادةُ الثَّوريَّة من تارجيست مقراً لها، ومع بداية شهر تشرين الثاني بدأت الأمطار بالهطول وتعطلت الأعمال العَسكَرِيَّة الإسبانية والفرنسية واضطروا إلى اتخاذ تموضع دفاعي طيلة الشتاء. ومع انقضاء الشتاء، كَانَ الطرفان الاستعماريان، قد استكملا استعداداتهما العَسكَرِيَّة والتموينية لمباشرة الحملة ضد مركز القيادة في تارجيست، وفي الخامس عشر من نيسان سنة ألف وتسعمئة وست وعشرين، شنت ثلاثة فرق مؤلفة من ثلاثمئة ألف جندي فرنسي الهجوم الربيعي على أربعين قبيلةً بقيت موالية لعبد الكريم. وكان للهجوم ثلاثة محاور: وهي الجنوب الغربي والجنوب الشرقي.

وفي الرابع والعشرين من أيار سنة ألف وتسعمئة وست وعشرين ، انطلقت قوات الاحتلال مجتمعةً نحو تاغزوت ثُمَّ تارجيست، وبمجرد السَّيطَرَة عليها اتصل الخطابي بالفرنسيين، وبدأ التفاوض مع العقيد كوراب، فاشترط عليه إطلاق جميع الأسرى بِشَكلٍ مسبق، وعندما فعل ذَلِكَ استقبلته الحامية الفرنسية في تاغزوت بتاريخ السادس والعشرين من شهر أيار سنة ألف وتسعمئة وست وعشرين، وانتهت بذلك الثَّورَة الخطابية في الريف.


المسارات الرئيسية لحملة ماي 1926 التي استسلم الخطابي على إثرها
مليلية
الحسيمة
سيدي إدريس
أجدير
تمسمان
بني سعيد
بقوية
بني ورياغل
بني يطفت
العروي
بن طيب
تاركيست
ميضار
بني توزين
الدريوش
إساكن
أزلاف
بني بويحيى
تاغزوت
عين عمار
تيزي وسلي
عين الزهراء
بني وليد
تاونات
غزناية
متالسة
البرانس
كيفان
التسول
مكناسة
تازة
انطلاق رتل غيرونا الإسباني من أجدير وسيطرته على مناطق بني ورياغل في 17 ماي.
انطلاق رتل كامبيس الإسباني من ميضار والتحامه مع الفرنسيين في 20 ماي.
انطلاق رتل بوزاس الإسباني من بني سعيد وسيطرته على سيدي إدريس وتمسمان في 23 ماي.
تقدم القوات الفرنسية وسيطرتها على عين عمار أواخر أبريل، ثم التحامها مع القوات الإسبانية في 20 ماي واحتلالها لتاغزوت في 24 ماي.

العامل الخامس: الاستمرَارِيَّة[1]

نقصد بالاستمرَارِيَّة المحافظة على المبادرة وعلى زخم العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة بِشَكلٍ متواصل بما يبقي العَدو دائماً في موقع الصَّدِّ. وإن كَانَ هذا المبدأ في كثير من الجوانب يتداخل مع مبدأ الحركة والإعاقة، إلا أنَّنا قد أفردناه في مبدأ مستقل لأهميته الشديدة في الحرب الثَّورِيَّة.

يهدف هذا المبدأ -تزامناً مع مبدأ الانتشار والحركة- إلى إبقاء العَدو في إطار ردّ الفعل، لأنه ببساطة إن حدث وتفرّغ من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة، فإنه سيقوم مباشرة بتنظيم قواته وحشدها لِشَنّ الحملات العَسكَرِيَّة الضخمة ضد الثُّوار، وهو ما لا يَجِبُ أن يحصل أبداً، لأنَّ دخول الثُّوار في عَمَلِيَّات دِفَاعِيَّة متواصلة سيكون قاتلاً لهم. وبحسب ماو: "يستطيع ثوار العصابات أخذ زمام المبادرة، إذا تذكروا نقاط ضعف العَدو. وبما أنه لا يملك أعداداً كافية من الجنود، فإن بوسع الثُّوار أن يعملوا على مساحات شاسعة. وبما أنه أجنبي وهمجي، فإن بإمكان الثُّوار اكتساب ثقة الملايين من مواطنيهم"، وقد شرح الجنرال جياب هذا بقوله:

> **"باتخاذنا زمام المبادرة، كَانَ بوسعنا حشد قوانا لمهاجمة النقاط الإستراتيجية الضعيفة نسبياً والحصول على نجاحات، وإجبار العَدو على توزيع قواته. ومن جهة أخرى، لو اقتصرنا على الدِّفَاع لما كَانَ بإمكاننا تدمير كثير من الأعداء، ولأصبح تعرُضُنا للخسائر ممكناً ولخاطرنا نحن بتحمل الخسائر".**

إن فقدان مبدأ الاستمرَارِيَّة -حَتَّى لو لم يتح المجال للعدو لِشَنّ الحملات العَسكَرِيَّة- سيسبّب غالباً ضعفاً في مسار الثَّورَة. لأنَّ توقف العَمَلِيَّات سيُتِيحُ فسحةً للعدو لتجميع قواته وترميمها واختراق الثُّوار وتفكيكهم من الداخل، كما أنه سيجعل الشعب يعيش مرحلة من الثقة الزائفة والرخاء البعيد عن الحرب، وهذا خطير جداً على الثَّورَة، لأنَّ الشعب في

[1] مركز الخطابي للدراسات: الخطابي ملهم الثَّورات المسلحة، الطبعة الأولى، ص197.

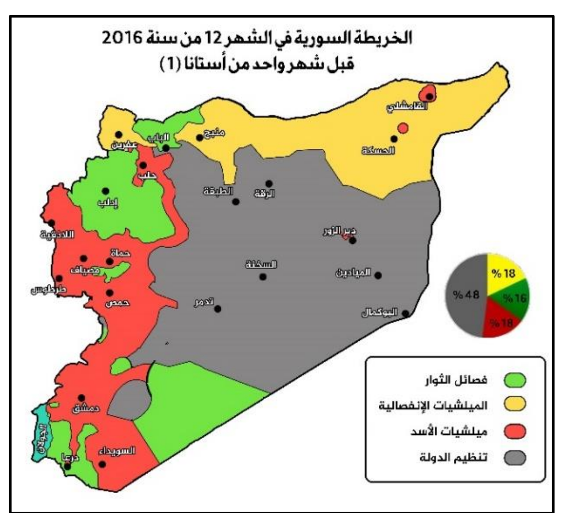
حقيقته هو جيش الثُّوار، بعكس السلطات الحكومية التي تحتفظ بجيوشها في الثكنات. وبعد توقف العَمَلِيَّات لفترة معينة ستكون قيادة الثَّورَة قد فقدت الكثير من السَّيطَرَة على جيشها الذي كَانَ أفراده قد رجعوا إلى نمط حياتهم الطبيعي، ولن يكون قادة الثُّوار قادرين أبداً على حشد قواتهم المطلوبة لصد الحملات التي قد تحدث فجأةً من قبل العَدو.

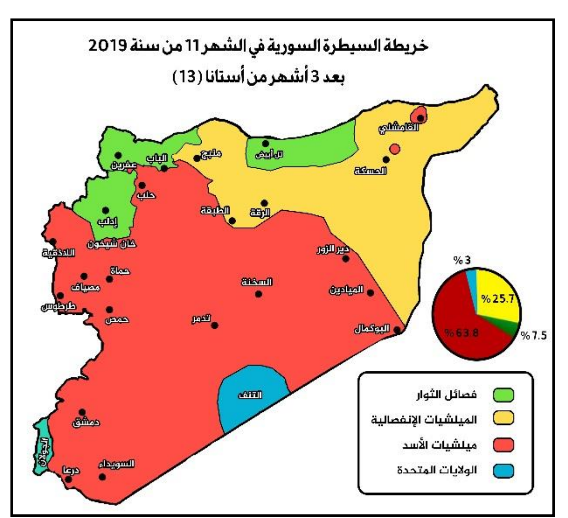
والقاعدة العامة خلال الحرب الثَّوريَّة أنه: يُمَنَعُ منعاً باتاً الموافقة على أيِّ هدنةٍ طويلة الأمد قبل انهيار الحكومة المَحلِيَّة بِشَكلٍ كامل أو انسحاب القوات الأجنبيَّة. وذلك لأنَّ ضعف قدرة الثُّوار على السَّيطَرَة الدَّاخليَّة مقارنة بالسلطات الحكومية، سيجعل إيقاف الحرب لصالح العَدو أكثر منه لصالح الثُّوار. وطبعاً يمكن الاستغناء عن تطبيق هذا المبدأ أحياناً في حال كَانَ العَدو يوشك على الانهيار، وكانت قدرتنا على السَّيطَرَة والحشد قد أصبحت أكبر أو موازية لقدرته.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

منذ كانون الثاني سنة ألفين وسبعَ عشرة وحتى تشرين الأول سنة ألفين وتسعَ عشْرةَ ، عقدت روسيا ثلاثةَ عشَرَ مؤتمراً ضِمْنَ مسار أستانا. وخلال هَذِهِ الأعوام تمكن الاحتلال الروسي من السَّيطَرَة على مناطق الثُّوار التي شملها خفض التصعيد في الغوطة وريف حمص وجنوب وشمال سوريا، هذا غير سيطرته على مناطق تنظيم الدولة في أرياف حمص وحماة ودير الزور والرقة.

مقارنة الخريطة السورية قبل إستانا وبعدها.



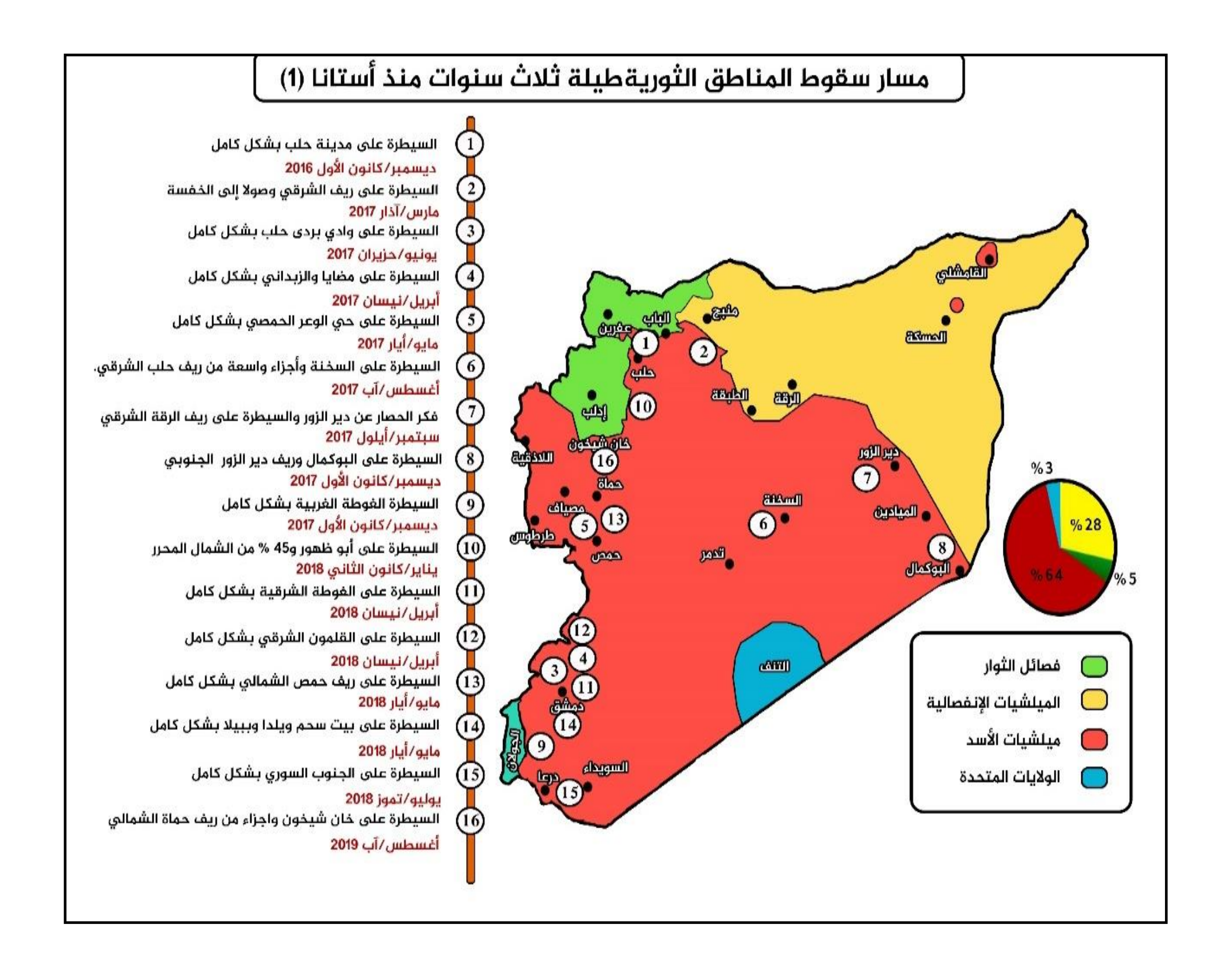


وفي ضوء هَذِهِ النتائج التي تحققت طيلة مسار أستانا، يتضح أن الروس قد دعموا هذا المسار لتحقيق العديد من الأهداف، لَعَلَّ من أبرزها: "تقليص جبهة العَمَلِيَّات التي كَانَت تشمل كل سوريا، وتجميد الجبهات الحربية الكثيرة المبعثرة، للتركيز على الجبهة الأهم بحسب الأولويات التي تقتضيها المرحلة". وبهذا تكون قد أفقدت الامتيازات التي كَانَ يقدمها عامل الاستمرَارِيَّة للثوار.

---

[1] مقتطف من بحث مسار أستانا، مركز الخطابي، الخاتمة.

وطيلة الثَّورَة السورية، كَانَت الجهات السِّيَاسيَّة المفاوضة الممثلة للثوارِ مضطربةً ومقسّمةً، حَيْثُ لم يكن الوفد المفاوض في أستانا يمثل في الحقيقة الثُّوار أصحاب الثقل الميداني والعسكري في سوريا، كما أن الوفد نفسه كَانَت رؤيته للحل مشتةً وجهوده متفرقة، وقد ساهم كل هذا في إضعاف الموقف السياسي والعسكري للثورة بِشَكلٍ عام، وفقدان عامل الانتشار، مما مهد لاستفراد الروس بالجبهات الثَّوريَّة واحدة تلو الأخرى.



العامل السادس: التَّمَـلّص

نقصد بهذا المبدأ: تجنب الدخول في معارك يكون العَدو فيها متفوقاً من حَيْثُ القوة العدديَّة أو النَّاريَّة أو المعنويَّة، وتأجيل ذَلِكَ إلى حين توفر الظُّروف التي تحقق النصر للثوار. ويُعَدُّ هذا المبدأ أصلاً مهمّاً من أصول الحروب الثَّوريَّة التي تقوم فيها المجموعات الثَّوريَّة الضعيفة بخوض حرب ضد الجيوش النِّظَاميَّة القوية، وفي هذا السياق يقول كلاوزفيتز:

"لا ينبغي أن تحول المقاومة التي تنظمها ثورة عامة إلى قوة مادية كبيرة وثقيلة، بل عليها أن تقتصر على كونها قوة غامضة غير محددة وسريعة التَّمَلُّص والاختفاء، وإلا لاستطاع العَدو توجيه قوة كافية إلى مركز هَذِهِ المقاومة وسحقها وأخذ الكثير من الأسرى."[1]

إن دخول الثُّوار مبكراً في مواجهة مباشرة ضد القوات الحكومية أو الاستعمَارِيَّة يُعدُ خطأً إستراتيجياً قاتلاً. وبحسب روبرت تابر: "إنَّنا لا نتعلم في الكتب الإستراتيجية والتكتيك الخاصين بحرب العصابات، إلا ضِمْنَ تفاصيل غير ذات أهمية. فالإستراتيجية والتكتيك يتعلقان دائِمًا بوضع محلي محدد، ويأخذان سمة الوسيلة اللازمة للنجاح. وثائر العصابات مُبتكِرٌ قبل كل شيء. وبالطبع إنه يبتكر تبعاً لأهدافه المباشرة والبعيدة، والأرض، وقوته النسبية، والوسائل المتوافرة لديه، وعناصر أخرى مماثلة.

وبما أنه أقل من العَدو عدداً وعدةً (وإلا لما كَانَ ثائر عصابات)، فإن همَّه الأكثر إلحاحاً هو الاستمرار على قيد الحياة، لذا فإن من **الطبيعي أن يكون التَّمَلُّص قاعدة لتكتيكيه.** فبالتملص يستطيع اجتناب المواجهة خارج الأوقات المناسبة لَهُ، وعندما يتحقق لَهُ تفوق محلي يسدد ضربته بنجاح."[2] وكما قال ماو:

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص672.

[2] روبرت تابر، حرب المستضعفين، ص 121.

"عندما يتقدم العَدو فإننا نتراجع، وعندما يخيم نناوش، وعندما يتعب نهاجم، وعندما يتراجع نطارده... في حرب العصابات ... تجنّب المواقع الحصينة، وهاجم المواقع الضعيفة، وهاجم ثُمَّ انسحب، ثُمَّ وجّه ضربةً صاعقة، وانشد قراراً سريعاً خاطفاً. وعلى العصابات عندما تشتبك مع عدوٍ أقوى منها، أنْ تنسحب عندما يتقدم. وأن تواصل الضغط (المضايقة) عليه عندما يتوقف، وأن توجه الضربة الشديدة إليه عندما يتعب، وأن تلاحقه عندما ينسحب."[1]

ويقول كلاوزفيتز في كتابه عن الحرب: "لا ينبغي أن تتحول المقاومة التي تنظمها ثورة عامة إلى قوة ماديَّةٍ كبيرةٍ وثقيلةٍ، وعليها أن تقتصر على كونها قوةً غامضةً غير محددة وسريعة التَّملُّص والاختفاء، وإلا لاستطاع العَدو توجيه قوة كافية إلى مركز هَذِهِ المقاومة وسحقها وأخذ الكثير من الأسرى".[2] كما يذكر سن تزو هذا المبدأ فيقول:

"إذا كَانَ العَدو في حالٍ أفضل منك تجنبه"[3]

[1] ماوتسي تونغ: حرب العصابات.

[2] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص672.

[3] فن الحرب، سن تزو، ترجمة رؤوف شبايك، الفصل الأول فقرة 21.

مثال واقعي عن هذا المبدأ[1]

كَانَ المجاهدون الأفغان بارعين في التَّمَلُّص، وعادةً ما كانوا يختارون الهروبَ بدلَ خوضِ قتالٍ غيرِ متكافئٍ.[2]

لقد نشأ وترعرع رجال قبائل البشتون الذين يملؤون صفوف طالبان الآن داخل ثقافة حرب العصابات الخالدة، وتعلم معظمهم القتال في سنٍّ مبكرة، وكان جنودهم المشاة ذوي لياقةٍ عالية بالفطرة، آلفين للبندقية، ومعتادين على المشقّة والمخاطر الشديدة. وقد كانوا فاهمين لقواعد النيران والمناورة، والتحرك بسرعة عبر التَّضَارِيس الصعبة بالفطرة. كما أنهم ضليعون في التَّمَلُّص والهروب، ويعرِفون تماماً كيف يتمُّ تجنب الضربات المدفعية والجوية. ولطالما كَانَ قادة طالبان على علمٍ جيد بالعمليات الوشيكة وطرق التَّقَدُم المحتملة للتحالف، كما أن الثُّوار الأفغان كانوا على درايةٍ جيدةٍ بطرق التَّمَلُّص من التطويق والتهرّب من الهجمات الكبيرة، وقليلة تلك هي الوقائع التي صمدوا وقاتلوا فيها.[3]

بين عامي ألفين وخمسة وألفين وستة، حاولت القوات الأمريكية والكندية تطهير واحتلال وادي غومباد الإستراتيجي الواقع على بعد حوالي ثمانين كيلومتراً شمال مدينة قندهار. كَانَ يمثل الوادي قاعدةً معروفة لعناصر طالبان، إذ كَانَ يجتمع فيه عددٌ كبيرٌ منهم بِشَكلٍ متكرر، وصعوبة الوصول إليه جعلته ملاذاً آمناً ومثالياً للثوارِ الذين كانوا ينشطون في المناطق الواقعة جنوباً منه.

عند يتعرض الثُّوار للهجوم <في الوادي> كانوا ينسحبون <مباشرةً> إلى الجبال، وينتظرون هُنَاكَ تراجع قوات التَّحَالُف، ومن ثُمَّ يعودون إلى الوادي. وعام ألفين وخمسة، نفذت

---

[1] العَمَلِيَّة التي وردت في هذا المثال مقتطفة من كتاب تكتيكات طالبان الفصل 3 مقالة 16.

[2] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، التعليق على الفصل 13.

[3] كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي: تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 153.

القوات الأمريكية والأفغانية ثلاث عَمَلِيَّات عسكرية على مستوى كتيبة لتطهير الوادي، وقد كَانَ الثُّوار في كل مرة يقومون بنصب الكمائن الدقيقة ثُمَّ الفرار، وهو ما جعل خسائر الثُّوار على مستوى القتلى والجرحى قليلةً جداً.

خلال الهجومين الأولَيْن <للتحالف>، قاتل الثُّوار انطلاقاً من مواقع محصنة مموهة بِشَكلٍ جيد من فوق جبل يطل على قرية غومباد. وفي الهجوم الثالث، نصب الثُّوار كميناً للقوات في المشارف الجنوبية للوادي، واستخدموا قناصاً لم تتمكن قوات التَّحَالُف من تحديد مكانه أبداً. وفي جميع الحالات الثلاث، كَانَ الثُّوار يلوذون بالفرار قبل دقائق من وصول الإسناد الجوي من خلال طرق هروب معدة مسبقاً.

الهجوم الأول: الدِّفَاع عن وادي غومباد - مايو ويوليو وسبتمبر عام ألفين وخمسة

في أوائل أيار عام ألفين وخمسة قامت الكتيبة الثالثة، فوج المدفعية الميدانية (319) المحمولة جواً (AFAR 319-3)، والمعروفة أيضاً باسم بنادق (مدافع) الشياطين لقوة المهام Task force Gun Devils، بإطلاق عملية على مستوى كتيبة لتطهير وادي غومباد في جبال شمال قندهار، حَيْثُ كَانَ الوادي المنعزل منطقة قاعدة للثوارِ.

بعد ظهر يوم الرابع من شهر أيار ، دخلت الكتيبة وادي غومباد، واقتربت من القرية الواقعة على الحافة الشمالية للوادي، وأقام المظليون مواقع المدفعية جنوب القرية، في حين دخلت مجموعة من قوات الجيش الأفغاني ومدربيهم الأمريكيين إلى البلدة. وحين دخلوا القرية، لاحظوا أن السكان قد غادروا المكان في وقت سابق من ذَلِكَ اليوم أو في اليوم السابق.

قامت مجموعة من الثُّوار المختبئين خلف كومة مرتفعة من الصخور شمال شرق القرية بإطلاق النَّار على السّريَّة باستخدام المدافع الرشاشة وقاذفات الآر بي جي، مثّبتةً بعض الجنود خلف جدار طيني. وفي نفس الوقت، كَانَت هُنَاكَ مجموعة أخرى تضم حوالي عشرين إلى ثلاثين ثائراً مختبئة في موقعٍ ثانٍ مموه شمال غربي المدينة، وقد بقيت هَذِهِ المجموعة ساكنة حَتَّى لا يتمّ كشف وجودها، حَيْثُ كَانَت نية عناصرها: الانتظار، بينما

يقوم رفاقهم الشرقيين (مجموعة الثُّوار شمال شرق القرية) بدفع القوات نحو منطقة قتلٍ معدةً مسبقاً.

على إثر ذَلِكَ، تحركت فصيلةٌ من القوات الأفغانية حول القرية إلى الغرب وصعدت إلى الأرض المرتفعة، حَيْثُ كَانَت تنوي الالتفاف على الثُّوار الذين أطلقوا النَّار على السريّة. وعندما وصل جنود الفصيلة إلى منطقةٍ مكشوفةٍ فوق القرية، قام الثُّوار الذين كانوا يختبئون شمال غرب القرية بفتح النيران عليهم، فقتلوا تسعة جنودٍ أفغان وجرحوا ثلاثة آخرين.

ردّت الكتيبة بقصف سفح الجبل بقذائف المدفعية واستدعت الغارات الجوية، لكنها لم تشن هجوماً أرضياً ثانياً، ثُمَّ قام الثُّوار بقطع الاشتباك قبل وصول الطائرة بقليل، ولاذوا بالفرار عبر تسلق مجموعة من السواقي تجري إلى أسفل الجبل، وبعد انسحابهم أفاضوا هَذِهِ السواقي بهدف منع الجنود في الأسفل من مطاردتهم.

بقي الجنود يقومون بدوريات في القرية والجبال المجاورة حَتَّى اليوم الرابع عشر من أيار، ثُمَّ عادوا بعدها إلى قاعدتهم خارج مدينة قندهار، ومرة أخرى عاد الثُّوار من الجبال، واستأنفوا أنشطتهم في الوادي.

الهجوم الثاني:

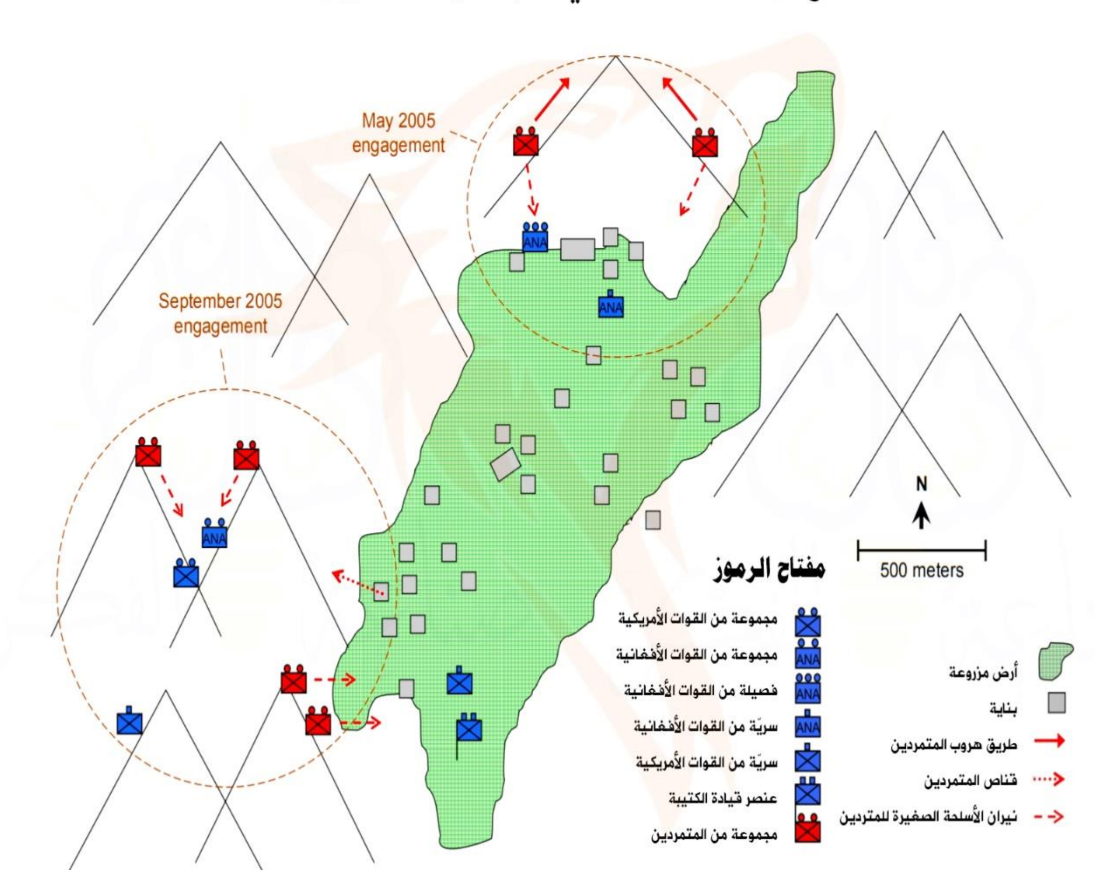
في أوائل حزيران، أطلقت الكتيبة عملية ثانية مماثلة لتطهير غومباد بعد أن أشارت التقارير إلى أن أعداداً كبيرة من الثُّوار كانوا ينشطون هُنَاكَ. وحين تحركت مجموعة من الجنود الأمريكيين والأفغان عبر القرية، فتحت مجموعة من الثُّوار النَّار من نفس الجبل الذي استخدموه في أوائل أيار، مما أسفر عن إصابة ثلاثة جنود من الجيش الوطني الأفغاني وجندي أمريكي واحد.

ردّت الكتيبة على الفور بقصف سفح الجبل بالمدفعية، إلا أن الثُّوار استمروا في إطلاق النَّار خلال القصف المدفعي، لكنهم قطعوا الاشتباك بمجرد وصول الإسناد الجوي.

استمر الجنود في إطلاق قذائف المدفعية على الجبل طوال الليل، كما قاموا بدوريات في المنطقة طوال الأسبوعين التاليين، إلا أنهم لم يجدوا غير بعض آثار دماء بضعة الأشخاص، فعلى الرغم من نيران المدفعية الثقيلة؛ تمكن الثُّوار من إخلاء جرحاهم.

بعد عملية حزيران، كَانَ الجنود الأمريكيون يعودون إلى غومباد مرة كل أسبوعين، ورغم ذَلِكَ، استأنف الثُّوار أنشطتهم مرة أخرى في الوادي.

الدفاع عن منطقة القاعدة، وادي غومباد، ولاية قندهار، بين 2006–2005



الهجوم الثالث:

في أواخر أيلول وأوائل تشرين الأول ، أطلقت الكتيبة الثالثة (3-319) عملية ثالثة على مستوى كتيبة في غومباد. وهذه المرة، كَانَ الهدف هو إقامة قاعدة دوريات دائمة لإيواء فصيلة أمريكية على مشارف القرية.

لم يضع الثُّوار موقعهم هَذِهِ المرة على سفح الجبل شمال القرية كما فعلوا في أول عمليتين، فبدلاً من ذَلِكَ، قاموا بنصب العديد من الكمائن انطلاقاً من نقطتين محصنتين واقعتين على الحافة الجنوبية للوادي ومشرفتين على طريق القرية، من أجل استهداف الجنود الراجلة الذين يتحركون على الأرض المرتفعة. ربما كانوا قد لاحظوا تحرك القوات على طول خط القمم في اليوم السابق، أو توقعوا بأن الكتيبة سترسل قوات راجلة على الأرض المرتفعة كطليعة بقية القوة

لقد كَانَ هُنَاكَ قناصٌ في موقع مموهٍ في الوادي الواقع إلى الأسفل ينتظر الجنود.

وفي الثلاثين من أيلول تحرك جنود من سرية B، الكتيبة الأولى، فوج المشاة 508 (B/1/508)، إلى جانب مجموعة من القوات الأفغانية، نحو الشمال مشياً على الأقدام على طول خط القمم المطل على الوادي إلى الشرق والغرب. كَانَت مُهمتُهم تمشيط مواقع العَدو في الأرض المرتفعة، من أجل منع طالبان من إطلاق النَّار على الجزء الأكبر من القوات الأمريكية التي ستتحرك في الوادي أدناه.

و في حوالي الساعة الرابعة والنصف عصراً، مضت مجموعة من القوات الأفغانية - التي كَانَت في طليعة السّريَّةB - فاصطدمت بمجموعة من خمسة ثائرين كانوا يُعِدون موقع مدفع رشاش على قمة تل في الطرف الجنوبي من الوادي، فقام الثُّوار بتثبيت المجموعة بنيران كثيفة، ثُمَّ فتحوا النيران على بقية الكتيبة عند دخولها أسفل الوادي انطلاقاً من ثلاثة مواقع أخرى، وقاموا بتفجير عبوة ناسفة على قافلة تتحرك عبر طريق خلفي نحو الوادي.

بينما كَانَت السّريَّةB تجري على طول خط القمم لإنقاذ المجموعة الأفغانية المحاصرة، قام قناص الثُّوار بإطلاق النَّار عليهم انطلاقاً من موقع مموهٍ في الوادي أسفلهم، مما أسفر عن مقتل جندي أمريكي.

وعندما وصلت السّريَّة إلى موقع المجموعة المحاصرة قام القناص بإطلاق النَّار وقتل أحد الجنود الأفغان وجرح آخر، ثُمَّ أطلق النَّار على جندي أمريكي في الخلف بينما كَانَ يتسلق

التل باتجاه موقع مدفع رشاش للثوارِ، إلا أن الجنود لم يتمكنوا من تحديد موقع القناص بالضبط.

ومع حلول الظلام، قطع الثُّوار الاشتباك وتوقف القتال. وفي اليوم التالي، تحركت الكتيبة إلى الوادي دُونَ مواجهة أي مقاومة، وبدأت في إقامة قاعدة دورية على مشارف قرية دوريات غومباد.

الثُّوار يهددون الطريق المؤدي إلى قاعدة دوريات غومباد

وبمجرد أن أقامت القوات الأمريكية قاعدة دائمة في غومباد، تحول الثُّوار إلى كمائن الكر والفر الصغيرة وزرع العبوات الناسفة على طول الطريق الوحيد إلى الوادي. كَانَ الطريق عبارة عن مسلك بري (غير مسفلت) مليء بالحفر، وبالكاد كَانَ عرضه يكفي للمركبات العَسكَرِيَّة.

غالباً ما كَانَ الثُّوار يبتدئون الهجمات بالعبوات الناسفة، ومن ثُمَّ يُتبِعونها بكمين صغير. وفي خمس وقائع بين تشرين الأول ألفين وخمسة وكانون الثاني ألفين وستة، قام الثُّوار حول غومباد في كل مرة بتفجير عبوة ناسفة، ثُمَّ إطلاق قذيفة آر بي جي تليها رمايات بالأسلحة الصغيرة، وسرعان ما كانوا يقطعون الاشتباك بعدها.

تولت القوات الكندية التابعة للسرية A، الكتيبة الأولى، فوج "الأميرة باتريشيا" للمشاة الكندية الخفيفة؛ السَّيطَرَة على قاعدة دوريات غومباد في شباط ألفين وستة. وفي ربيع وصيف تلك السنة، قام الثُّوارُ بتصعيد هجماتهم بالعبوات الناسفة على الطريق المؤدي إلى الوادي.

فبين شهرَي آذار ونيسان، كَانَت هُنَاكَ أربع تفجيراتٍ بالعبوات الناسفة داخل دائرة نصف قطرها عشر كيلومترات من قاعدة الدوريات، كل واحدة منها أقوى من الانفجار السابق. وقد أدى انفجارٌ هائلٌ لعبوة ناسفة على طريق داخل الوادي في الثاني والعشرين من نيسان إلى مقتل أربعة جنود كنديين شمال شرق القاعدة مباشرةً.

وفي أيار تسبب هجومان بالعبوات الناسفة في موقع مجاور بإصابة سبعة جنود كنديين.

كما استمر الثُّوار في مضايقة قاعدة الدوريات، ففي أواخر شباط، بعد أسبوع من سيطرة القوات الكندية على الموقع، أطلق الثُّوار قذائف آر بي جي على القاعدة من نفس سفح الجبل الذي استخدموه كموقع دفاعي خلال العَمَلِيَّات الأمريكية في أيار وحزيران من العام السابق.

ظل القرويون معاديين لقوات التَّحَالُف، ولم يُشاهَد إلا القليل من الرجال في سن القتال.

تخلت القوات الكندية عن قاعدة الدوريات في أواخر صيف ألفين وستة، خلال فترة الاستعداد التي سبقت عملية رئيسية جنوب غربي مدينة قندهار، فعاد وادي غومباد إلى سيطرة طالبان.

استنتاج

في العَمَلِيَّات الثلاث، خطط الثُّوار لمضايقة قوة بحجم الكتيبة عند دخولها الوادي، ومن ثُمَّ إنهاء الاشتباك قبل أن تتمكن الكتيبة من الاستفادة الكاملة من قوتها النَّاريَّة. بهذا المنظور، خطط الثُّوار لجهودهم بعناية، ووضعوا مواقع إطلاق النَّار في أماكن جيدة، وكذلك طرق الهروب. ونتيجة لذلك خسائرهم قليلة.

الباب الرابع: أساسياتُ العَمَلِيَّات الدِّفاعِيَّة

"إن المشكلة التي يعاني منها المهاجم -والتي على الدِّفَاع استغلالها- تكمُنُ في أن عناصر وموارد الهجوم ستُخصّص للدفاع شيئاً فشيئاً، وستفقد فاعليتها مع زيادة مساحة الأراضي المُحتلة، إلى أن يتحول المهاجم في النهاية إلى موقف الدِّفَاع ما لم يصل إلى تسويةٍ سيَاسيَّة" (كارل فون كلاوزفيتز)

هُنَاكَ مجموعة من المفاهيم حول العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة لا يمكن للقائد جهلها، حَيْثُ ينبغي على قادة المستويات العليا والفرعية أن تدرس أنواع الدِّفَاع والفروقات بين كل نوع من حَيْثُ الأهداف والتكتيكات وطبيعة الحركة والتخطيط. إضَافَةً إلى أنواع الدِّفَاع.

ينبغي أيضاً فهم إجراءات السَّيطَرَة التي يستخدمها القائد للسيطرة على العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة، وتشمل هَذِهِ الإجراءات تحديد مناطق العَمَلِيَّات والخطوط المَرحَلِيَّة ومواقع المعركة وطرق المواصلات والعبور...إلخ.

يشمل هذا الباب الفصول التالية:

- **الفصل الأول: أنواع الدِّفَاع**
- **الفصل الثاني: إجراءات السَّيطَرَة على العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة**

الفصل الأول: أنواع الدِّفَاع بِشَكلٍ عام:

بالعودة إلى المراجع العلميَّة العَسكَرِيَّة نجد أنها تناولت أنواع الدِّفَاع انطلاقاً من اعتبارات عديدة، فمنها من تحدث عن الدِّفَاع انطلاقاً من الحالات الشائعة في الحرب وشكل الأرض المدافَع عنها، فذكر أنواعاً عديدة مثل: الدِّفَاع على ضفة النهر والدفاع على ساحل البحر والدفاع الدائري والدفاع بعكس المنحدر...إلخ.

ومنها من تنوال أنواعه انطلاقاً من طبيعة التخطيط لَهُ، فقسمه إلى نوعين:

دفاع ارتجالي يحدث فجأة، ودفاع مدروس مخطط لَهُ بِشَكلٍ مسبق.

ومنها من تنواله من جهة طبيعة الحركة فيه، فقسمه إلى ثلاثة أنواع رئيسية:

دفاع يركز بِشَكلٍ أساسي على الثبات في منطقة معينة من الأرض.

ودفاع متحرك يركز بِشَكلٍ أساسي على تدمير قوات العَدو المهاجمة.

ودفاع تراجعي يهدف إلى إرجاع القوات الدِّفَاعِيَّة إلى الخلف لتهيئة الظُّروف المناسبة لدفاع جديد.

إِضَافَةً إلى هَذِهِ الاعتبارات العديدة السابقة، وجدنا بعض المراجع ذكرت أيضاً أنوعاً للدفاع انطلاقاً من طبيعة الهجوم على القوات الصَّديقَة، فتحدثت عن الدِّفَاع ضد الإغارات، والدفاع ضد الكمائن، والدفاع ضد التطويق والحصار...إلخ.

يدفعنا هذا التنوع في أقسام الدِّفَاع إلى تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث رئيسية:

- **المبحث الأول: الدِّفَاع من حَيْثُ التخطيط لَهُ.**
- **المبحث الثاني: الدِّفَاع من حَيْثُ طبيعة الحركة فيه.**
- **المبحث الثالث: الدِّفَاع من حَيْثُ شكل الأرض المدافع عنها.**
- **المبحث الرابع: الدِّفَاع من حَيْثُ طبيعة الهجوم على القوات الصَّديقَة.**



الشكل (4): خلاصة أنواع الدِّفَاع

المبحث الأول: أنواع الدِّفَاع من حَيْثُ التخطيط لَهُ:

انطلاقاً من الظُّروف المتغيرة التي تفرضها علينا الحرب، ولتأثير العديد من العوامل الدَّاخليَّة والخارجية، يمكن أن تكون العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة من حَيْثُ التخطيط لها: ارتجالية أو مدروسةً:

أولاً: الدِّفَاع المُستَعجل (الارتجالي): هو الدِّفَاع الذي عادةً ما يُنَظمُ أثناء التَّمَاس مع العَدو أو عندما يوشك حدوث التَّمَاس مع ضيق الوقت المتاح لتنظيم القوات، وهذا ما سيُحدد من الاستطلاع. ويُستأنف هذا النوع من الدِّفَاع مباشرةً انطلاقاً من المواقع الحالية للوحدات، وبالاعتماد على الوضع الراهن للمدافعين، قد يفرض قائد الدِّفَاع على قواته القيام بهجومٍ مستعجل للسيطرة على تضاريس مناسبة للقيام بالعَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة، أو قد يُعَيِّنُ دوريات لتأخير العَدو بينما ينشر معظم قواته عبر تضاريس دِفَاعِيَّة أفضل.

الجدير بالذكر أن الدِّفَاع المستعجل يتمّ ارتجاله باستمرار حسبما يسمح الوضع، غير أنه يَجِبُ أن يتحول في النهاية إلى دفاعٍ مدروس.

ثانياً: الدِّفَاع المدروس، وهو عادةً ما يُنَظَّمُ عند غياب التَّمَاس مع العَدو، أو عندما لا يكون وشيكاً ويتوفر الوقت اللازم للتنظيم.

يضُمُ الدِّفَاعُ المدروسُ عادةً تحصيناتٍ ونقاطاً حصينةً واستخداماً مكثفاً للعوائق مع التنسيق الكامل بين النيران. وفي هذا النوع من الدِّفَاع، يحظى القائد بالحرية التامة للقيام باستطلاع مفصل للمنطقة المطلوب الدِّفَاع عنها، واختيار التَّضَارِيس اللازمة للدفاع، ثُمَّ اختيار أفضل أسلوب تكتيكيٍ لنشر القوات.[1]

[1] RIFLE PLATOON IN THE DEFENSE B3J3778 STUDENT HANDOUT, p7.

وهذا النوع من الدِّفَاع ضروري دائماً ومن الخطأ إغفاله والاعتماد على الدِّفَاع الارتجالي، فكما يقول كلاوزفيتز: "من الخطأ الفاحش ترك المناطق الدَّاخليَّة من البلاد بدون تحصين".[1]

المبحث الثاني: أنواع الدِّفَاع من حَيْثُ طبيعة الحركة فيه

قد ينطلق الدِّفَاع ارتجالاً أولاً، غير أنه يَجِبُ ألا يبقى كذلك، بل يَجِبُ أن يصبح دفاعاً مدروساً مخططاً لَهُ، وعند التخطيط للدِّفَاع وتنظيمه لا يخرج عن ثلاثة أنواع من حَيْثُ طبيعة حركة القوات فيه:

أولاً الدِّفَاع الثَّابِت (دفاع المنطقة): هو نوع من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة يركِّز على منع قوات العَدو من الوصول إلى مناطق محددة من قِبَلِ قيادة الدِّفَاع لمدة معيّنة من الزَّمَن تطول أو تقصر، وهو يسعى إلى الحفاظ على الأرض أكثر منه على التَّدمِير التام للعدو.

يَنصَبُّ التركيز في الدِّفَاع الثَّابِت على الاحتفاظ بمنطقة يكون فيها الجزء الأكبر من القوات المُدافِعَة موزّعاً في مواقع معدَّة مسبقاً وتمتع بالإسناد المتبادل، بحيث تحتفظ الوحدات بمواقعها وتسيطر على المنطقة الواقعة بين هَذِهِ المواقع.

قد يكون الدِّفَاع في هذا النوع أمامياً أو في العمق حسب ظروف المعركة. لكن بالعموم، تركّز العَمَلِيَّة الحاسمة في هذا الدِّفَاع على توجيه الرمايات نحو مناطق الاشتباكات التي يمكن أن تشن عليها قوات الدِّفَاع هجوماً معاكساً. ويمكن أن يشارك الاحتياطِيّ أو لا يشارك في هَذِهِ العَمَلِيَّة الحاسمة، كما يمكن للقائد أن يستخدم الاحتياطِيّ لتعزيز النيران أو إضَافَة عمقٍ أو عزل موقعٍ ما أو استعادته بهجومٍ معاكسٍ أو استعادة زمام المبادرة وتدمير قوات العَدو.

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص562.

ثانياً الدِّفَاع المتحرك: [1] هو نوع من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة يُركِّز على تدمير العَدو أو هزيمته من خلال هجوم حاسم تقوم به القوة الضاربة.

ويركِّز الدِّفَاع المتحرك على هزيمة أو تدمير العَدو عبر السماح لَهُ بالتقدم إلى نقطة يكون معرَّضاً فيها لهجوم معاكس حاسم بالقوة الضاربة.

والعَمَلِيَّة الحاسمة هي هجوم معاكس تشنُّه القوة الضاربة.

والقوة الضاربة: هي قوة مخصصة للهجوم المعاكس وتتكون من معظم القوة القِتَالِيَّة المتوفرة للمدافعين، كما تكمّل القوة الثابتة القوةَ الضاربة، حَيْثُ يستخدم القائد القوة الثابتة:

1. ليوقف قوات العَدو المهاجِمة في موقع معين.
2. وللمساعدة على توجيه أرتال قوات العَدو المهاجمة إلى منطقة الكمائن.
3. و للاحتفاظ بالأراضي التي تنطلق منها القوة الضاربة.

يتطلَّب الدِّفَاع المتحرك منطقة عَمَلِيَّات ذات عمق معقول، ويَجِبُ أن يتمكن القائد من تشكيل ساحة المعركة وإرغام العَدو على إطالة خطوط إمداده (طريق الإمداد: طريق بري أو بحري أو جوي، يربط قوة عسكرية عاملة بقاعدة عملياتها، وتتحرك على طوله الإمدادات والقوات العَسكَرِيَّة)، وكشف مجنَّباته وتشتيت قوته القِتَالِيَّة. كما يَجِبُ أن يتمتع القائد بالقدرة على التحرك حول وأمام قوات العَدو التي يريد عزلها أو تدميرها.

ثالثاً: الدِّفَاع التراجعي: هو نوع من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة يُمَثِّلُ حركةً منظَّمةً ابتعاداً عن العَدو. ويمكن تنفيذ التقهقر تحت ضغط العَدو ويمكن تنفيذه اختيارياً دُونَ وجود هذا الضغط، وفي الحالتين فالقائد الأعلى لِلقُوَةِ التي تنفِّذ التقهقر هو من يتخذ القرار.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 8, 8-6 and 8-7.

التقهقر عملية انتقالية، فلا يُنفَّذ بمعزل عن غيره، بل هو جزء من مخطط أكبر للمناورة مصمم لاستعادة زمام المبادرة وهزيمة العَدو.[1]

الجدير بالذكر أن لكلٍّ من هَذِهِ الأنواع الثلاث مفاهيمها وتكتيكاتها المختلفة كثيراً عن بعضها البعض، لذا يَجِبُ التعامل مع كل نوع من هَذِهِ الأنواع بِشَكلٍ مختلف عند تخطيط وتنفيذ العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة. ورغم أن أسماء هَذِهِ الأنواع الدِّفَاعِيَّة مختلفة عن بعضها البعض، فإن كلاً منها يحتوي بعض العناصر الموجودة في الأخرى، إذ قد يحتوي الدِّفَاع المتحرك والتراجعي بعضَ عناصر الدِّفَاع الثَّابِت، والعكس صحيح أيضاً.

ويختار القائد النوع المناسب لَهُ من هَذِهِ الأنواع انطلاقاً من الاعتبارات الستة التالية:

1. طبيعة المهمة الملقاة على عاتقه من قبل القيادة العليا.
2. أهداف العَدو ومدى قوته.
3. طبيعة الأرض والتَّضَارِيس في منطقة العَمَلِيَّات.
4. طبيعة المناخ والطقس.
5. طبيعة القوات الصَّديقَة
6. طبيعة الدَّعم المتوفر للقوات الصَّديقَة من القيادة العليا.
7. الاعتبارات المدنية.

وأخيراً، سيأتي معنا شرح هَذِهِ الأنواع الأساسية من الدِّفَاع بِشَكلٍ مفصل في الأبواب القادمة.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 8, 8-8.

المبحث الثالث: أنواع الدِّفَاع من حَيْثُ شكل الأرض المدافع عنها.

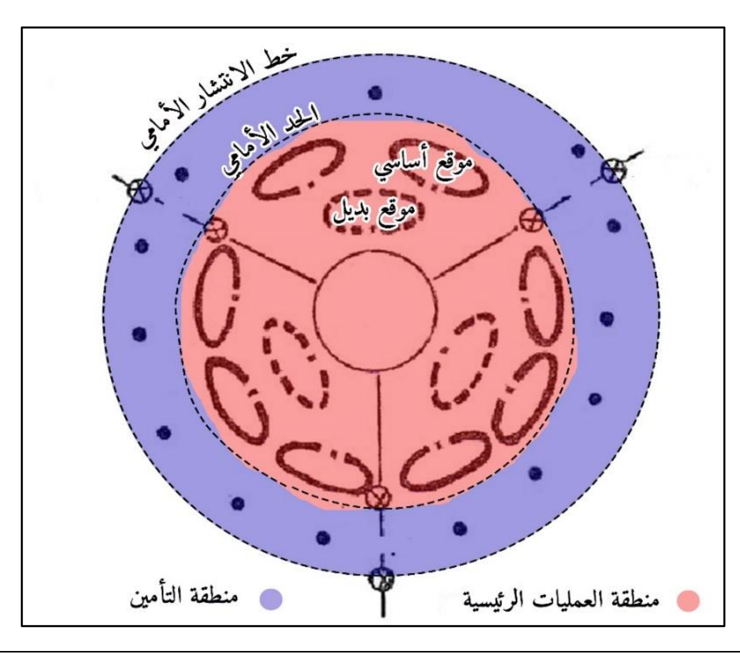
قد يكون الدِّفَاع على أساس شكل الأرض على أنواع متعددة مثل: الدِّفَاع الدائري، والدفاع من نقاط ارتكاز (اتكاء)، والدفاع من ضفة النهر، والدفاع في المنحدر وعكس المنحدر، والدفاع في المناطق السكنية. وكل شكل من هَذِهِ الأشكال رُغم أنه يشارك غيره في أصول الدِّفَاع العامة، إلا أنه يتمتع ببعض الخصائص المستقلة.

أولاً: الدِّفَاع الدائري

وهو نوع دفاعي بدون مجنبات عريضة، يتكون من قوات متمركز على طول حدود المنطقة المدافع عنها دائرياً.

يمكن استخدام هذا النوع من الدِّفَاع في الظُّروف التالية:

- عندما تنفصل وحدة ما عن بقية الوحدات الصَّديقَة أو الوحدة **الأساسية.**
- حينما يكون للوحدة مهمةٌ منفصلة.
- حينما تعمل الوحدة كنقطة إتكاء في الدِّفَاع المتحرك.
- فقدان التَّضَارِيس الملائمة لتغطية الجنبات.



الشكل (5): الدِّفَاع الدائري

في الدِّفَاع الدائري، من غير المقبول وجود أيٍّ ثغرات، لذا فإن العمق والجبهة المحددين للوحدة يُقلصان بِشَكلٍ لافت. ونظراً لغياب مجال المناورة وقلة العمق، فإن قائد قوات الدِّفَاع الدائري لايستطيع قبول أي اختراق في جهازه الدفاعي، ويَجِبُ عليه أن يجعل أكثر القوات والأسلحة في محيط الدائرة.[1]

يتمّ تجديد دعم القوات العَسكَرِيَّة النِّظَامِيَّة في الدِّفَاع الدائري عادة عن طريق الجو، وبالتالي يعتبر انتخاب مناطق الهبوط أو تحضيرها ضِمْنَ مدة زمنية قصيرة من الملاحظات الحساسة في تنظيم المواضع الدِّفَاعِيَّة. وبالنظر إلى ظروف المقاومة الخاصة، فإنه يتوجب أن تكون القطاعات مكتفية ذاتياً من حَيْثُ التموين والدَّعم، بحيث تمكن بواسطته من المقاومة لمدة طويلة.

ثانياً: الدِّفَاع من ضفة النهر:

بصرف النظر عن ما يكون عليه نوع الدِّفَاع هنا ثابتاً أو متحركاً، فإن القاسم المشترك فيه أن المنطقة الدِّفَاعِيَّة يَجِبُ أن تحكم بنهر ما، وذلك للقضاء على قوات العَدو بواسطة النَّار والمناورة حين عبورها من هذا النهر. وأثناء تنفيذ الدِّفَاع عن ضفة النهر، ينبغي توقع أن العَدو سيتحرك بسرعة في جبهة واسعة، وسيعبر من ممرات متعددة، مستخدماً الزوارق السَّرِيعَة والآليات البرمائِيَّة أو الحوامات وطرق ابتكارية أخرى.[2]

يمكن تنفيذ الدِّفَاع من ضفة النهر بأحد الأساليب التالية:

1) الدِّفَاع من الضفة الأولى القريبة للقوات الصَّديقَة.
2) الدِّفَاع من أول أرض مناسبة بعيدة عن النهر.
3) الدِّفَاع من الضفة الثانية البعيدة التي تتطلب اجتياز القوات الصَّديقَة للنهر.

---

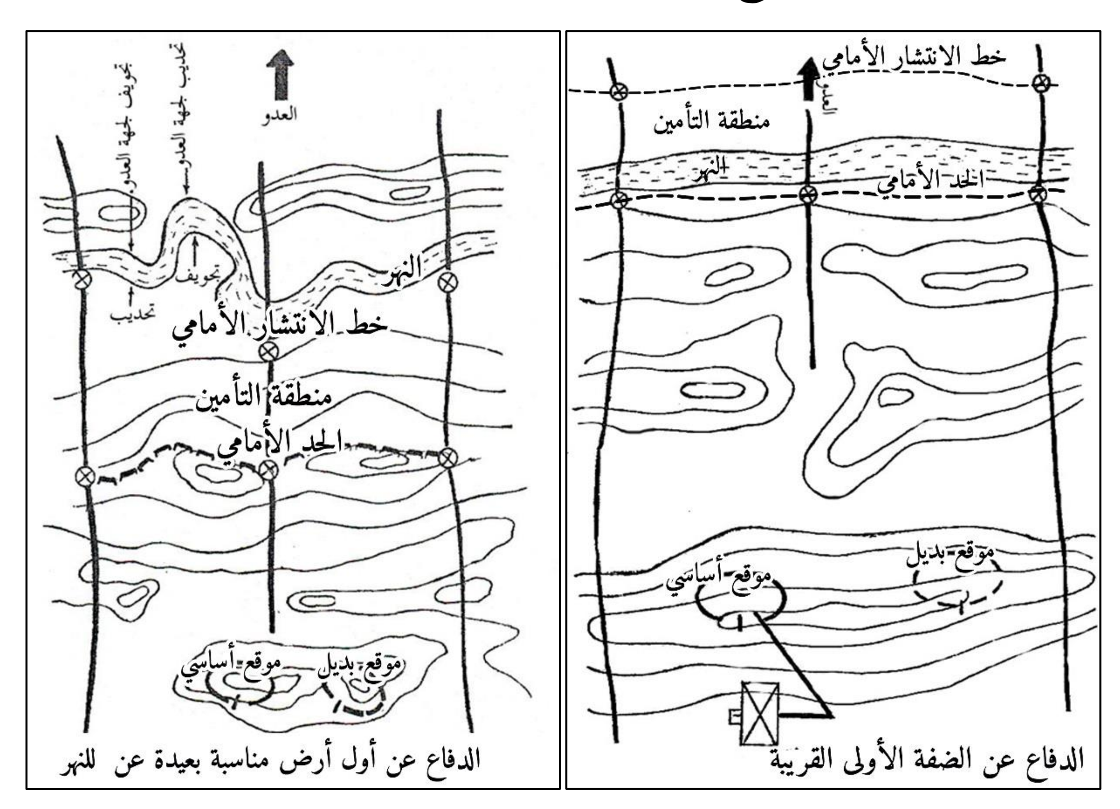
[1] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكرِيّ للجيش اللبناني، الباب العاشر أنواع الدِّفَاع بحسب شكل الأرض، شريحة رقم 128

[2] المصدر نفسه، شريحة رقم 140.

ويشابه الدِّفَاع من ساحل البحر إلى حد ما الدِّفَاع من ضفة النهر، حَيْثُ تسعى القوات المدافعة لمنع قوات العَدو من الاستقرار على الساحل، وتعرقل تنفيذ خططه في إقامة رأس جسر. ويطبق الدِّفَاع من ضفة البحر بطريقتين هما:

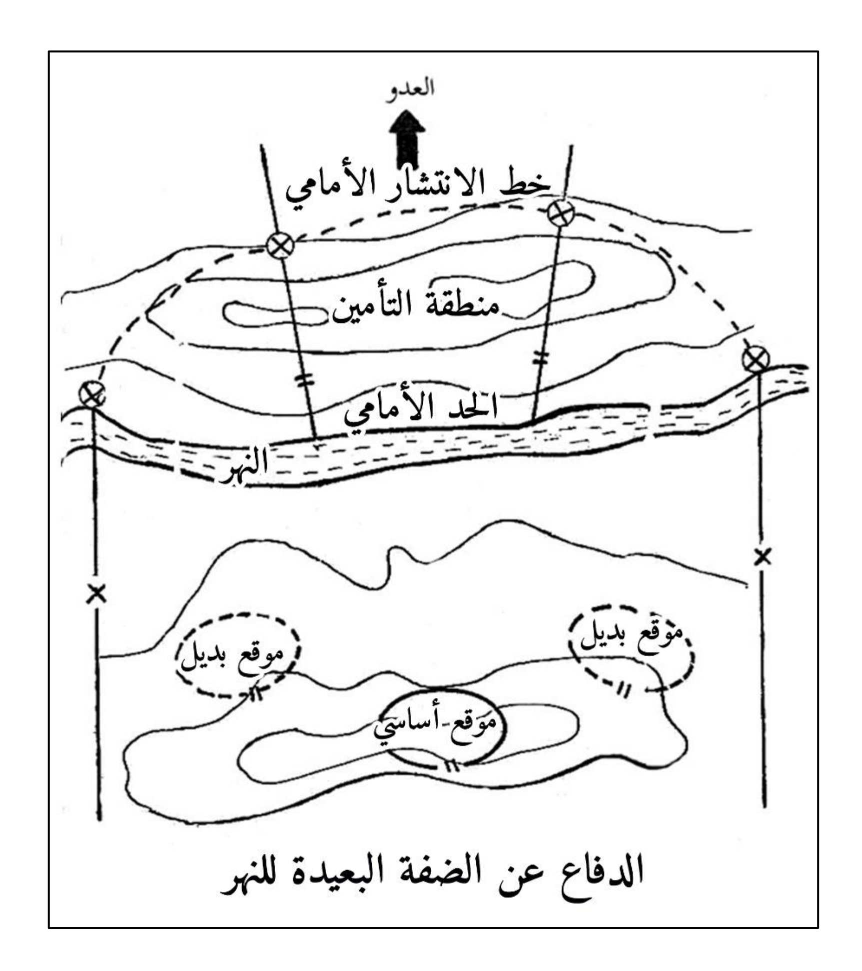
1) منع العَدو من الإنزال على الساحل.
2) تنفيذ عَمَلِيَّات تأخيرية ضد العَدو بعد إنزاله على الساحل.

ويرتبط استخدام أي أسلوب من الأساليب المذكورة أعلاه بوضعية ساحل البحر، وقدرات العَدو في إنزال القوات على الساحل، وإمكانات القوات المدافعة، وظروف الرصد المتفوقة أو المتساوية مع العَدو في الساحل.



الدفاع عن الضفة الأولى القريبة

الدفاع عن أول أرض مناسبة بعيدة عن للنهر



ثالثاً: الدِّفَاع بعكس المنحدر

يمكن تطبيق هذا النوع من الدِّفَاع في المنحدر الذي يكون في منأى عن رصد ونيران العَدو المباشرين، بسبب قمة مرتفعة تحول دُونَ ذَلِكَ. ولكي يكون الدِّفَاع بعكس المنحدر ناجحاً، يستدعي ذَلِكَ عدم تمكين العَدو من الوصول إلى خط الرأس الجغرافي (القمة)، فإذا ما وصل العَدو إليه سيُحرَمُ المدافعون من ميزات الدِّفَاع بعكس المنحدر، لذلك يتوجب عليهم الحيلولة دُونَ ذَلِكَ بهجوم مضاد قوي.

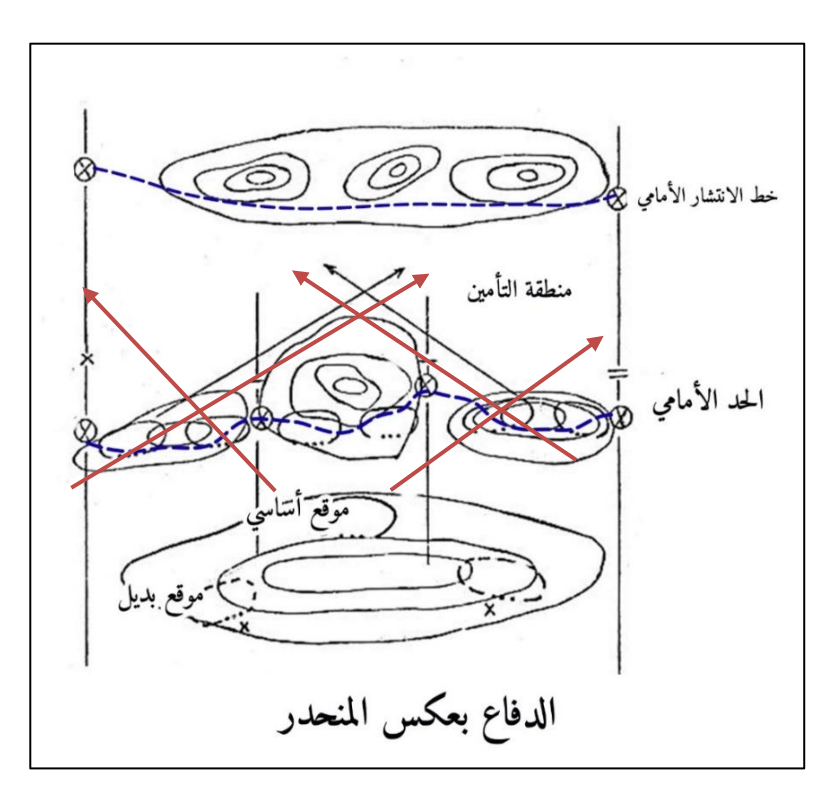
يهدف المدافعون في هذا النوع من الدِّفَاع إلى تلافي القوة النَّاريَّة للعدو التي كَانَت ستسلط عليه إن تمركزوا في قمة المرتفع، وخداع العَدو عن المكان الحقيقي للقوات المدافعة.[1]

[1] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكريّ للجيش اللبناني، الباب العاشر أنواع الدِّفَاع بحسب شكل الأرض، شريحة رقم 154.

من مزايا الدِّفَاع بعكس المنحدر:

1. عدم مقدرة العَدو على القيام برصد أرضي للمنطقة الدِّفَاعِيَّة بسبب وجود خط الرأس الجغرافي.
2. أسلحة العَدو لا تكون قادرة على الرمي المباشر والمؤثر على المنطقة الدِّفَاعِيَّة.
3. قلة تأثير النيران غير المباشرة بسبب عدم وجود الرصد.
4. مباغتة المدافعين للعدو.
5. إرهاق عناصر مشاة العَدو عندما تصل إلى خط الرأس، وعدم امتلاك العناصر المدرعة لرؤية كافية.

ومن مساوئ هذا النوع من الدِّفَاع؛ أن القوات المدافعة ستعاني صعوبة أيضاً في حشد النيران وسيقل مدى الأسلحة المباشرة، بسبب وجود خط الرأس الجغرافي في الأمام. إِضَافَةً إلى أن استيلاء العَدو على أرض مرتفعة سيتيح لَهُ شن هجوم بإتجاه الأسفل، في حين تكون القوات المدافعة مرغمة على إجراء الهجوم المضاد باتجاه الأعلى من أجل إخراج العَدو.



الدفاع بعكس المنحدر

المبحث الرابع: الدِّفَاع من حَيْثُ طبيعة الهجوم على القوات الصَّديقَة

قد تتنوع الهجمات التي يقوم بها العَدو تجاه القوات الصَّديقَة، من هذا المنطلق يمكن أن يحظى الدِّفَاع أمام كل نوع من أنواع هَذِهِ الهجمات باعتبارات خَاصَةٍ.

ورغم أن أنواع الهجمات كثيرة، إلا أنَّا سنركز على أهمها في الحرب الثَّوريَّة، وهي الإغارة والكمين والاقتحامات الجوية.

أولاً: الدِّفَاع ضد الإغارات

إنَّ الدِّفَاع الفعَّالَ والنَّاجِحَ ضدَّ الإغاراتِ البَرِيَّة يتطلَّبُ: [1]

1. وصولَ المعلوماتِ الاستخباراتيَّةِ بِشَكلٍ فوري.
2. وإعدادَ خططٍ وتدريباتٍ قِتَالِيَّة مسبقةٍ.
3. وإعدادَ مواقعَ قِتَالِيَّة محميةٍ.
4. وتجهيزَ قوَّةِ ردٍّ سريع.
5. وتوفيرَ الأسلحةِ والذَّخائر، ومنافذَ الهروب.
6. ونشرَ مجموعاتٍ من الحرَّاس ودوريَّات التَّأمين.
7. ونشرَ عناصرِ الإنذارِ المبكِّرِ على مسافاتٍ كافية.

ومن أساسيَّاتِ الدِّفَاعِ النَّاجِحِ ضدَّ الإغاراتِ عقدُ مراجعاتٍ للخططِ وتدريباتٌ ميدانيَّة، وجهوزيَّةُ قوَّةِ الرَّد السَّريع ومنافذِ الهروبِ والانسحاب.

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، ص 304.

ثانياً: الدِّفَاع ضد الكمائن

"يَتَطَلَّبُ التَّصدي لكمائِنِ العَدو جُهداً طويلاً من التَّخطيطِ للطُّرُقِ التي سيتمُّ استخدامُها والدَّوريَّاتِ التي سيتمُّ تنفيذُها، كما يحتاجُ أيضاً بحثاً آنيّاً ومتواصلاً عن المعلوماتِ الاستخباراتيَّة، إِضَافَةً إلى تنفيذِ تدريباتٍ ميدانيَّةٍ تَتَضمَّنُ التَّصدي للكمائِنِ وتأمينِ الجنبات.

ويستلزمُ التَّخطيطُ لهذهِ العَمَلِيَّات ضمانَ استخدامِ الطُّرُقِ البديلة، ومعرفةَ المُدَدِ الزَّمنيَّة للمسيرات، وتطهيرَ مواقعِ الكمائِنِ المحتملة، والتَّحرُّكَ عبرَ المناطقِ بالتَّنسيقِ مع القوَّات المَحليَّة. كما يَجِبُ ضمانُ عدمِ انكشافِ تفاصيلِ التَّحركات، واتخاذُ تدابيرِ خداعيَّةٍ لمنعِ وقوعِ القوَّات في كمائن."[1]

والخلاصة، يتطلَّبُ نجاحُ مكافحةِ الكمائن:[2]

1. تخطيطاً دقيقاً.
2. ومناورات تدريبيَّةً.
3. ومراجعات مُتواصلة.
4. ومكافحةً للتَّجَسُّس.
5. والقيامَ بدوريات تفقُّديَّة.
6. وإيصالَ المعلوماتِ الاستخباراتيَّة بسرعةٍ.
7. وتدابيرَ خداعيَّةً أخرى.

وتختلفُ طريقةُ تحريكِ الإمداداتِ باختلافِ الطَّريقِ والوقتِ ومكوِّناتِ قافلةِ الإمداد.

[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، ص 462.

[2] المصدر نفسه، ص 480.

ثالثاً: الدِّفَاع ضد الإنزالات الجوية

في الحرب الثَّوريَّة التي تعجز الجيوش فيها عن تحقيق التَّمَاس مع الثُّوار، تلجأ القوات النِّظَاميَّة إلى استخدام تكتيك الإنزالات الجوية لبلوغ القواعد الخلفية للثوارِ ونقاط إمدادهم. وتكمُنُ الطريقة الأمثل لمواجهة هَذِهِ الاقتحامات الجوية في:[1]

1. التَّخطيطِ المحكم بِشَكلٍ مسبق
2. والتَّدريبِ على الرَّد السَّريع
3. ونظامِ الإنذارِ المبكر
4. وكمائنِ الدِّفَاع الجوي.

حَيْثُ يمكن تلغيم مناطق الهبوطِ المُحتملة، توظيف نيران الآر بي جي الكثيفةِ على المِروحيَّاتِ الهابطةِ أو الحائمة، كما يمكن أن تحاول القوات المدافعة اكتساحَ مناطقِ الهبوطِ قبلَ أنْ تقدرَ قُوَّاتِ الاقتحامِ الجويِّ على تنظيمِ وتوجيهِ نفسِها، وهذا يعني تلافي نيرانِ المِروحيَّاتِ الهجوميَّة "باحتضان"[2] القُوَّاتِ الهجومية.

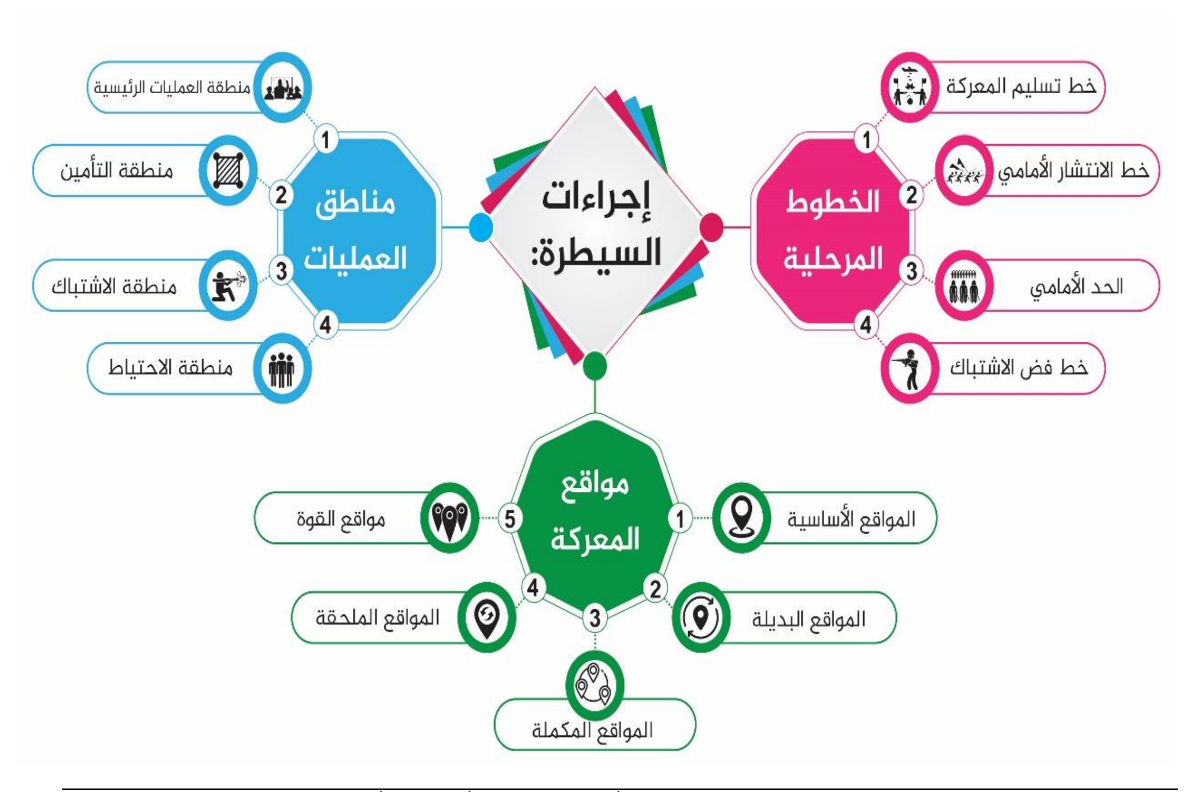
[1] علي أحمد جلالي وليستر غراو: الجانب الآخر من الجبل: تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية، ترجمة مركز الخطابي، ص 335.

[2] أو نستطيع تسميته بالهروب إلى الأمام.

الفصل الثاني: إجراءات السَّيطَرَة على العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة

يقوم القائد بإدراة العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة في منطقته من خلال مجموعة من إجراءات السَّيطَرَة، إذ تمكنه هَذِهِ الإجراءات من تركيز قوته القِتَاليَّة على النقاط الحاسمة في المعركة والاستجابة للتغيرات في الموقف، كما تُكسِبُهُ المرونةَ المطلوبةَ في العَمَليَّةالدِّفَاعِيَّة. ولتحديد إجراءات السَّيطَرَة الدِّفَاعِيَّة، على القائد أن ينطلق من اعتبارات التحليل الستة (عوامل المهمة والعدو والمنطقة والطقس والقوات الصَّديقَة والدَّعم المتوفر لها والوقت المتاح والاعتبارات المدنية)، وتشمل هَذِهِ الإجراءات:

1. **تحديد الخطوط المَرحَليَّة في منطقة الدِّفَاع.**
2. **تحديد مناطق العَمَليَّات الرَّئِيسيَّة والفرعية.**
3. **تحديد مواقع المعركة بمختلف أنواعها.**



الشكل (6): إجراءات السَّيطَرَة في العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة

المبحث الأول: الخطوط المَرحَلِيَّة في منطقة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة

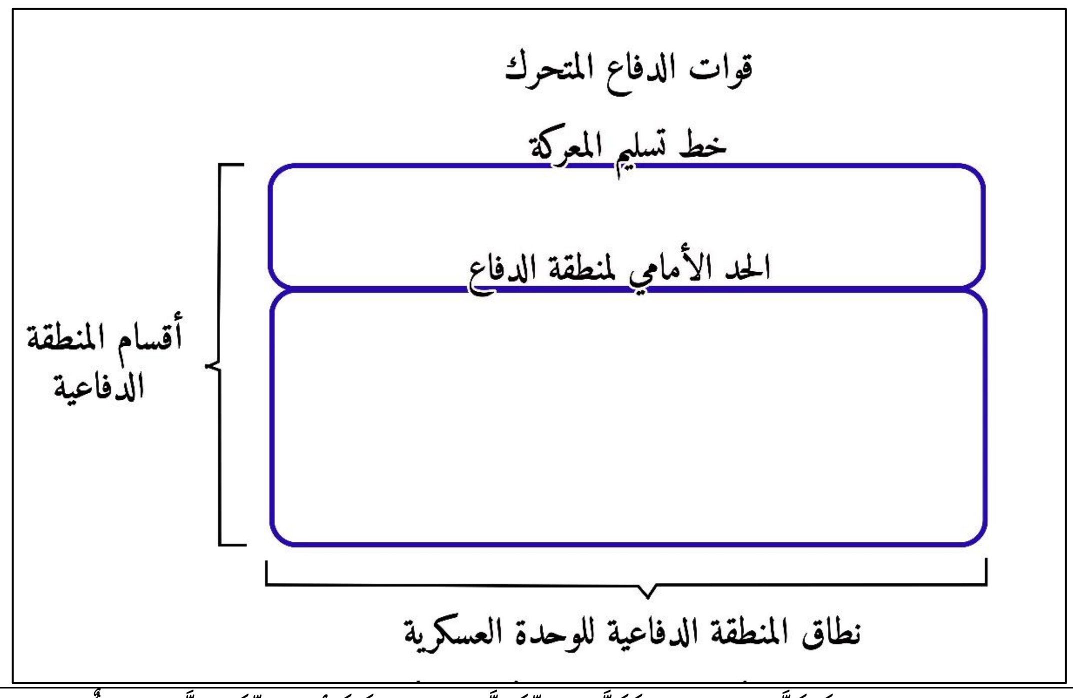
أثناء التخطيط للعملية الدِّفَاعِيَّة، يَجِبُ على قائد الدِّفَاع أن يحدد ثلاثة خطوط مرحلية للمعركة:

أولاً: خط تسليم المعركة، وهو خط مرحلي مصمم على الأرض حَيْثُ تنتقل المسؤولية من القوات الثابتة إلى القوات المتحركة أو العكس.

ويحدد القائد الأعلى المشترك لكلا القوتين خط تسليم المعركة بعد التشاور مع قائدي القوتين، لكن قائد القوة الثابتة لَهُ القول النِّهَائي في تحديد موقع الخط.

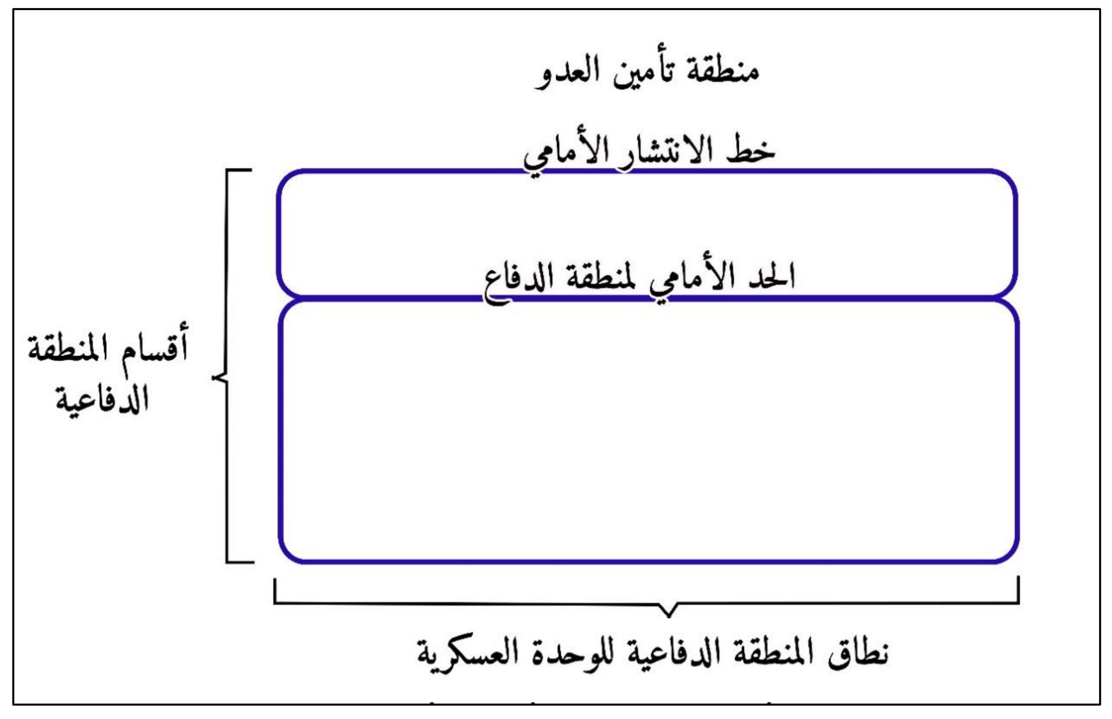
يكون خط تسليم المعركة أمام الحد الأمامي لمنطقة المعركة في الدِّفَاع. والمنطقة ما بين خط تسليم المعركة والقوات الثابتة تتبع لقائد القوات الثابتة، حَيْثُ يمكنه أن ينشر قوات أمن وعوائق ونيران في المنطقة.[1]

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-10.



الشكل (7): الخطوط المَرحَلِيَّة في منطقة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة في حال كَانَ أمام الدِّفَاع الثَّابِت دفاعٌ متحرك

ثانياً: خط الانتشار الأمامي، وهو أقصى خط تستطيع أن تصله القوات غير القِتَالِيَّة: مثل قوات التَّأْمِين والتمويه والاستطلاع...إلخ، أي أنه خط التَّمَاس مع العَدو. ويُحَدِّدُ هذا الخط في حال لم تكن هُنَاكَ قوات دفاع متحرك أمام منطقة الدِّفَاع الثَّابِت.



الشكل (8): الخطوط المَرحَلِيَّة في منطقة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة في حال كَانَ أمام الدِّفَاع الثَّابِت قوات العَدو

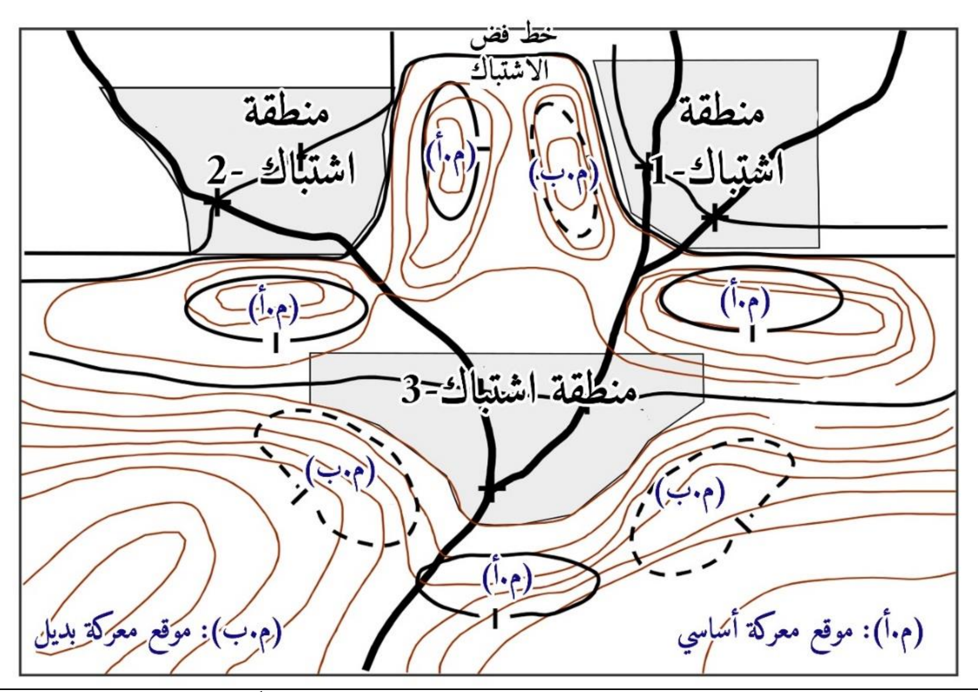
ثالثاً: الحد الأمامي لمنطقة المعركة، هو الحدود القصوى لسلسلة من المناطق التي تنتشر فيها الوحدات الدِّفَاعِيَّة البَرِيَّة، باستثناء: المناطق التي تعمل فيها قوات التغطية والتمويه، أو القوات المُعدّة لتنسيق نيران الدَّعم، أو لتموضع القوات، أو لمناورة الوحدات.

والحد الأمامي لمنطقة المعركة ليس حدّا فاصلاً، لكنَّه يعبر عن نية القائد، لإنه يحدد الحدود القصوى للمناطق التي تتفوق فيها وحداته القِتَالِيَّة البَرِيَّة، باستثناء المناطق التي تعمل فيها قوات التَّأمين. يمكن لقوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة التحرُّك مؤقتاً لمقدمة الحد الأمامي لمنطقة المعركة لتعجيل انسحاب قوات التَّأمين. ويحتاج القائد أن يحدد الحد الأمامي لمنطقة المعركة من أجل تنسيق الإسناد النَّاريّ وليستطيع المناورة بقواته، إذ يمثل هذا الخط أقصى مدى تطاله تأثيرات النيرانُ المباشرةُ للقوات المُدافِعَة.[1]

رابعاً: خط فض الاشتباك، وهو خط مرحلي يتموضع في منطقة يمكن التعرُّف إليها، وعندما يتخطاها العَدو فهذه إشارة للعناصر الدِّفَاعِيَّة بوجوب الانتقال إلى المواقع التالية.
ويستخدم القائد هَذِهِ الخطوط في أعمال التأخير والدفاع عندما لا يكون في نيته الزجُّ بالوحدة الدِّفَاعِيَّة في اشتباك حاسم. لكنه يَجِبُ أن يحدد معياراً لفض الاشتباك، مثل: عدد مركبات العَدو حسب النوع، الخسائر في القوات الصَّديقَة، أو تحرك قوات العَدو إلى مواقع المجنّبات. ويُمكِنُ وضع خطوط فض اشتباك متعددة، حَيْثُ يُمكِنُ تواجد خط لكل منظومة.[2]

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-13.

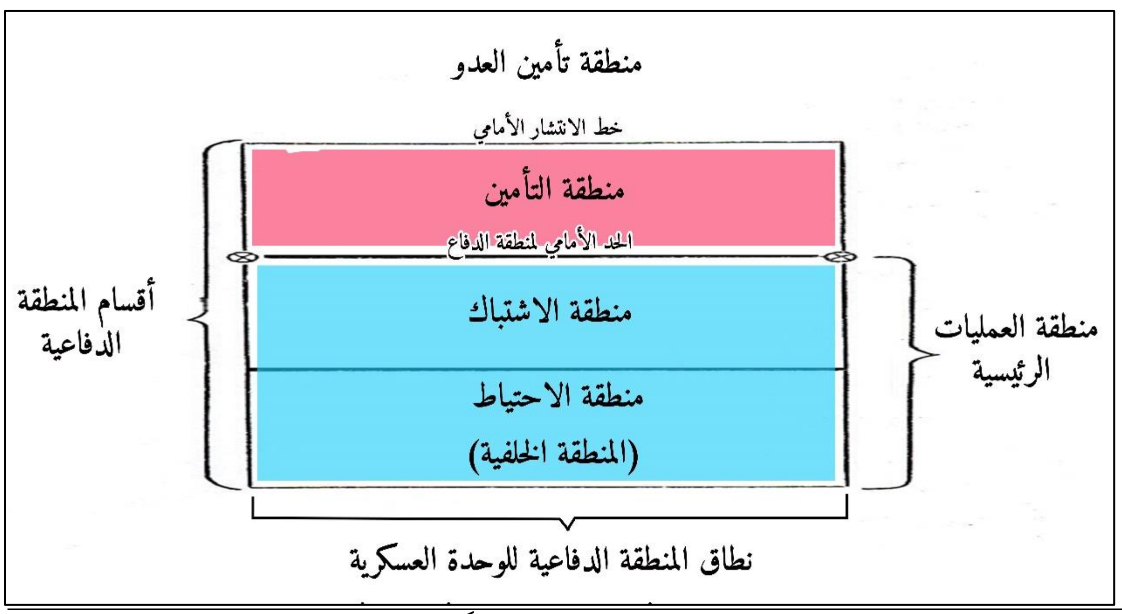
[2] U.S. military, Field Manual, 8-27.



الشكل (9): خط فض الاشتباك في منطقة العَمَلِيَّات

المبحث الثاني: مناطق العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة

أثناء التخطيط للعملية الدِّفَاعِيَّة، يَجِبُ على قائد الدِّفَاع أن يُحدِدَ أربعَ مناطق عَمَلِيَّات مختلفة:



الشكل (10): توزع مناطق العَمَلِيَّات في الدِّفَاع

أولاً: منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة، وهي المنطقة التي ينوي فيها القائد نشر معظمَ قواته القِتَالِيَّة وتنفيذ عملياته الحاسمة لهزيمة العَدو المُهاجِم.

في الدِّفَاع تكون الميزة الكبرى للقائد أنه عادةً ما يختارُ الأرض التي تجري فيها المعركة، ويضعُ قواته في مواقع تُمكِّنها من تقديم الإسناد المتبادل في العمق لامتصاص اختراقات العَدو أو لإجبار العَدو على دخول مناطق اشتباك مُعَدَّة مسبقاً.

وتمتد منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة من الحد الأمامي لمنطقة المعركة حَتَّى حدود الوحدات الخلفية.

ويُحدِدُ القائدُ حدودَ وحداته الثَّانَوِيَّة على امتداد منطقة ذات معالم يُمكِنُ التعرف إليها، لتصبح هَذِهِ الحدودُ منطقةَ العَمَلِيَّات الفرعية. ويختار القائد منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة بناءً

على نتائج التحضيرات المُخَابراتيَّة لميدان المعركة وتحليلها باستخدام عوامل: (عوامل المُهِمَّة والعدو والمنطقة والطقس والقوات والدَّعم المتوفر والوقت المتوفر والاعتبارات المدنية).

وتُحدِدُ عملية التَّحضير المخابراتي لميدان المعركة كيف سيستخدم العَدو على الأرجح المقتربات المتاحة.[1]

تنقسم منطقة العَمَليَّات الرَّئيسيَّة إلى قسمين:

1. **منطقة الاشتباك:** وهي التي تتمركز فيها قوات الدِّفَاع الأمامي.
2. **منطقة الاحتياط:** وفيها عادة المواقع البديلة ووحدات الاحتياط ووحدات الإسناد النَّارِيّ.

ثانياً: منطقة التَّأمين، وهي القسم الأول من المنطقة الدِّفَاعِيَّة. يبدأ عمقها من الحد الأمامي لمنطقة الدِّفَاع، وتمتد إلى **خط الانتشار الأمامي** (خط التَّمَاس مع منطقة تأمين العَدو)، بحيث تكون مسافة هذا العمق لا تزيد عن المدى النِّهَائِيّ للأسلحة التي تمتلكها الوحدة المسؤولة عن المنطقة الدِّفَاعِيَّة. أمَّا عرض منطقة التَّأمِين فهي خاضعة لقرار قيادة الدِّفَاع.

وما يَجِبُ التنبيه إليه هنا أن إيجاد التَّأمِين أمام الحد الأمامي لا يعفي القائدَ من مسؤولية وضع وتثبيت تأمينٍ للأجنحة والمناطق الخلفية.

الأمر الآخر الذي تجدر ملاحظته أن مناطق الدِّفَاع في كل الجبهة الدِّفَاعِيَّة خلال الحروب غير المتكافئة تكون على شكل قطاعات متصلة ببعضها البعض، وفي حال كَانَ لدى الحد الأمامي لكل قطاع ظروف طَبيعيَّة مناسبة للدفاع، فإن هذا الخط المتصل يصبح بمثابة حد أمامي لمنطقة القتال بأسرها، لكن إذا لم يتوفر ذَلِكَ، تكون المنطقة المناسبة للدفاع داخل قطاع لديها حدها الأمامي الخاص بها ولها بالتالي منطقة تأمين منفصلة.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-11.

وتُحَدَدُ منطقة التَّأمين ومنطقة العَمَلِيَّات الرَّئِيسيَّة للوحدة العَسكَرِيَّة انطلاقاً من مدى عرض وعمق المنطقة الدِّفَاعِيَّة المخصصة لتلك الوحدة من قبل القادة، لكن ينبغي أن يراعى في تحديد العرض والعمق تحديد:

المهمة الدِّفَاعِيَّة الموكلة للوحدة، الأرض، المناخ، طبيعة العَدو، السكان، وأخيراً استعدادات الوحدة العَسكَرِيَّة وجاهزيتها. لذا فعلى هذا الأساس، في الظُّروف التي تكون فيها الرؤية والرماية محدودة، والأرض لا تحوي مسالك وطرق اقتراب قد يستخدمها العَدو، ففي هَذِهِ الحالة يكون الخيار هو تقليل عرض المنطقة الدِّفَاعِيَّة الموكلة لتلك الوحدة العَسكَرِيَّة.

وانطلاقاً من تقسيم منطقة العَمَلِيَّات الذي سبق ذكره، يمكن تقسيم القوات المدافعة إلى ثلاثة مستويات دِفَاعِيَّة ذات وظائف مختلفة:[1]

مستوى الاحتياط

يشمل القوات التي تستخدمها الوحدة المدافعة في خلفية منطقة العمليات الرئيسية

مستوى الدفاع الأمامي

يشمل القوات التي تستخدمها الوحدة المدافعة في مقدمة منطقة العمليات الرئيسية

مستوى التأمين

يشمل القوات التي يتم استخدامها في منطقة التأمين من قبل الوحدة المدافعة، سواء كان ذلك مبنياً على أمر من المستويات العليا، أو بناءً على النظرة الشخصية للقائد الفرعي.

الشكل (11): المستويات في العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة

[1] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكرِيّ للجيش اللبناني، شريحة رقم 67.

المبحث الثالث: مواقع المعركة

موقع المعركة هو موقع دفاعي موجَّه باتجاه مُقتَرَبات العَدو المُحتَمَلَة، وهو عبارة عن مخطط يُصوِّرُ المكان والتوجُّهات العامة لمعظم القوات المُدافِعَة.

تستخدم الوحداتُ الكبيرة بحجم كتيبة والوحدات الصغيرة بحجم الجماعات والفصائل مواقعَ المعركة، حَيْثُ يمكنهم احتلال قمة طبوغرافية لتلة، أو منحدر أمامي أو منحدر عكسي أو مناطق تجمع بين هَذِهِ التَّضَارِيس. ويختار القائد مواقعه حسب التَّضَارِيس، وحسب إمكانيات العَدو وإمكانيات القوات الصَّديقَة، ويمكن للقائد أن يوكِل لكلِّ مرؤوسيه أو بعضهم مهام قيادة بعض مواقع المعركة ضِمْنَ منطقة عملياته. مع التنبيه أنه لا يتمّ التمسُّك عادة بمواقع المعركة بأي ثمن، بل يَجِبُ على القائد أن يُحدِدَ للوحدة في موقع المعركة متى وتحت أي ظروف تنسحب من الموقع.[1]

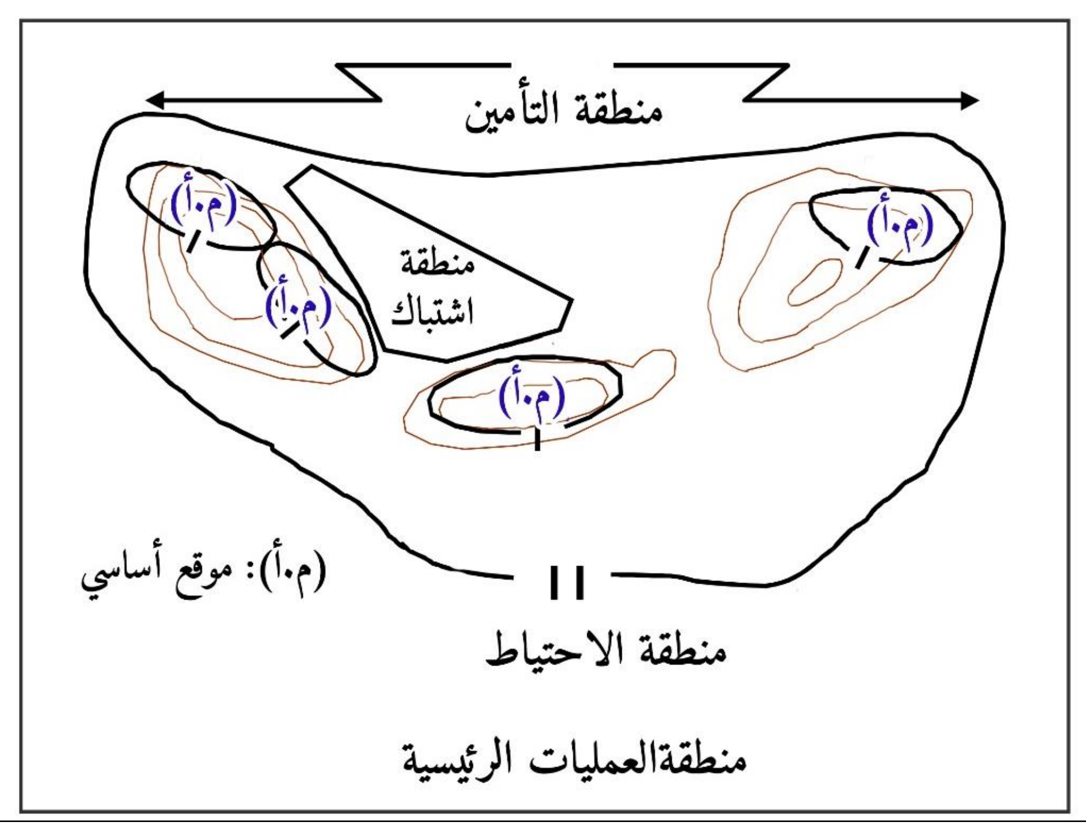
ثمة خمسة أنواع من مواقع المعارك: الأساسية والبديلة (أو المتناوبة) والمكّلة والملحقة (أو المتعاقبة) والنقطة القوية. وعند تحديد مواقع المعركة، يُحدِدُ القائد دوماً موقع المعركة الأساسي، ثُمَّ يُحدِدُ ويُعِدُّ المواقع البديلة والمكَمِلَة والملحقة حسب ما يسمح به الوقت والموارد الأخرى، وحسب ما يتطلبه الموقف وخصوصاً التَّضَارِيس.

1) **الموقع الأساسي: هو موقع يغطّي معظم مقتربات العَدو إلى منطقة العَمَلِيَّات**، وهو أفضل موقع لتنفيذ المهمة المحددة مثل تغطية منطقة الاشتباك. [2]

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-14.

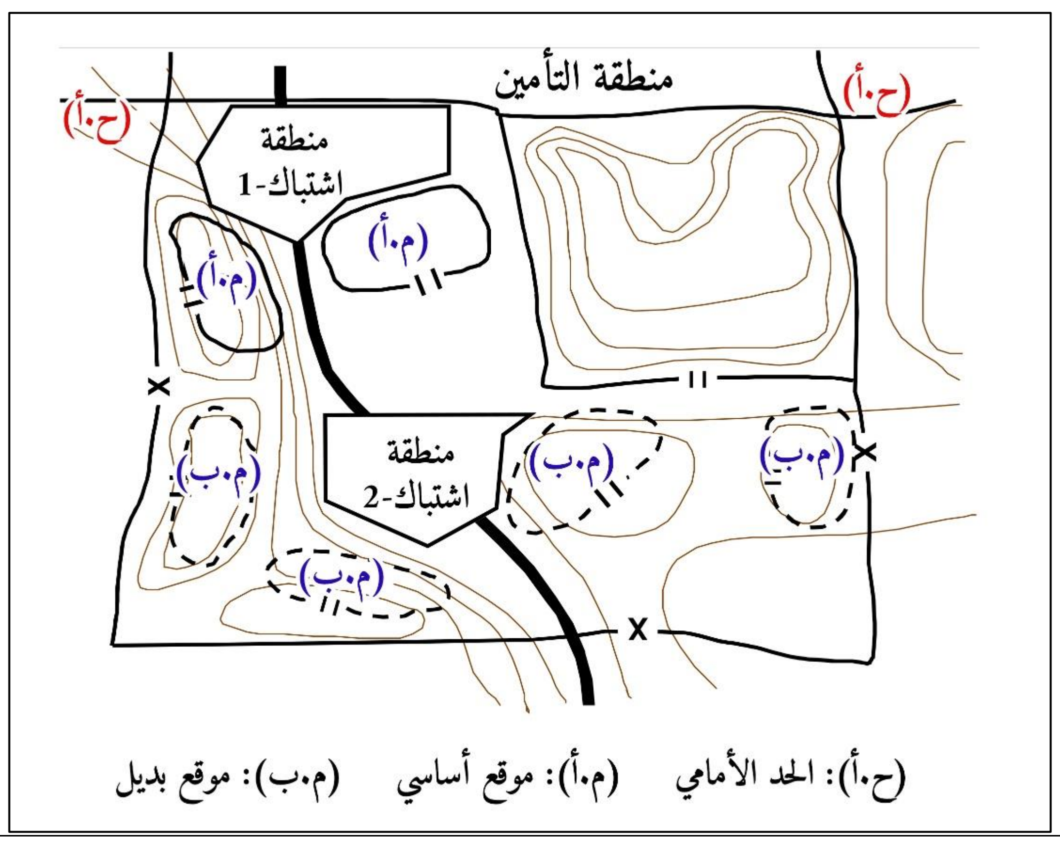
[2] U.S. military, Field Manual, THE AREA DEFENSE, 8-18.



الشكل (12): نموذج عن المواقع الأساسية

2) **الموقع البديل: هو موقع دفاعي يأمر القائد وحدةً أو سلاحاً باحتلاله عندما يتعذّر التمسك بالموقع الأساسي أو عندما يتعذَّر تنفيذ المهمة الموكلة للوحدة من هذا الموقع الأساسي.** ويغطّي الموقع البديل ذات المنطقة التي يغطيها الموقع الأساسي، إذ يتحدد مكان المواقع البديلة بحيث تمكّن الوحدة التي تحتله من مواصلة تنفيذ مهمتها الأصلية، مثل تغطية نفس المُقتَربات أو منطقة الاشتباك تماماً كما يُغَطِيها الموقع الأساسي.

يزيد هذا النوع من المواقع قدرةَ المدافع على الصمود عبر السماح لَهُ بالاشتباك مع العَدو من مواقع متعددة. على سبيل المثال تتحرك الوحدة إلى مواقعها البديلة عندما يركّز عليها العَدو نيران مُسكتة في الموقع الأساسي.



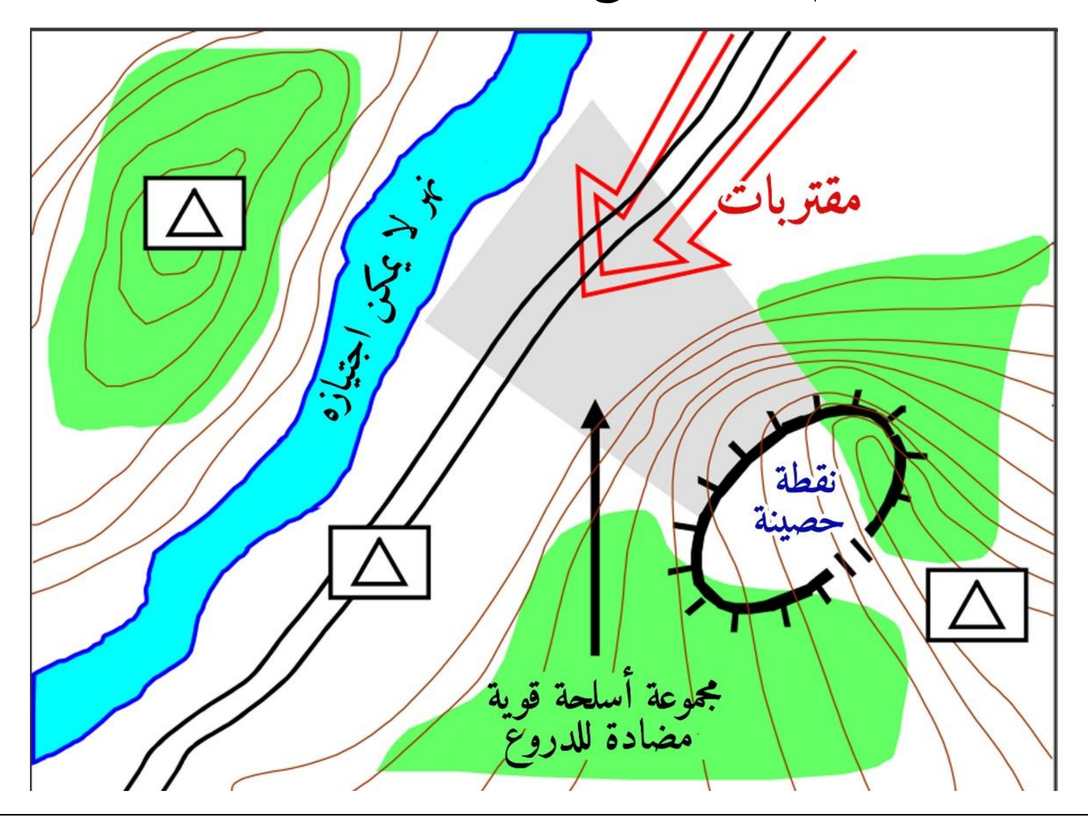
الشكل (13): نموذج عن المواقع الأساسية والبديلة

3) **الموقع المكّمِل: هو موقع دفاعي يتمركز ضِمْنَ منطقة عَمَلِيَّات وحدةٍ معيّنة، تمثل وظيفته في أن يؤمِّنَ أفضل قطاعات النيران والمواقع الدِّفَاعِيَّة على امتداد المقتربات غير الأساسية حَيْثُ يُتوقَّع أن يهاجم العَدو.** على سبيل المثال، مُقتَرَب إلى منطقة عَمَلِيَّات وحدة ما من أحد أجنحتها يتطلَّبُ عادة تأسيس مواقع مكّمِلة للسماح لوحدة أو منظومة تسليحية معينة بالاشتباك مع قوات العَدو التي تمر بالمقتَرَب.[1]

4) **الموقع الملحق: هو موقع نتوقع الوحدة الانتقال إليه أثناء سير المعركة. ويمكن أن يكون للوحدة** المُدافِعَة سلسلة من المواقع الملحقة، ويمكن للمواقع الملحقة أيضاً أن يكون لها مواقع أساسية وبديلة ومكّمِلة مرفقة بها.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-20.

5) **النقطة الحصينة: موقع معركة شديد التَّحصين، مرتبط بعائق طبيعي أو بعائِقٍ مُعزِز لإيجاد مرتكز للدفاع أو لحرمان العَدو من منطقة حاسمة أو رئيسية.** يتمّ اختيار مواقع النقاط القوية في منطقة حاسمة أو رئيسية حسب الضَّرورَة، وتُحضِّرُ الوحدةُ التي تحتل النقطة القوية المواقعَ لمنظوماتها التسليحية ومركباتها وجنودها وإمداداتها، كما يُنشئ القائد نقطةً قويَّةً عندما يتوقَّع أن تعزل أعمالٌ معادية قوةً دِفَاعِيَّة تحتل مواقع مهمة جداً للدفاع، وعندما يحتمل أن يقوم بالدفاع من جميع الجهات.[1]

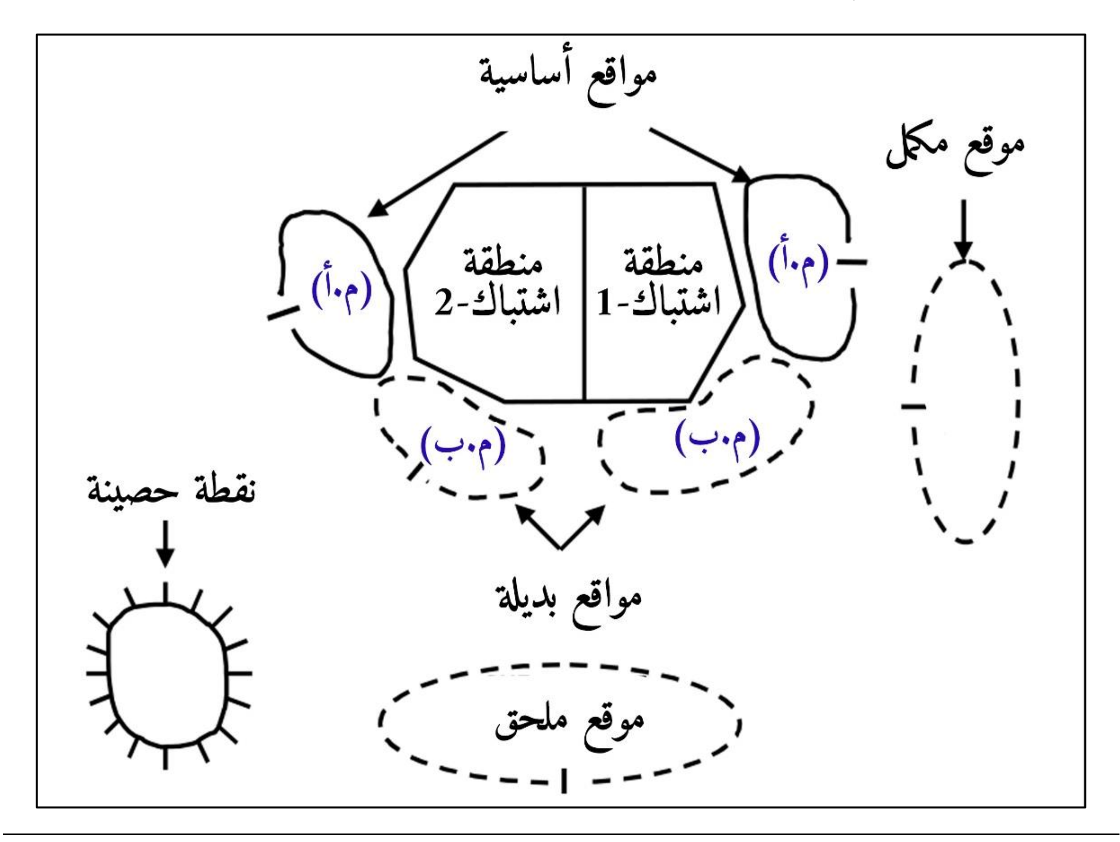


الشكل (14): نموذج عن النقطة القوية

قبل إسناد المهمة للنقطة القوية، يَجِبُ على القائد التأكد من أن لدى النقطة القوية ما يكفي من الوقت والموارد لبناء الموقع، ويتطلب هذا دعماً كافياً من سلاح المهندسين. والحد الأدنى لبناء النقطة القوية الفعَّالة يتطلب يوماً من العمل من وحدة هندسة بحجم الوحدة المدافعة عن النقطة القوية. ولا يؤسس القائد عادة نقاطاً قوية للوحدات الأصغر

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 8-22.

حجماً من السرية، لأنَّ الفصيلة والجماعة لا يمكنها تأمين محيط كبير بما يكفي لإحاطة كافة الأصول المطلوبة والإمدادات.



الشكل (15): نموذج عن مواقع المعركة الخمسة

الباب الخامس: الدِّفَاع الثَّابِت

"إن التكتيكات الدِّفَاعِيَّة جوهريةٌ في تطوير أقصى قدرٍ من القوة النَّاريَّة ضدّ العَدو المتقدم، وتقليل خسائرنا بما لدينا من معرفة بالأرض، وقدرة على تحكيم التَّضَارِيس، ومن ثُمَّ سيساعدنا هذا الأمر على إيقاف تقدم العَدو أو دفعه إلى الوراء بالهجوم المضاد." (الدليل الأمريكي FM 100-5)

يركز دفاع المنطقة (الثَّابِت) على حرمان قوات العَدو من الوصول إلى تضاريس معينة لوقتٍ معينٍ بدلاً من تدمير العَدو بمكانه. ويسعى هذا النوع من الدِّفَاع إلى الاحتفاظ بالأراضي التي تضم معظم مواقع القوات المدافعة نفسها ضِمْنَ مواقع متساندة ومجهزة بِشَكلٍ مسبق، إذاً فهو يستفيد من القوة الكامنة في التنظيم الدفاعي المتكامل على الأرض.

يختارُ القائدُ المدافعُ

العملَ بدفاع المنطقة:[1]

1. عندما تُوجِهُهُ القيادةُ العليا للدفاع أو الحفاظ على تضاريس معينة.
2. عند عدم توفر موارد لتشكيل قوةٍ هُجُومِيَّة ضاربة.
3. عندما تكون القدرة الحركية لقوات الدِّفَاع أقلَ من قدرة العَدو.
4. عندما تُؤَمِنُ التَّضَارِيس خطوطاً طَبيعيَّة تساعد على المقاومة وتَحصِرُ مرور العَدو عبر مقتربات مكشوفة وتَحُدُّ من مناوراته.
5. إذا توفر ما يكفي من الوقت لتنظيم الموقع.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-1.

6. إذا كَانَ كل من قيود التَّضَارِيس والافتقار إلى تفوقٍ جويٍ صديقٍ يُقيِّدان خيارات القوة الضاربة ضِمْنَ الدِّفَاع المتحرك.

يستخدم القائد الذي يقوم بالدفاع عن منطقة ما مزيجاً من الإجراءات الثابتة والمتحركة لإنجاز مهمته. فتكون الإجراءات الثابتة على هيئة رماياتٍ ناريةٍ انطلاقاً من مواقع مُجهزة، بينما تكون الإجراءات المتحركة عبارة عن نيران تطلقها الوحدات المتحركة، بحيث تتمركز هَذِهِ الوحدات في مواقع مُجهزة تُمثِلُ قاعدةَ انطلاقٍ لها لتنفيذ الهجمات المضادة، وتُعيدُ التموضع بين المواقع الدِّفَاعِيَّة (الثابتة) بِشَكلٍ مستمر. وفي الدِّفَاع الثَّابِت، يمكن للقائد أن يستخدم احتياطاته وقواته التي لم يزجَّ بها للقيام بالهجمات المضادة والهجمات الإفسَاديَّة لتقويض تنسيق قوات العَدو أو منعه من التحشد.[1]

يشمل الحديث عن الدِّفَاع الثَّابِت الفصول التالية:

- **الفصل الأول: تنظيم القوات**
- **الفصل الثاني: التخطيط**
- **الفصل الثالث: الإعداد**
- **الفصل الرابع: التنفيذ**

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-2.

الفصل الأول: تنظيم القوات في الدِّفَاع الثَّابِت

بالنظر إلى الغاية الرَّئيسيَّة من الدِّفَاع الثَّابِت ألا وهي حمايةُ وحِفظُ الأرض بِشَكلٍ خاصٍ، فإن توزيع القوات في هذا النوع من الدِّفَاع لا بد من أن يكون بنحو يُمكِنُ فيه من تركيز الحد الأقصى من القدرة القِتَالِيَّة في المستوى المتقدم للمنطقة الدِّفَاعِيَّة للحفاظ على أرض هَذِهِ المنطقة، وعلى هذا الأساس تُنتخَبُ القواتُ الأماميَّةُ في الدِّفَاع الثَّابِت من أكفأ وأقوى الوحدات الموجودة.

يقوم القائد في الدِّفَاع الثَّابِت بتقسيم قواته إلى أربعةِ أجزاءٍ أساسية:

1. قوات مسؤولة عن عَمَلِيَّات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع.
2. قوات مسؤولة عن عَمَلِيَّات التَّأمين.
3. قوات مسؤولة عن منطقة عَمَلِيَّات المعركة الرَّئِيسيَّة.
4. قوات الاحتياط.

بالنسبة لقوات الاستطلاع والمراقبة والاستخبارات؛ ينبغي أن يوجهها القائد لتحديد قوة العَدو المهاجم ومواقعه ونواياه المحتملة قبل العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة وأثناءَها.

ويضعُ القائدُ التَّعرُّفَ المُبَكِرَ على الجهد الرئيسي للعدو كأولوية قصوى لَهُ، وقد يحتاج إلى أن يكمل رصده بواسطة الأعمال القِتَالِيَّة بهدف اختبار نوايا العَدو.

والقتال من أجل المعلومات لَهُ فائدتان: [1]

1. قد يجبر العَدو على الكشف عن نواياه.
2. ويعطل استعداداته.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-4.

أمَّا قوات التَّأمِين، فوظيفتها أن تعمل على تحقيق ما تمَّ ذكره سابقاً في مبدأ التَّأمِين والإعاقة في الأبواب الأولى من الكتاب، لكن يمكن اختصار وظائفها في النقاط التالية: [1]

- إجراء ستار مضاد لاستطلاع العَدو.
- خداع العَدو عن مكان منطقة العَمَلِيَّات الرَّئِيسيَّة.
- تأخير قوات العَدو أمام منطقة العَمَلِيَّات الرَّئِيسيَّة.
- إضعاف قدرات العَدو في استخدامه لكامل قواته، وهذا الأمر قد يتحقق عملياً عبر إجراء النيران بعيدة المدى، لضعضعة تنظيم وتشكيل العَدو وتدميره.

عندما يعمل الدِّفَاع ضِمْنَ مناطق عَمَلِيَّات متجاورة، ينبغي أن يتمّ نشر قوة التَّأمِين أمام المواقع الدِّفَاعِيَّة الرَّئِيسيَّة. أمَّا عند العمل ضِمْنَ مناطق عَمَلِيَّات غير متجاورة، فإن قوة التَّأمِين تنتشر على المقتربات بين القوات الصَّدِيقَة المراد حمايتها وبين مواقع العَدو المعلومة أو المحتملة. والجدير بالذكر أن قوات التَّأمِين يَجِبُ أن تحقق مبدأ توظيف الأرض الذي سبق ذكره في الأبواب الأولى، إذ عليها أن تتموضع على أفضل العوارض الأرضية التي تتوفر فيها المواصفات التالية:[2]

- تمتلك حقلَي رؤيةٍ ورمايةٍ عميقين.
- تمتلك طرقَ انسحابٍ محجوبةٍ ومستورةٍ.
- تمنع من الرصد البري على منطقة القتال.
- الإخلال بتنظيم وتشكيلة العَدو.

وبالنسبة لقوات العَمَلِيَّات الرَّئِيسيَّة، على القائد أن يضع الكتلة الرَّئِيسيَّة (الجزء الأكبر من قواته) في منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة حَيْثُ يجري عملياته الحاسمة، كما ينبغي أن ينظم كتلته الرَّئِيسيَّة لإيقاف العَدو المهاجم وهزيمته ومن ثُمَّ تدميره. ويركز القائد عملياته الدِّفَاعِيَّة في دفاع المنطقة على الاحتفاظ بتضاريس معينة باستخدام مواقع مجهزة مسبقاً تتيح إسناداً

---

[1] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكرِيّ للجيش اللبناني، شريحة رقم 69

[2] أصول وقواعد الدِّفَاع، المرجع العَسكرِيّ للجيش اللبناني، شريحة رقم 73

متبادلاً فيما بينها، وتكمّلها هجمةٌ مضادة أو أكثر، وباستخدام إعادة تموضع القوات (حسب الحاجة) من موقعٍ إلى آخر. وعادةً ما تتضمن عَمَلِيَّات القائد الحاسمة قتالاً قريباً نظراً لكون دفاع المنطقة يُرِكِزُ على الاحتفاظ بأرضٍ ما. [1]

ومن حَيْثُ **قوات الاحتياط**، فيجب أن تكون خطةُ القائد قادرةً على النجاح دُونَ الاضطرار إلى استخدام القوات الاحتياطِيَّة. ومع ذَلكَ فإن المُهِمَّةَ الأكثرَ احتمالاً للقوات الاحتياطِيَّة هي القيام بهجمات مضادة وفقاً لخطط مُعدَّة مسبقاً. ويقوم قائد النسق الأصغر باستخدام قواته الاحتياطِيَّة لتنفيذ هجمات مضادة محليَّة لاستعادة تماسك الدِّفَاع أو بهدف استغلال فرصة ما.

بينما يقوم القائد الأعلى باستخدام قواته الاحتياطِيَّة لاسترداد زمام المبادرة من عدوه حين تأتي الفرصة. [2]

والقوة الاحتياطِيَّة هي قوة لم يتمّ زجّها في المعركة، ويمكن للقائد أن يُكلِفَها بواجباتٍ مختلفةٍ حين زجّها، مثل: [3]

1. تعزيز الدِّفَاع عن القوات التي تمَّ زجّها.
2. صدّ أو احتواء قوات العَدو التي تخترق المواقع الصَّديقَة الدِّفَاعيَّة.
3. التخفيف عن الوحدات التي استنفدت قوتها بهدف استمرار العَمَلِيَّة.
4. الرَّد على التَّهدِيدَاتِ الموجهة ضد جهود إدامة القوات الصَّديقَة. وهذا يشمل العمل كنسق قوة قِتَالِيَّة تكتيكية حين يمكن توفير مثل هَذِه القوة.
5. تمديد أجنحة القوات المدافعة لمنع عملية التطويق على الوحدات الصَّديقَة.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-8 and 9-9.

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, 9-10.

[3] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, 9-11.

6. تغطية تراجع الوحدات صديقة.

والجدير بالذكر أن حجم القوات الاحتياطِيَّة مرتبط بعدم المعرفة الواضحة بقدرات العَدو ونواياه، فكلما كَانَ وضع العَدو غير واضحاً زادت تلك القوات. والعكس صحيح أيضاً، فلو كَانَ القائد يعرف حجم العَدو وانتشاره وقدراته ونواياه، فسيحتاج إلى احتياطٍ صغيرٍ نسبياً.[1]

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-13.

الفصل الثاني: التخطيط للدفاع الثَّابِت

حين التخطيط لدفاع المنطقة، على القائد أن يختار بين شكلين من المناورات الدِّفَاعِيَّة؛ فيستطيع أن ينظم قواته للدفاع في العمقِ أو للدفاع الأمامي. ويمكن المزج بين هذين الخيارين بأن يُخصِصَ القائدُ جزءاً من قواته للدفاع الأمامي وجزءاً للدفاع بعمق. وعند تحديد شكل المناورة، يُقرِرُ القائدُ أين تقع الأرض الصالحة للدفاع ضِمْنَ منطقة العَمَلِيَّات المعينة بناءً على الاعتبارات الستة التي سبق ذكرها (عوامل المهمة والعدو والمنطقة والطقس والقوات والدَّعم المتوفر والوقت المتوفر والاعتبارات المدنية). **لكن بالعموم فإن عملية التخطيط للدفاع في العمق تمر بثلاثة مراحل أساسية:** [1]

1. **التخطيط لاختيار الموقع.**
2. **التخطيط لتوزيع القوات.**
3. **التخطيط للهجمات الإفسَاديَّة والهجمات المضادة.**

أولاً: اختيار الموقع

إن حاولتَ الدِّفَاع عن كل شيء، فلن تنجح في الدِّفَاع عن أي شيء. لذلك، ينبغي على القائد أن يُصمِمَ خطته الدِّفَاعِيَّة لوقف هجوم العَدو وخلقِ الفرص المناسبة لاسترداد زمام المبادرة والقيام بعمليات هُجُومِيَّة، وليس لإغلاق المنطقة الدِّفَاعِيَّة بِشَكلٍ كامل. وعندما يُجبر القائد على الدِّفَاع على جبهة عريضة، فعليه أن يقبل بوجود ثغرات وأن يُطبِقَ الدِّفَاع بمناطق عَمَلِيَّات غير متجاورة، بحيث يُصبحُ الخط الأمامي لقواته متقطعاً. إن الدِّفَاع عن منطقة عَمَلِيَّات نحيفة (من ناحية الطول) يُقلِلُ من المرونة ويُجبِرُ القائدَ على القتال أماماً.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-22 and 9-23.

بينما تزيد الجبهة الضيقة (بالعرض) والمساحات العميقة من مرونة دفاع المنطقة عن طريق تعدد خيارات المناورة لدى القادة في هَذِهِ الحالة.[1]

يتطلب مفهوم دفاع المنطقة أن تقوم المواقع الدِّفَاعِيَّة بإنجاز مهماتها فرادىً أو مجتمعةً عبر تدمير العَدو نارياً أو امتصاص قوة الهجوم داخل المواقع أو تدمير العَدو بهجومٍ مضادٍ محلي. فيمزج القائد فوائد القتال سواءً من مواقع مُعدّة مسبقاً، وعوائق، وخططٍ نارية، وهجمات مضادة محلية بغرض عزل تشكيلات منتقاةٍ للعدو والتغلب عليها. وينبغي على القائدِ أن يستعد لأنَّ يُغَيِّرَ بسرعة طبيعة جهده الرئيسي وموقعه عبر منطقة العَمَلِيَّات، فيجب أن يكون مستعداً لإعادة تموضع وحداته بمواقعها الدِّفَاعِيَّة لمواجهة أي وضع ينشأ في الدِّفَاع أو يعيد تموضعها بين المعالم التَّضاريسيَّةِ في الوقت الذي يعمل فيه على حشد نيرانٍ هائلةٍ ضدّ قوات العَدو المهاجمة. ويَجِبُ على الخطة الدِّفَاعِيَّة أن تُعينَ محاورَ التَّقَدُم وطرقَها لقوات الاحتياط التي ستنتقلُ أو تُزجُّ بالمعركة، أو مسار عبور كل وحدة عبر وحدةٍ أخرى سواءً إلى الأمام أو الخلف. وهذه القدرة على إعادة التموضع تعتمد على التفوق الحركي التكتيكي للقوات المدافعة. ومن دونها ستبقى الوحدات المدافعة في مواقعها وستُجبَرُ على قبول احتمالية خوض اشتباكٍ حاسمٍ مع العَدو.[2]

يعتبر دفاع المنطقة مثالياً حالما وُجِد إسناد متبادل فعَّال بعرض المواقع التَّكتيكيَّة الدِّفَاعِيَّة وعمقها. ويقوم القائد بتنظيم هَذِهِ المواقع واحتلالها بناءً على قوتها الدِّفَاعِيَّة الطَّبيعِيَّة وقدرتها على الاحتفاظ بتماسك الدِّفَاع، سواءً كَانَ يُطبَقُ الدِّفَاعُ عبرَ منطقة عَمَلِيَّات (الدِّفَاع في العمق) أو عبر مواقعَ قِتَالِيَّةٍ (الدِّفَاع الأمامي) أو يستخدم مزيجاً من الدفاعين معاً.[3]

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-26.

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTIC, 9-25.

[3] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, , 9-27.

1) الدِّفَاع في العمق:[1]

الدِّفَاع في العمق هو عادةً الخيارُ المفضلُ للقائد المدافع. فالقوات التي تدافع في العمق تمتص زخم هجوم العَدو بإجباره على الهجوم مراراً وتكراراً من خلال مواقع الإسناد المتبادل في العمق. والعمق يمنحُ للمدافع الوقت اللازم لتوليد نيرانٍ مدمرةٍ بالإسناد النَّارِيّ، ويمنح العديد من الفرص لتركيز القوة القِتَالِيَّة نيراناً مدمرة ضد العَدو المهاجم. ويتيح هذا الأمر أيضاً المزيد من الوقت للقوات المدافعة حَتَّى تَرُدَ بهجومٍ مضادٍ، كما سيتمكن القائد من جمع المزيد من المعلومات عن نوايا العَدو المهاجم قبل أن يكمل مسار عمله؛ وهكذا ستقل خطورة اختراق العَدو بسرعةٍ لخط الدِّفَاع الرئيسي.

يستخدم القائد أيضاً الدفاع في العمق عندما يكون لدى العَدو كميات كبيرة من الذخائر الموجهة عالية الدقة أو أسلحة الدمار الشامل، فالدفاع في العمق يسمح بانتشارٍ أوسعٍ للقوات الصَّديقَة والمنشآت عبر منطقة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة. وعلى القائد أن يتخذَ التدابيرَ اللازمة لتقليل تأثير أسلحة الدمار الشامل على القوات الصَّديقَة، ويَحْرِمَ العَدو من استهداف أهداف عالية القيمة.

وإن درجة الانتشار المتبناة من القوات المدافعة هي انعكاسٌ لكلٍ من قدرات العَدو وقدرات القوات الصَّديقَة على التركيز السَّريع للقوات القِتَالِيَّة في النقاط الحاسمة.

عندما يجري دفاعٌ في العمق، سوف يقوم القائد المدافع بوضع وحداته على شكل صفوف متتابعة على طول مقتربات العَدو المحتملة. ويُقرِرُ القائدُ عادةً إجراء دفاعٍ بالعمق عندما:

- تكون التَّضَارِيس الموجودة إلى الأمام لا تساعد في عملية الدِّفَاع، بينما التَّضَارِيس الموجودة في عمق منطقة العَمَلِيَّات أفضل حالاً.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-28 and 9-29 and 9-30.

- تكون المهمة ليست مقيدة بمكانٍ محددٍ ومن ثُمَّ تسمح للقائد بالدفاع عبر عمق ساحة المعركة.
- تمتع منطقة العَمَلِيَّات بعمق أكبر من العرض.
- يكون التستر والتخفي على الحد الأمامي لمنطقة المعركة أو بالقرب منها محدوداً.
- يكون لدى العَدو أضعاف القوة القِتَالِيَّة مما لدى المدافع.

2) الدِّفَاع الأمامي: [1]

32-9. ينفذ القائد عمليته الحاسمة من موقعٍ دفاعيٍ أماميٍ بالقرب من الحد الأمامي لمنطقة المعركة حَيْثُ ستتركز معظم قواته القِتَالِيَّة في مناطق الاشتباك على طول الحد الأمامي لمنطقة المعركة بهدف منع العَدو من اختراق المنطقة الدِّفَاعِيَّة.

ففي الدِّفَاع الأمامي، ستقوم الوحدات بالقتال للمحافظة على هَذِهِ المواقع على طول الحد، وستشن هجوماً مضاداً عنيفاً ضد أي اختراقات تحدث. ومع ذَلِكَ، فإذا ما استطاع العَدو خرق المواقع الدِّفَاعِيَّة الرَّئِيسيَّة، فإن افتقار المدافع للعمق قد يسمح للعدو أن يستغل نجاحاته بسرعة.

بالعموم، يستخدم القائد الدِّفَاع الأمامي عندما يوجهه القائد الأعلى للاحتفاظ بأرضٍ أمامية لأسبابٍ سياَسيَّة أو عسكريةٍ أو اقتصاديةٍ أو أخرى. وعدا عن هَذِهِ الأسباب فقد يختار القائد الدِّفَاع الأمامي حين تزيد الأرض (بما فيها من عوائق طَبيعيَّة) من أفضلية القوات المدافعة، وذلك عندما:

- تقع أفضل المواقع الدِّفَاعِيَّة على طول الحد الأمامي لمنطقة المعركة.
- توجد عوائق طَبيعيَّة قوية قرب الحد الأمامي لمنطقة المعركة.
- توجد مناطق اشتباك طَبيعيَّة قرب الحد الأمامي لمنطقة المعركة.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, 9-32 and 9-33.

- يكون التستر والإختفاء في مؤخرة منطقة العَمَلِيَّات محدوداً.

ثانياً: تموضع القوات[1]

مهما يكن اختيار القائد الدفاعي – سواءً كان أمامياً أو في العمق - وبمجرد أن يبدأ العَدو بزجّ قواته، سيكون القائد المدافع قادراً على اغتنام المبادرة عبر استخدام قواته الاحتياطِيَّة للقيام بهجوم مضاد عبر الأرض التي يعرفها لتدمير العَدو غير المنظم والمتوقف، بينما تغطيه نيران من مواقع صديقة. وحيثما أمكن، فليعمل القائد على توجيه تلك الهجمات المضادة ضد مؤخرة العَدو أو مجنبته. وقوات الاحتياط هي مفتاح الهجمات المضادة.

ويضَعُ القائدُ الاحتياطَ ضِمْنَ منطقة العَمَلِيَّات بحيث يستطيع استعمال شبكة الطرق بما يُمَكِنُهُ من الانتقال السريع عبر منطقة العَمَلِيَّات استجابةً لأي فرصة أو طارئ. ومن ثُمَّ يَجِبُ على القائد أن يُفَكِرَ في التَّضَارِيس وطرق الإمداد الرَّئِيسيَّة ومقتربات العَدو والاختراقات المحتملة للعدو عند وضع قواته الاحتياطِيَّة. وقد يختارُ أولاً وضع الاحتياط في موقعٍ أماميٍ لخداع عدوه والتعمية على حدود الوحدات المختلف التابعة لَهُ، مثل المدرعات والمشاة الخفيفة.

عندما تكون التَّضَارِيسُ مقيّدةً (وعرةً) ولا تساعد على حرية الحركة يُمكِنُ للقائد تنظيم قواته الاحتياطِيَّة ضِمْنَ عناصرَ صغيرةٍ ووضعهم في مكان يستطيعون فيه الرَّد بسرعة على التطورات القِتَالِيَّة المَحَلِيَّة. فالانتشار يزيد من حمايتها، ولكن في نفس الوقت يُقلِلُ من قدرتها على حشد النيران. ويَجِبُ إتاحة طرق نشرٍ عالية السرعة جانبيَّةٍ وأماميَّةٍ، مع جعل الأولوية للتحرك على هَذِهِ الطرق للاحتياط، كما يَجِبُ على القائد أن يضمن إدامة الاتصال بين هَذِهِ العناصر المنتشرة، وقد يتطلبُ هذا الأمرُ الأخيرُ إنشاءَ عُقد إعادة إرسال للشبكات اللاسلكية العَسكَرِيَّة. أمَّا في التَّضَارِيس المفتوحة، فيحتفِظُ القائدُ بقواتٍ احتياطيَّة في

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-34 until 9-38.

موقع مركزي على مسافةٍ ما من الخط الأمامي لقواته، ويأخُذُ بالاعتبار لدى وضعه الاحتياط قدرة العَدو على استخدام أسلحة الدَّمار الشَّامل وقدرته على القيام بالاعتراض الجوي عليها.

حيثما أمكن يضعُ القائدُ الاحتياطَ بعيداً خارج مدى نيران العَدو المباشرة، ويَسْهُلُ القيامُ بذلك في الأنساقِ الكبرى أكثرَ مما في الأنساق الصغرى. وعلى الاحتياطِ أن يتخذَ تدابيرَ عدم كشفه وحماية نفسه من أسلحة النيران غير المباشرة ويشمل هذا؛ التمويه والتأمين المحلي والحد من الإرسال الإلكتروني.

وعلى قائد الدِّفَاع أن يُخطِطَ كيف يقومُ بإعادة تشكيل الاحتياط بمجرد أن يزجَّ احتياطه الأصلي. ويُمكِنُ تخصيصُ احتياطٍ جديد بسهولةٍ من احتياط الوحدات التابعة. وإذا لم تزج القيادة الأعلى باحتياطاتها، فللقائد الحرية في الاختيار بأن يخاطر بزج احتياطه الخاص متى شاء.

ثالثاً: الهجمات الإفسَاديَّة والهجمات المضادة[1]

الهجمة الإفسَاديَّة: هي عملية تستبق هجوم العَدو أو تعمل على إضعاف قدرة العَدو على شنّ الهجوم، بينما يَمنعُ الهجومُ المضادُ العَدو من استغلال نجاحات هجومه. ويَجِبُ أن تكون القوات التي تنفذ أيّاً من النوعين كبيرةً بما فيه الكفاية وقوية لتطوير الوضع، وتحقيق الحماية للمدافعين، وإجبار العَدو على الرَّد حَتَّى يضع خطته على المحك.

سواءً كَانَت خطة القائد المدافع هي هجمات إفسادية أو هجمات مضادة باحتياطاته أو قواتٍ أخرى، عليه أن يضع في الحسبان وضع عدوه، ويقدر عاملي الوقتِ والمسافةِ لوصول

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-39 until 9-41.

أي قوات لاحقةٍ للعدو. ثُمَّ يُحدِدُ بأي وحداته سيهاجم، وأين سيكون بعد الهجوم، وما هي العرقلة المطلوبة لعزل عنصرِ العَدو المُستهدَفِ.

وإن أكثرَ الهجماتِ (المضادةِ) فعاليةً هي التي تستولي على مواقعَ محصّنةٍ تسمح لقوات الهجوم المضاد بتوجيه نيران على مجنبات العَدو ومؤخرته المكشوفة. وإذا كُلِفت بواجب البقاء والدفاع ضد قوات العَدو اللاحقة، فعلى قوات الهجوم المضاد أن تُنشِئَ مواقعَ دِفَاعِيَّةً صالحةً قبل أن تستطيع أي وحدة لاحقة للعدو أن تحقق التَّمَاس معها.

تتضمن خطط الهجوم المضاد:

حجم وشكل اختراق العَدو أو تشكيلاته؛ وقوام قوة العَدو ومكونات هَذِهِ القوة؛ وحال الاحتياط والقوات في منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة.

ومن العوامل الأخرى التي تُؤثِرُ على الهجوم المضاد:

القابليةُ على احتواء العَدو، وعمليات التَّشكِيل لإسناد الهجوم، وقوام الاحتياط واستجابته في وقت تنفيذ الهجوم المضاد.

الفصل الثالث: الإعداد للدفاع الثَّابِت[1]

تبدأ الاستعدادات بالتخطيط للمزيد من عَمَلِيَّات الاستطلاع وجمع المعلومات والرصد لاستيفاء متطلبات المعلومات الحساسة التي تحتاجُها قيادة الدِّفَاع، وتنقيحُ الخطةِ، وزيادةُ التنسيقِ وإجراءُ عَمَلِيَّاتِ التَّشكِيل ضِمْنَ قدرات القوة المتاحة وبما يتوافقُ مع توجيهات عَمَلِيَّات التَّأمين. وفي حال رأى القائد بأن العَدو سوف يهاجم قبل أن يكون لديه الوقت الكافي لإعداد دفاعاته بِشَكلٍ كامل، فيجب عليه القيام بهجمات إفسادية لكسب المزيد من الوقت والعمل على إعداد دفاعٍ مدروسٍ.

تحتل الوحدات المدافعة مواقعها الدِّفَاعِيَّة بأسرع وقتٍ ممكنٍ عملياً بعد تلقي المهمة، وتُجري استطلاعاً للمنطقة الدِّفَاعِيَّة، كما تُنشِئ منطقةَ تأمينٍ أماميةٍ قبل احتلال المواقع. ويمكن للوحدة أن تُنجزَ الكثيرَ من الواجبات الدِّفَاعِيَّة في آن واحدٍ مع مراعات هَذِهِ الأولويات:

- تحقيق تأمين محلي ونشر قوات تأمين.
- تحديد مناطق الاشتباك، حيثما يريد القائد الاشتباك مع العَدو وتدميره.
- التخطيط لتدابير السَّيطَرَة النَّارِيَّة، مثل نقاطِ العَلَام للأهداف، وخطِ بدء إطلاق النَّار، ونيرانِ الحماية النهائيَّة لإسناد مناطق الاشتباك.
- تحديد تموضع أنظمة الأسلحة الرَّئِيسِيَّة للتعامل مع العَدو في مناطق الاشتباك واستخدام نقاط العَلَام للأهداف وتحضير بطاقات المديات ومخططات القطاع.
- تحديد تموضع الراصدين الذين يمكنهم رؤية الأهداف وخطوط بدء إطلاق النَّار.
- تحديد مجموعات العوائق التي تدعم الأسلحة النَّارِيَّة.
- تحديد وتنظيف حقول النيران.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-44 until 9-51.

- إعداد مواقع القتال الرَّئيسيَّة، بالاعتماد على ظروف القتال المتوقعة، مثل وقت النَّهار والطَّقس.
- نصب العوائق وتفحص النيران غير المباشرة التي تسندها.
- توفير الإخفاء والتمويه لمواقع القتال ومواقع النجاة بينما يتمّ بناؤها.
- إنشاء تغطية بالمستشعرات التقنية وربطها بنيران سريعة تغطي على المواقع التي تمَّ اعتبارها "مواقع حسَّاسة صديقة".
- نصب أجهزة مساعدات الرؤية في الليل وظروف الرؤية المحدودة، مثل الأضواء الكيميائيَّة والنَّقاط الحرارية على نقاط عَلَامِ الأهداف نهاراً.
- تحديث بطاقات المديات ومخططات القطاع.
- إعداد مواقع القتال البديلة.
- تحديد وإعداد المواقع التكميليَّة.
- تحديد مواقع الإخفاء ومراجعة حركات الانتقال من وإلى مواقع القتال. (يمكن للوحدات أن تضع عرباتها التَّكتيكِيَّة والقتاليَّة في مواقع الإخفاء في أيِّ وقتٍ بينما يُعِدّون مواقعَهم الدِّفاعِيَّة)
- تموضع قوات الاحتياط.
- إنشاء نقاط اتصال مع الوحدات المجاورة، حَتَّى تترابط جهودهم الدِّفَاعِيَّة.
- مدُّ أسلاك الاتصالات.
- تحسين قابلية الحركة على طرق الهجوم المضاد.
- التَّخزين المسبق للذخيرة في المستودعات المحصنة التي سوف تساعد على النجاة من نيران العَدو التمهيديَّة.
- التدرُّب على التحرك النَّهاري وأثناء الرُّؤية المحدودة.
- الاستمرار في تحسين الدِّفَاع.

إن مواقع النجاة تزيد من قوة المواقع الدِّفَاعِيَّة بإتاحة شيءٍ من الستر أمام أنظمة التسليح والجنود من نيران العَدو، ويبدأُ بناءُ مواقع النجاة وفقاً لأولويات العمل، ثُمَّ يستمرُ البناءُ

والتحسينُ حَتَّى آخر لحظةٍ ممكنةٍ. ويتم اختيار السقوف بِشَكلٍ متنوع بما يُنَاسِبُ مواقعَ الجنودِ المختبئين وقدرات عدوهم. وعلى الوحدات المدافعة تحسينُ طرق المواصلات عبر المواقع الدِّفَاعِيَّة بما يسمح به الوقت والموارد، وذلك بغرض تسليح حركة الإمدادات والقوات وخاصّة الاحتياط. وتعمل الوحدات بسرعةٍ على إنشاء اتصالٍ سلكي بين عناصر الوحدات التابعة لها لتقليل الإشارات الكهرومغناطيسية.

تُراجعُ الوحداتُ المدافعةُ كيفية تحركها من مخابئها إلى مواقعها الأوليَّة، وكيف لها أن تُشغِلَ المواقعَ البديلةَ والتكميليَّة للاستمرار في الاشتباك مع العَدو إذا ما تقدم نحو المواقع الدِّفَاعِيَّة للوحدة. وتُحدِدُ هَذِهِ المراجعاتُ الوقتَ اللازمَ لإجراء هَذِهِ التحركات تحت مختلف الظُّروف البيئيَّة.

يُؤَمِّنُ القائدُ تنسيقاً وثيقاً بين الوحدات التابعة لَهُ. ففي مرحلة التَّحضير، يمكنه أخذ قادة وحداته إلى نقطة مشرفة (إن كَانَت توجد) في منطقة المعركة الرَّئيسيَّة لمراجعة المعركة وخطة التنسيق بين الوحدات، وهذا سيُساعِدُ القائدَ في إفهام نيته وإنشاء تدابير السَّيطَرَة المشتركة على وحداته.

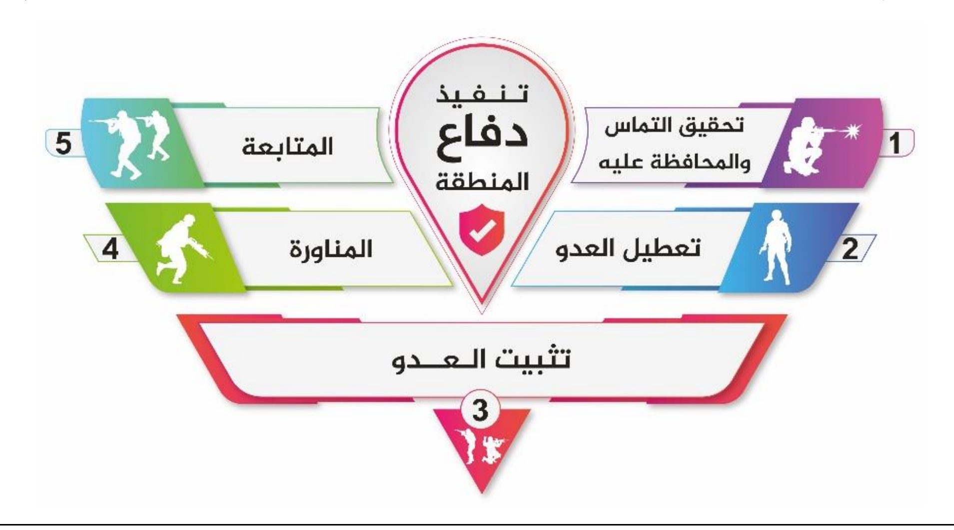
الفصل الرابع: تنفيذ الدِّفَاع الثَّابِت

في دفاع المنطقة، تُقاتِلُ القواتُ المدافعةُ أساساً انطلاقاً من مواقعَ مجهزةٍ ومحميةٍ، وذلك لتركيز تأثيرات قوتها القِتَالِيَّة ضدّ اختراقات العَدو والتفافاته. ويستخدمُ القائدُ قواتٍ متحركةً لتغطية الثَّغَرَات بين المواقع الدِّفَاعِيَّة، وتعزيز تلك المواقع حسب الحاجة، وللقيام بالهجوم المضاد لغلق اختراق العَدو أو صدّ محاولاته للالتفاف.[1]

يُقسَّم التنفيذ في دفاع المنطقة إلى:

1. تحقيق التَّمَاس والمحافظة عليه.
2. تعطيل العَدو.
3. تثبيت العَدو.
4. المناورة.
5. المتابعة.

وهذا التقسيم لا يُقصد منه تنفيذ هَذِهِ الخطوات بالتسلسل، بل يمكن تنفيذها في آنٍ واحد.



الشكل (16): خطوات تنفيذ دفاع المنطقة

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-56.

أولاً: تحقيق التَّماس والمحافظة عليه[1]

من الضروري بمكانٍ لنجاح العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة، تحقيق التَّماس مع العَدو وإدامته قبل أن يستطيع تدمير أصول الاستطلاع والمراقبة والاستخبارات الصَّديقَة. وعند بدء الهجوم المعادي، تمثل اهتمامات القائد المدافع الأوليَّة في تحديد مواقع العَدو وقدراته وتحديد نيته واتجاه هجومه وكسب الوقت للرد عليه.

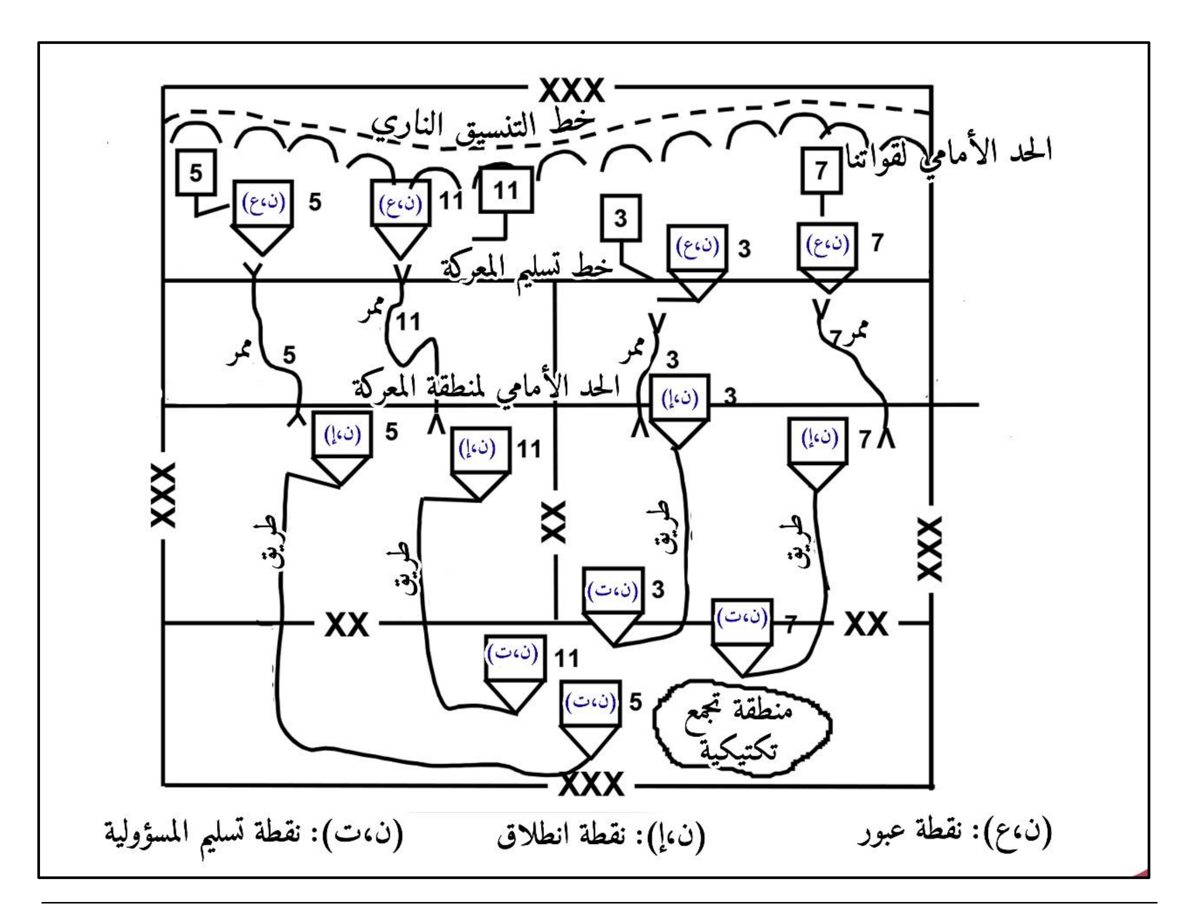
تسعى قواتُ التَّأمِينِ في هَذِهِ المرحلة إلى تجريد العَدو من قواته الاستطلاعية وتخبئة ترتيبات القوات الدِّفَاعِيَّة وقدراتها ونواياها، في الوقت الذي تحاول فيه أصول الاستطلاع والمراقبة والاستخبارات الصَّديقَة كشف مسار عمل العَدو. ومن الناحية المثاليَّة، فإنّ القتال ضِمْنَ منطقة التَّأمِين ينبغي أن يُجبِرَ العَدو على تنفيذ تَحَرُّكَات لتحقيق التَّماس ضدّ الدفاعات المُجهزة.

وعند انتقال قوات التَّأمين، يقوم القائد بالاستعدادات لتمرير تلك القوات في نقاط عبور عبر منطقة عَمَلِيَّات المعركة الرَّئيسيَّة أو من حولها بأسرع ما يمكن مستخدماً نقاط عبور، أو ثغرات، أو ممرات على طول الحد الأمامي لمنطقة المعركة، ويتمُّ تنفيذُ هَذِهِ العَمَلِيَّةِ عادةً بتجزئة قوة التَّأمين وعبورها الواحدة تلو الأخرى. ويتم بعدها نقل المسؤولية بين قوات التَّأمين وقوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة أمام الحد الأمامي لمنطقة المعركة.

وبالاستفادة من الخطط والتَّنسيق المسبق، تنسق قوات التَّأمين مع قوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة تنسيقاً أخيراً في نقاط الاتصال بغرض ضمان سلاسة العبور من بين قوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-59 until 9-66.



الشكل (17): نموذج عن نقاط العبور والانطلاق وتسليم المعركة

يَجِبُ ألا تنسحب قوات التَّأمِين بالكامل ومن تلقاء نفسها لمجرد وصول وحدات العَدو الأولى إلى الحد الأمامي لمنطقة المعركة، إذ يمكن للقائد أن يترك قوات التَّأمِين في الأماكن التي لم يتقدم فيها العَدو. وعلى قوات التَّأمِين أن تقوم بتعديل ترتيباتها وفقاً لتقدم العَدو، مع الاستمرار في تنفيذ عَمَلِيَّات التَّأمِين أبعد ما يكون إلى الأمام، فتستمر بإزعاج عَمَلِيَّات العَدو التشكيلية وإخلال تنسيقه، وهو ما يُفَرِغُ قائدَ منطقة عَمَلِيَّات المعركة الرَّئيسيَّة للقيام باشتباك واحد أو معركة واحدة فقط. وهذا الأمر سيزيد من فرص النجاح حَتَّى لو استطاع العَدو اختراق منطقة المعركة الرَّئيسيَّة في بعض الأماكن. وفي بعض الحالات، تستطيع قوة التَّأمِين مهاجمة مؤخرة العَدو، لتشتبك مع أهدافٍ عالية القيمة أو تدق إسفيناً بين أنساقه عازلةً وحدات العَدو الرائدة.

باقتراب العَدو من منطقة المعركة الرَّئيسيَّة، للقائد أن يأمر أصوله الاستطلاعيَّة والرصديَّة ضِمْنَ قوات التَّأمِين بأن تتموضع على جانبٍ واحدٍ أو جانبي اختراق العَدو لتستمر في

مراقبته. وبمراقبة تلك الأصول لجنبات العَدو وإتاحتها لطرق للوصول إليها، فستُيسِرُ للقوات الصَّديقَة إجراء هجمات مضادة. ومع ذَلِكَ، فللقائد أن يحصُرَ مراقبتَه للمناطق التي لم يتقدم لها العَدو في منطقة المعركة الرَّئيسيَّة بالوسائل التقنية فقط، منعاً لتعرض أصوله الاستطلاعيَّة والرصديَّة للتطويق.

إن تسليم مسؤولية المعركة بين قوات التَّأمين وقوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة يتطلب تنسيقاً وثيقاً وتنفيذاً سريعاً كفؤاً قدر الإمكان، وذلك لمنع تعرضهم لنيران العَدو. وينبغي على قائد قوة التَّأمين المحافظة على حرية المناورة لحين البدء بعبور الخطوط. وتساعد أصول الإسناد النَّارِيّ على تغطية انسحاب قوات التَّأمين. وعلى عناصر الإسناد القتالي وخدمات الدَّعم القتالي التابعتَيْن لقوات التَّأمين التحرك أسرع ما يكون إلى المؤخرة منعاً من إعاقة حركة القوات المقاتلة.

يَجِبُ على القائدِ أن يُفكِرَ في المهمة التالية لقوات التَّأمين قبل أن تُسلم هَذِهِ القوات المعركَةَ لقوة المعركة الرَّئيسيَّة. ومن العوامل التي تؤثر على القرار بهذا الشأن هي:

حالة قوات التَّأمين، ومتطلبات الاستعدادات للمهمة القادمة، والاحتياط المطلوب في هذا الوضع من ناحية حجمه وطبيعته. فقد يُقرِرُ إعادة تعيينها كاحتياطي لَهُ، وبالتالي تكليف الاحتياطِيّ الأساسي بالقيام بمهام أخرى، أو يُقَرِرُ نشرها على أجنحة قوات منطقة المعركة الرَّئيسيَّة للقيام بمهام تأمينٍ إضافية بحسب مجريات المعركة. لكن قد تحدث الحاجة لهذه المهام قبل أن تُجهَزَ قوة التَّأمين للزجّ بها مرةً أخرى. ولذا، فغالباً ما سيضطرُ القائدُ لأن ينتظر لحين إعادة تشكيل قوة التَّأمين ويزجُّ بقوات الاحتياط الأساسية، قبل أن يُعيدَ تعيين قوة التَّأمين كقوة احتياط.

ينبغي على القائد أن يقوم بتحديد منطقة تجمع قوات التَّأمين بالاعتماد على مهمتهم اللاحقة، بحيث يضمن أن القوات التي ستكون في منطقة التجمع ستلبي بسرعة الحاجة لإسناد العَمَلِيَّات الجارية، مع مراعاة منع قوات التَّأمين المنسحبة من عرقلة العَمَلِيَّات التشكيلية والعمليات الحاسمة الجارية.

ثانياً: تعطيل العَدو[1]

بعد أن يحقق التَّمَاس مع العَدو، سيسعى قائد الدِّفَاع عبر عَمَلِيَّات التَّشكِيل لعرقلة خطط العَدو، وقدرته في السَّيطَرَة على قواته وفريق الأسلحة المشتركة التابع لَهُ. ومن الناحية المثالية، فإنّ على عَمَلِيَّات التَّشكِيل أن تتسبب ببعثرة قوات العَدو، وأن تُفقِدَهُ القدرةَ على التنسيق بين عناصرها.

من الأمثل أن توجه عَمَلِيَّات التَّشكِيل لتدمير أو تعطيل أهداف العَدو ذات المردود العالي، وعُقد القيادة والسيطرة، وأصول الإسناد النَّارِيّ والهندسي والدفاع الجوي.

تعمل عَمَلِيَّات التَّشكِيل هَذِهِ على تدمير تماسك العَدو وإبطاء وتيرة تحركاته إلى منطقة المعركة الرَّئيسيَّة، وهو ما سيعطل دخول قوات العَدو اللاحقة إلى الاشتباك في الوقت المناسب. وعلى سبيل المثال: عَمَلِيَّات المعلومات[2] الهجومية الموجهة ضد عُقد القيادة وسيطرة العَدو وأصول دفاعه الجوي ستزيد من ضعف العَدو أمام بقية عَمَلِيَّات التَّشكِيل، بالإضافة لإبطائها ردة فعل العَدو لتلك العَمَلِيَّات. بينما تُرَكِّزُ الاشتباكات اللاحقة على تفكيك إسناد العَدو النَّارِيّ وأصوله الهندسيَّة، ومن ثُمَّ تعطيل حركة الوحدات المقتربة.

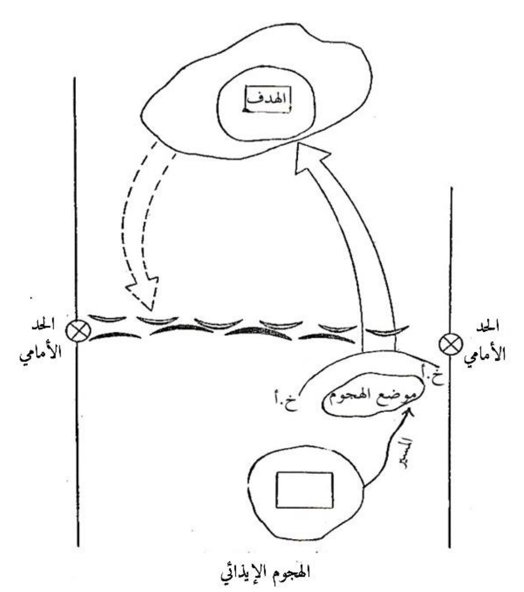
تشمل الأهداف الأخرى لعمليات التَّشكِيل: تدمير أصول العَدو الخاصة بالاستخبارات والاستطلاع، وحرمانه من الحصول على معلومات دقيقة فيما يتعلق بطبيعة قوات الدِّفَاع ونواياها، ودفعه للشك الذي سيحثُّه على الانتشار في تشكِيلٍ قتاليٍ على أرضٍ من اختيار قائد الدِّفَاع.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-67 until 9-69.

[2] عَمَلِيَّات المعلومات هي التوظيف المتكامل -أثناء العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة- لـ (الحرب الإلكترونية ،عَمَلِيَّات شبكات الحواسيب، العَمَلِيَّات النفسيَّة، الخداع العَسكَرِيّ، تأمين العَمَلِيَّات) بالتنسيق مع قدرات محددة داعمة ومتعلقة بها لتعطيل أو إفساد أو انتزاع أو التأثير على اتخاذ القرارات البشريَّة أو المعدات الآليَّة لدى الخصوم الحاليين والمحتملين، مع حماية عملية اتخاذ القرارات لدى القوات الصَّدِيقَة في نفس الوقت.

إن توقيت عَمَلِيَّات التَّشكِيل مهم للغاية، إذ لا ينبغي أن يسمح القائدُ للعدو أن يتعافى من هَذِهِ التأثيرات قبل العَمَلِيَّات الحاسمة. وللقائد أيضاً أن ينفذ عَمَلِيَّات هُجُومِيَّة ليزيد من تعطيل العَدو، مثل الهجمات الإفسَادِيَّة، أو الغارات، أو الكمائن، أو الهجمات الخداعية، أو الاستعراض.



الهجوم الإيذائي

ثالثاً: تثبيت العَدو[1]

يقوم القائدُ بكل ما بوسعه للتقليل من الخيارات المتاحة للعدو حين يُجري دفاعَ المنطقة. فبالإضافة لتعطيل العَدو، يُجري القائدُ عَمَلِيَّات التَّشكِيل ليُضيّقَ على العَدو ويدفعه إلى مسار عمل معين، أو السَّيطَرَة على تحركاته، أو تثبيته في موقعٍ معينٍ.

تحدُ هَذِهِ الأعمال من خيارات العَدو، وحين تنفيذها يجب على القائد أن يستمر في البحث عن قوات العَدو اللاحقة والاحتيَاطِيَّة وتأخيرها أو استنزافها لمنعها من دخول منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة.

لدى القائد عدة خيارات في تثبيت القوة المهاجمة للعدو. فللقائد أن يضع خطةً لعمليات التَّشكِيل تمثل في تأمين الأجنحة وتأمين نقطة اختراق العَدو للسماح للقوات الصَّدِيقَة بتنفيذ مناورةٍ حاسمةٍ في أماكن أخرى. ويستخدم القائدُ العوائقَ المُغطّاة نارياً لتثبيت العَدو أو صدّه أو تحويل مساره أو إزعاجه بغرض الحد من خياراته.

في دفاع المنطقة، تحصُلُ العَمَلِيَّات الحاسمة في منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة، وهنالك تظهر تأثيرات عَمَلِيَّات التَّشكِيل مقرونةً بعمليات الإدامة لتمتزج مع العَمَلِيَّات الحاسمة لقوات

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-70 until 9-82.

المعركة الرَّئيسيَّة مما سيُلحِقُ الهزيمةَ بالعدو. إن هدف القائد هو منعُ العَدو أن يتقدم مرةً أخرى باستخدام مزيجٍ من نيران المواقع المُعدة مسبقاً والعوائق والاحتياط المتحرك.

إن حشد النيران أمرٌ حساسٌ للغاية بالنسبة للقائد الذي يُجري دفاعاً عن منطقةٍ كبيرةٍ ضد عدو متفوقٍ في القوة القِتَالِيَّة. إن المهاجم لَهُ القدرة على اختيار نقطة الهجوم ووقته، وهذا ما يجعله قادراً على حشد القوات في نقطةٍ معينة، ومن ثُمَّ التأثير على نسبة القوى في نقطة الهجوم تأثيراً هائلاً. فتفوق العَدو القتالي العام بنسبة ثلاثة إلى واحد يمكن أن يتحول بسهولةٍ إلى تفوقٍ محليٍ مقداره ستة إلى واحد أو حَتَّى أكثر. لذا على القائد المدافع أن يحدد بسرعةٍ نية قائد العَدو وتأثيرات التَّضَارِيس، وهو ما سيسمح لوحداته وأنظمة تسليحه بتوظيف المرونة وخفة الحركة لتوليد نيران لِلقُوَةِ القِتَالِيَّة ضدّ العَدو في هَذِهِ النقاط ورفع موازين القوى لصالح المدافعين.

تتولى قوات المعركة الرَّئِيسيَّة مسؤولية المعركة في خط تسليم المعركة. وقد تضطر إلى زيادة شدة إطلاق النَّار حين تقترب قوات التَّأمِين من الحد الأمامي لساحة المعركة للسماح لهذه القوات بفض الاشتباك. وتعمل قوات منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة على توفير أصول النيران المباشرة وغير المباشرة لتقديم إسناد يغطي على انسحاب قوات التَّأمِين وإغلاق خطوط المرور عبر شبكة العوائق. ولقائد الدِّفَاع أن يُوظِّفَ الدخانَ لمساعدة قوات التَّأمِين على فض الاشتباك مع العَدو.

وتعمل قوات التَّأمِين على الانسحاب من خلال المواقع الأمامية لمنطقة المعركة الرَّئِيسيَّة بتخطيط دقيقٍ ومنسق. كما على القائد أن يحرس الثَّغَرَات في العوائق التي أبقاها لانسحاب قوات التَّأمِين وأن يُرتِبَ لإغلاقها بعد مرور هَذِهِ القوات.

بعد وصول العَدو إلى منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة، سيُحاوِلُ تحديد نقاط الضعف في الدِّفَاع، وسيُحاوِلُ أن يعبرها بقوة، بعد أن يجسها بمجموعة هجمات سبر. ومع تطور الهجوم، تعمل الوحدات المدافعة على الاشتباك مع قوات العَدو الرائدة. وإن ضيق مساحة المناورة سيُبطِئُ من حركة العَدو نتيجة تكدّس قواته وتضيق مسارها، وهذا سيقدم لنيران الدِّفَاع والإسناد

الجوي أهدافاً سهلةً، وهنا سيتم تحقيق أقصى تأثيرٍ للنيران المتزامنة والمتعاقبة في هَذِهِ المرحلة من المعركة.

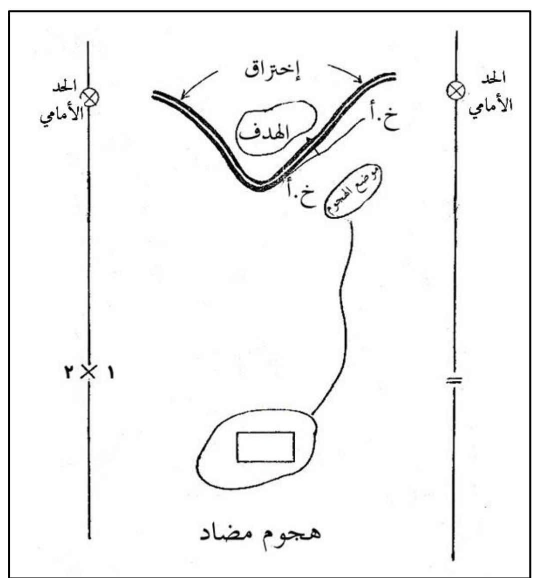
تُناوِرُ العناصرُ التابعةُ للقائد مستخدمةً ما حشدته من النيران المباشرة وغير المباشرة للتحرك في سبيل اكتساب تفوقٍ موضعيٍ ضدّ قوة العَدو المقتحمة، بينما يُوجِهُ القائدُ في نفس الوقت جهودَ الهندسةِ لبناء العوائق والإدامة بما رتبه من أولويات في مهمته. ويعمل القائد على إعادة ترتيب تموضع قواته حَتَّى تواجه العَدو حيثما كَانَ، بدلاً من أن يُوجِهَها العَدو كما يرغب هو. فيُوجِهُ القائدُ العَمَليَّات ويدعمُ العناصرَ التابعة لَهُ بتقديم الإسناد القتالي وخدمات الدَّعم القتالي الضروريينْ. ويتحكم القائد بعملية زجّ الاحتياط، ويشتبِكُ مع قوات العَدو اللاحقة على نسق الفرقة فما فوق. وإن أمكنَ تأخيرُ قوات العَدو اللاحقة، فسيقدِرُ الدِّفَاعُ على هزيمة قوات هجوم العَدو مجزأة (كلاً على حدة)، بنسقٍ واحدٍ كل مرةٍ. ويمكن لوحدات الدِّفَاع أن تُعطِلَ الجدول الزمني للعدو إذا ما أجبرته على زجِّ قواته اللاحقة أبكر ممّا هو مخططٌ لَهُ، ممَّا سيؤدي إلى تشكل ثغراتٍ يمكن استغلالها بين النسق المُزجّ به وبين النسق اللاحق.

قد تكون الثَّغَرَات بين مواقع الدِّفَاع ضروريةً، ولكن يَجِبُ ألا تُترك الثَّغَرَات حيثما يتوقع القائدُ الجهدَ الرئيسي للعدو المحتمل، بل لا بد أن تتمَّ مراقبتها أو تغطيتها بالنيران أو إغلاقها حين الإمكان بعوائق، أو تتمَّ إعادة تموضع القوات الصَّديقَة.

يُحدِدُ القائدُ بوضوحٍ المسؤوليات للتعامل مع أي عدوٍ مخترق، فيستفيد من نقاط الخوانق والعوائق ليمنع العَدو من الاختراق. وإذا نجح العَدو في اختراق منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة، سيعمل القائد على صدّ الاختراق فوراً وتدمير قوة العَدو هَذِهِ بأسرع ما يمكن؛ ومن ثُمَّ سيحتاج هذا الأمر إلى احتياطٍ متحركٍ. ويمكن أن يوسع القائد من أعماله ضِمْنَ عمق منطقة عملياته حَتَّى يُكافِحَ اختراقات العَدو التي لا يمكن إيقافها في الخطوط الأمامية.

لا ينبغي للقائد أن يسمح للعدو المهاجم بأن يُعيدَ تجميع قواته ما لم يناسب ذَلِكَ مخططَهُ للمناورة، إذ عليه أن يُجري هجوماً مضاداً محلياً بجميع الموارد المَحَليَّة المتاحة لمنع العَدو من

تعزيز مكتسباته. وتقوم أدنى الأنساق بتنفيذ هجومٍ مضادٍ محليٍ، مع تنبيه القائد لخطورة الزجّ بقواتٍ مجزأة. ولا ينبغي للوحدة أن تتخلى عن موقعها ما لم يتوافق هذا الأمر مع نية القائد الأعلى أو ما لم يسمح لهم بذلك. وإن لم تستطع القوة المدافعة ردَّ العَدو فعليها احتواء اختراقه لحين أن تستطيع الهجوم بالتوافق مع قوات كبيرةٍ للهجوم المضاد. ويعمل القائد على تنسيق الهجمات المضادة مع نيران أنظمة الإسناد.



على القائد أن يضع في حسبانه أنه مهما أحسن التخطيط للهجوم المضاد ضِمْنَ خطته الدِّفَاعِيَّة، فقد لا تتوافق تماماً مع الوضع الجاري حين يشنّ هجومه المضاد. ومع تطور الوضع، فعلى القائد أن يُعيدَ تقييم خطته بناءً على فهمه الجديد المُصحَح للأوضاع والذي ينتج من تحديث الصورة العملياتية المشتركة بمجرد إتاحة المعلومات الاستخباراتيَّة والمعلومات القِتَالِيَّة بحيث يجيب على الأسئلة الأساسية التالية:

1. هَلْ الهجوم المضاد ممكن؟ أو هل على القائد استخدام احتياطاته لاحتواء تقدم العَدو؟.
2. متى وأين ينبغي على قوات الدِّفَاع شن الهجوم المضاد؟.
3. في حال اختراق العَدو، فما الذي على قوات الدِّفَاع شن الهجوم المضاد عليه؟ ومن الذي يَجِبُ أن تعزله أو تحتويه؟.
4. هَلْ هُنَاكَ ما يكفي من الوقت لإكمال الهجوم قبل وصول قوات لاحقة للعدو؟.
5. هَلْ يمكنه القيام بهجوم مضاد باستخدام أنظمة الإسناد النَّارِيّ الخاصة به؟.

حين تنفيذ الهجوم المضاد، يُوظّفُ القائدُ جميع الموارد المتاحة اللازمة لإنجاح العمل. وغالباً ما يصبح الاحتياط عند الزجّ به هو نسق[1] العَمَلِيَّة الحاسمة، فعلى القائد أن يتجنب الزجّ المبكر باحتياطه أو تجزئته، أي أن أحد القرارات الأكثر أهمية للقادة هو الزج بقوات الاحتياط، على القائد أن يُعزِزَ من قوته الاحتياطِيَّة قبل أن يزجّ بها حَتَّى يمنحها قدرةً أكبر لمواجهة عمل العَدو، وليس للقائد أن يزجّ بها فوراً عند أول اختراق للعدو أو عند وصوله لخط مرحلي أو وصوله إلى موقع آخر يمكن التعامل معه نارياً من قِبلِ قوات الهجوم المضاد المحلي ومن قِبلِ الإسناد النَّارِيّ بالتدمير أو التعطيل أو الاستنزاف، ممّا يُغني عن الزجّ بالاحتياط.

حين الإمكان، يشنّ قائد الدِّفَاع هجوماً مضاداً عندما يفرط العَدو كثيراً في التمدد، أو يكشف أجنحته أو مؤخرته لقوات الهجوم المضاد، أو يخبت زخمه. وبمجرد أن يحدد القائد مجنبات الجهد الرئيسي للعدو، فسيستطيع توجيه هجماتٍ مضادةٍ لعزل قوات العَدو وتدميرها ضِمْنَ منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة.

في بعض الأحيان قد يتوصل القائد إلى أنّه ليس بوسعه استخدام احتياطاته في الهجوم المضاد. ولذا، ففي سبيل كسب وقت يُعينه على استعمال نسقٍ أعلى من الاحتياطات؛ عليه أن يستخدم موارده لصدّ العَدو أو احتوائه أو تأخيره. وفي هَذِهِ الحالات على القائد وأركانه أن يخطط لكيفية دمج التعزيزات من السرايا والكتائب في مخططه الدفاعي، وتعديل حدودها، ووضع مواقع قِتَالِيَّة، وأن يُخطِطَ لطرق عبور تلك الوحدات، والتعديلات المطلوبة في القيادة والسيطرة الحالية. ويستطيع القائدُ أن يُسرِعَ عملية التموضع وتحريك التعزيزات أو الاحتياطات بتحديدِ طرقِها وتوفير عناصر تنظم مرورها وتوجههم في نقاط

---

[1] جزء من تشكيل العَمَلِيَّة أثناء القتال. وعدد الأنساق وحجمها رهن بفكرة العَمَلِيَّة وهدفها وعمقها، وسعة الاتجاه التعبوي، الذي تُدار فيه؛ إِضَافَةً إلى قوة العَدوّ وطبيعة دفاعاته؛ فقد يكون التَّشكِيل في نسقَين، أو ثلاثة أنساق، أو نسقَين واحتياطي.

الاشتباك وتنبيهم عن الأوضاع، كما يستطيع المستطلعون والشُّرطة العَسكَرِيَّة ووحدات الخيالة من الفرق أن يُوفِروا سيطرةً على حركة المرور.

رابعاً: المتابعة[1]

الغرض من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة هو الحفاظ على الأرض وتهيئة الظُّروف لِشَنّ هجوم مضاد يستعيد المبادرة. ويقوم دفاع المنطقة بذلك عن طريق تكبيد العَدو خسائر فادحة تمنعه من تحقيق أهدافه الحاسمة. ويسمح نجاح دفاع المنطقة للقائد بالتحول إلى الهجوم، كما قد يؤدي هذا النوع من الدِّفَاع للمنطقة إلى جمود في الجبهة يتخلله استمرار الاشتباك بين الطرفين. وأخيراً، قد ينهار المدافع أمام هجوم العَدو وهذا يستدعي منه القيام بعملية تراجع. مع ذَلكَ فإن أي عملية انسحاب يَجِبُ أن تضع في الحسبان الوضع الحالي في المناطق الدِّفَاعِيَّة المجاورة. وليس لغير القائد الذي نظم الدِّفَاع أن يُحدِدَ حداً أمامياً جديداً لمنطقة المعركة أو يُجيزَ للمدافعين القيام بعملية التراجع.

إن الوقت في غاية الأهمية في فترة التراجع. فما لم يمتلكْ القائدُ قوةً احتياطيَّةً كبيرةُ لم يزجّ بها بعد ومستعدةً لاستغلال الوضع بسرعةٍ أو قلب الأوضاع، فعليه أن يُعيد ترتيب دفاعه مع الاستمرار في الاشتباك مع العَدو.

والوقت في غاية الأهمية للعدو أيضاً، فهو سيستخدمه لإعادة التنظيم وإنشاء منطقة تأمين وتحصين مواقعه.

هُنَاكَ فرق بين الهجمات المضادة الموضعية المصممة لاستعادة الدِّفَاع، وبين العَمَلِيَّات الحاسمة التي تهدف إلى انتزاع المبادرة من العَدو وهزيمته. وبغرض إجراء هجمةٍ مضادة حاسمةٍ، يَجِبُ على قوات الدِّفَاع أن تدفعَ هجمة العَدو لتصل نقطة الذروة أو تجاوزها قبل أن تتسبب بتفككٍ غير مقبولٍ في قوة الدِّفَاع. وللقيام بذلك، على قوة الدِّفَاع أن تُعطِلَ من

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 9, THE AREA DEFENSE, from 9-83 until 9-89.

قدرة العَدو على الحشد، بأن تدفعه لبعثرة قوته القِتَالِيَّة إلى مجاميعَ صغيرةٍ أو استنزاف قواته بغرض قلب ميزان القوة القِتَالِيَّة لصالح الدِّفَاع.

وعلى قوات الدِّفَاع أن تستمر في تعطيل قدرة العَدو على استقدام القوات اللاحقة وتدمير نظام إدامته، كما يَجِبُ على قائد الدِّفَاع أن يكون مستعداً لاقتناص الفرص العابرة، واسترداد المبادرة، والتحول للهجوم. وبالحالة المثالية، تكون لدى القائدِ خطةُ هجومٍ مضادٍ جاهزة ومناسبة للوضع الحالي، وعليه أن يعيد تنظيم قواته بسرعةٍ وتجهيز وحداتٍ مختارةٍ، وينقَلهم إلى مواقع الهجوم، ومن ثُمَّ يهجم؛ وإلا فعليه أن يهجم بما لديه من قواتٍ والتي هي في الأصل على تماسٍ مع العَدو، ومسار العمل هذا غير مستحب.

من الصعب للغاية للعدو أن يخوض معركةً دِفَاعِيَّة رداً على الهجوم المضاد الصديق بعد أن يصل إلى نقطة الذروة للأسباب التالية:

1. استعداداته الدِّفَاعِيَّة لن تُقام إلا على عجل.
2. قواته غير منظمة تنظيماً كافياً للقيام بالدفاع.
3. لا يساعد الوقتُ العَدو في تجهيز دفاعاته.
4. قوة العَدو منتشرة وممتدة بعمق وفي حالة ضعف.
5. نادراً ما يستنفد العَدو طاقاته فوق أرضٍ صالحةٍ للدفاع.
6. الإجهاد البدني.

إن التحول للدفاع يتطلب من جنود العَدو تهيئاً نفسياً، فقد اعتادت نفوسهم على التَّقَدُم ومن ثُمَّ الانتصار، والآن عليهم الصمود في عمق أراضي العَدو والدفاع عمّا اكتسبوه وإلى حد الاستقتال أحياناً ، وغالباً ما يكون في ظل ظروفٍ غير مواتية. فإذا ما قرر قائد العَدو تنفيذ عَمَلِيَّات تراجع إلى أرضٍ صالحةٍ للدفاع، فمن الصعب على جنوده الرضى بهذا الأمر.

إذا ما أدت المعركة الدِّفَاعِيَّة إلى الجمود مع بقاء الطرفين على تماسٍ، فعلى قوات الدِّفَاع أن تسعى للاحتفاظ بالمبادرة وتهيئة الظُّروف للمواجهة القادمة. وعلى القائد أن يعدّ وحداته للانتقال السريع إلى المواقع الدِّفَاعِيَّة اللاحقة أثناء فترة الهدوء، فمن الخطر أن يدافع

الجندي من نفس المكان مرتين، إذ سيعرف العَدو مواضع المدافعين وسيسلط عليهم نيران الإسناد ما لم تنتقل القوات المدافعة من مكانها. بيد أنّه من الخطر بمكان أن تنتقل الوحدات خارج مواقعها المُعدّة وهي ما زالت تحت ضغط العَدو، فمن الطبيعي أن تبقى هَذِهِ القوات في مواقعها وتستمرَ في القتال إلا إذا توفر لديها القدرة على إسكات العَدو المقترب أو القيام بأعمال لإلهائه.

في حال لم يستطعْ القائدُ ضمانَ تماسك الدِّفَاع، فعليه القيام بعملية تراجع لتجنب التَّدمِير الكامل لقواته، وعلى القائد أن يحلّلَ كيفية تنفيذ هذا الانتقال ويُعدَّ خطط طوارئٍ لها. وإذا ما استدعى الوضع تراجعاً، فعلى القائد أن يُجري العَمَلِيَّة وفقاً لأساسيات التراجع والمبادئ الموضحة في فصل الدِّفَاع التراجعي. إن المدافع لدى تراجعه يقايض الأرض بالوقت دُونَ تكبد خسائر فادحة، وهو ما سيُعينُ القائدَ غالباً على إعادة تهيئة الظُّروف المطلوبة للدفاع الناجح.

الباب السادس: الدِّفَاع المتحرِّك

"إن الانتقال إلى الهجوم بِشَكلٍ قويّ وسريع هو النقطة الأكثر ذكاءً في الدِّفَاع". (كَارْلْ فُون كلَاوزْفِيتْز)

هو نوع من العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة التي تركز على تدمير أو هزيمة العَدو من خلال شن هجوم حاسم من قبل القوة الضاربة للجهة المدافعة، ويركز الدِّفَاع المتحرك على تدمير قوات العَدو من خلال استدراجها إلى موقع يعرضها لهجوم مضادٍ ويسمح بتطويقها.

يستخدم القائد غالبيةَ قوته القِتَالِيَّة في هَذِهِ الضربة المضادة لحسم المعركة بِشَكلٍ نهائي، مع استخدام الحد الأدنى من القوة القِتَالِيَّة المطلوبة لتثبيت العَدو والسيطرة على العمق والمسافة التي تقدمها. وخلال هذا النوع من الدِّفَاع، سوف تحتفظ قوة التثبيت بالتضاريس اللازمة لإجراء الهجوم المضاد بالقوة الضاربة للمدافعين، بخلاف الدِّفَاع الثَّابِت الذي يُركِّز فيه المدافع على الاحتفاظ بالتضاريس بهدف احتواء العَدو في سلسلة من المواقع المتشابكة حَيْثُ يمكن تدميره نارياً.

ويشمل الدِّفَاع الثَّابِت عادةً استخدام النيران انطلاقاً من مواقع مُعدّة، بينما تتضمن الأعمال المتحركة استخدام نيران الوحدات التي ستنطلق من مواقع مُعدّة مسبقاً لتنفيذ هجمات مضادة أو إعادة التموضع بين المواقع الدِّفَاعِيَّة.[1]

قد يختار القائد دفاعاً متحركاً عندما:

ـ يدافع ضد قوة معادية تتمتع بقوة قِتَالِيَّة أكبر منه ولكنها أقل قدرة على الحركة،

ـ تكون منطقة العَمَلِيَّات كبيرةً ولا تحوي مسالك اقترابٍ محددةً بِشَكلٍ جيد.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, 10-1.

ـ يستخدم العدو أسلحة الدمار الشامل، فإن الدِّفَاع المتحرك يسمح بمزيد من حرية الحركة والانتشار.

إذاً يتطلب الدِّفَاع المتحرك منطقة عَمَلِيَّات ذات عمقٍ كبير.

الجدير بالذكر أن للقائد أن يمزج بين الدِّفَاع الثَّابِت والمتحرك في سبيل إنجاز مهمته الدِّفَاعِيَّة، حَيْثُ يستخدم الدِّفَاع الثَّابِت بهدف استنزاف العَدو في خطوط دِفَاعِيَّة أمامية معدَّة مسبقاً، ثُمَّ يستخدم الدِّفَاع المتحرك من خلال الانسحاب إلى خطوط خلفية معدَّة مسبقاً لتوجيه ضربة مضادة للقوات المهاجمة.

من سلبيات الدِّفَاع المتحرك: [1]

1. في الدِّفَاع المتحرك يتمّ إمداد القوة الضاربة على حساب قوة التثبيت، وهو ما يعني أن قوة التثبيت ستكون ضعيفة في وجه هجوم العَدو، وقد يؤدي هذا إلى هزيمتها بالتجزئة.[2]
2. قد تُضعِف عَمَلِيَّات العَدو من قدرة القوة الضاربة على الرَّد في النقاط الحرجة، وذلك عندما يحتاج القائد إلى هَذِهِ القوة لمؤازرة بقية القوات.
3. قد يتجه العَدو إلى منطقةٍ غير التي يقصدها القائد المُدافع.
4. قد لا تحصُلُ القوة المُدافعة على التصور الدقيق لمواقع العَدو واستعداداته، والذي تحتاجه القوة الضاربة لِشَنِّ عَمَلِيَّات حاسمةٍ في الوقت المناسب للرد.
5. إن العَمَلِيَّات اللامركزية التي يتطلبها الدِّفَاع المتحرك تزيد من احتمال الإصابات الصَّديقَة.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, 10-1.

[2] تحدث الهزيمة بالتجزئة عند تركيز طاقةٍ قِتَالِيَّة ساحقةٍ في وجه أجزاءٍ منفصلةٍ من القوّة، بدلاً من هزيمة كامل القوّة مرةً واحدة.

ويشمل الحديث عن الدِّفَاع المتحرك الفصول التالية:

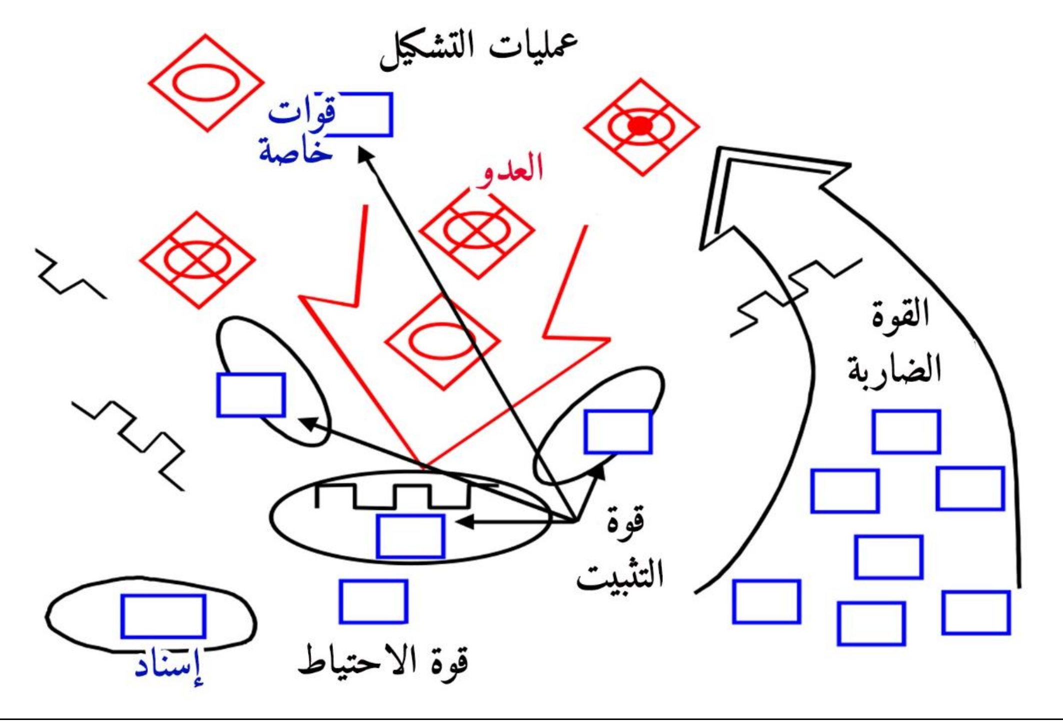
- الفصل الأول: تنظيم القوات
- الفصل الثاني: إجراءات التَّحَكُم
- الفصل الثالث: التجهيز للدفاع المتحرك
- الفصل الرابع: تنفيذ الدِّفَاع المتحرك

الفصل الأول: تنظيم القوات[1]

ينظم القائد الجسم الرئيسي في مجموعتين رئيسيتين: قوة التثبيت والقوة الضاربة. وتقوم قوات الاستطلاع والتأمين وقوات الاحتياطِيَّة والمؤازرة في الدِّفَاع المتحرك بتأدية نفس المهام التي تؤديها في دفاع المنطقة.

تتكون القوة الضاربة في الدِّفَاع المتحرك من نصف إلى ثلثي الطاقة القِتَالِيَّة للقوات المُدافعة في العادة.

وتقوم الفرق والوحدات الأصغر عموماً بإجراء دفاع المنطقة أو العرقلة كجزءٍ من قوة التثبيت أثناء قيام القائد بتشكيل اختراق العَدو، أو يقومون بالهجوم كجزءٍ من القوة الضاربة، أو يمكن أن تُشكِّل هَذِهِ الوحدات جزءاً من القوات الاحتياطِيَّة.



الشكل (18): الدِّفَاع المتحرك

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, from 10-4 until 10-8.

تقوم قوة التثبيت -التي ينظمها القائد بأقل ما يمكن من الطاقة القِتَالِيَّة اللازمة لإنجاز مهمتها- بتحويل وصد وعرقلة قوات العَدو المُهاجمة، كما أنها تحاول تشكيل اختراق العَدو أو احتواء تقدمه. إضَافَةً إلى هذا، قد تقوم قوة التثبيت بإجراءاتٍ دِفَاعِيَّة على عمقٍ كبيرٍ داخل منطقة المعركة الرَّئِيسيَّة، ومع ذَلِكَ فيجب أن تكون مستعدةً للثبات والصمود في بعض التَّضَارِيس لمدةٍ قصيرةٍ بهدف مساعدة القوة الضاربة على دخولها للمعركة. ومن الأمور الأخرى التي تقوم بها قوات التثبيت، تهيئة الظُّروف لهجومٍ حاسمٍ من قبل القوة الضاربة في موقعٍ تكتيكيٍ ملائم، حَيْثُ تُنفذُ قوة التثبيت نصيبها من المعركة بِشَكلٍ أساسيٍّ كمجموعة من نشاطات العرقلة ودفاع المنطقة، وعليه فإن نشاطات قوة التثبيت تندرج ضِمْنَ عَمَلِيَّات التَّشكِيل.

تشتبكُ القوةُ الضاربةُ بِشَكلٍ حاسمٍ مع العَدو عندما تتكشِفُ محاولاته للتغلب على قوة التثبيت. ويُستخدم مصطلح "القوة الضاربة" بدلاً من القوات الاحتياطِيَّة، لأنَّ مصطلح " القوات الاحتياطِيَّة" يشير إلى قوة غير مشتركةٍ في القتال، بينما القوة الضاربة هي قوة مشترِكةٌ في القتال ولديها الموارد اللازمة للقيام بهجومٍ مضادّ حاسمٍ لجزءٍ من الدِّفَاع المتحرك، ويُعتَبرُ الهجومُ المضادُ هنا هو عملية القائد الحاسمة.

تحتوي القوة الضاربة على أقصى طاقةٍ قِتَالِيَّة متاحةٍ للقائد لحظة قيامه بالهجوم المضاد، وهذه القوة هي في الحقيقة: تمتع بطاقةٍ قِتَالِيَّة وقابلية حركةٍ أكثر من القوة التي تسعى إلى هزيمتها أو تدميرها، كما يأخذُ القائدُ بعينِ الاعتبارِ تأثيرَ عنصرِ المفاجأةِ عند تحديد الطاقة القِتَالِيَّة النسبية لِلقُوَةِ الضاربة ووحدة العَدو التي تستهدفها.

القوة الضاربة هي أساس الدِّفَاع المتحرك الناجح، إذ تتعلق كل احتمالاته بهجومها، فإذا لم تكن هُنَاكَ فرصةٌ لاشتراك القوة الضاربة في القتال بِشَكلٍ حاسم، فعلى قائد الدِّفَاع أن يعيد تموضع قواته لتهيئة شروط النجاح.

يَجِبُ أن تمتع القوة الضاربة بقدرةٍ على الحركة تساوي أو تفوقُ قدرةَ وحدةِ العَدو المستهدفة، ويُمكِنها الحصول على قدرة الحركة هَذِهِ من خلال:

_التنظيم المناسب للمهام.

_عمليات إعاقة الحركة لإبطاء وتعطيل تَحَرُّكَات العَدو.

_عمليات القدرة على الحركة لتسهيل التحول السريع للتشكيلات الصَّديقَة. كما تحتاج القوة الضاربة الوصول إلى طرقٍ متعددةٍ لأنَّ العَدو المُهاجم عادةً ما يستخدم كل ما في جعبته لحرمان القوة المُدافعة من حرية التصرف.

الفصل الثاني: إجراءات التَّحكُم

إن القائد الذي ينفذ دفاعاً متحركاً يستخدم إجراءات التَّحَكُم التالية للسيطرة على العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة:

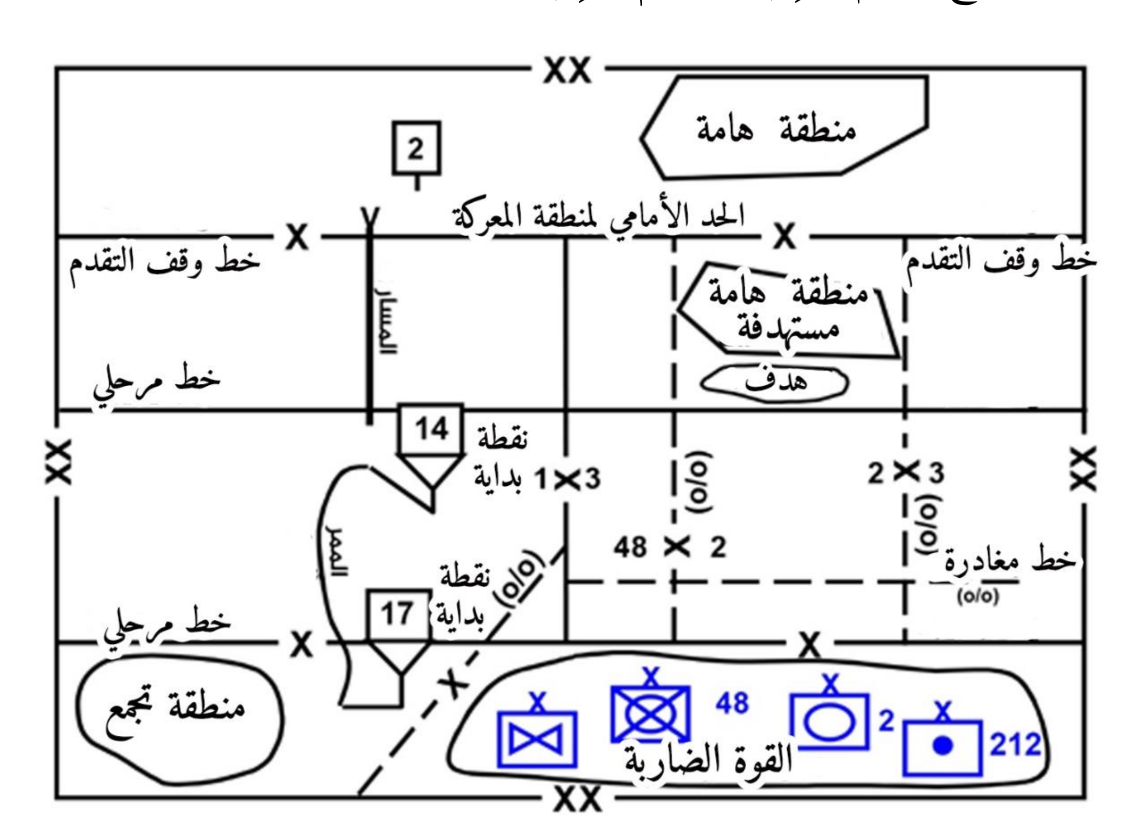
1ـ تعيين مناطق العَمَلِيَّات الخاصة بقوة التثبيت والقوة الضاربة مع تعيين الحدود المرتبطة بهذه المناطق.

2ـ تحديد المواقع القِتَالِيَّة والخطوط المَرحَلِيَّة.

3ـ تعيين خط المغادرة أو خط التَّمَاس كجزءٍ من إجراءات التَّحَكُم البيانية لِلقُوَةِ الضاربة.

4ـ تعين محور تقدمٍ لِلقُوَةِ الضاربة.

5ـ تحديد مواقع الهجوم النَّارِيّ أو الدَّعم النَّارِيّ.



الشكل (19): إجراءات السَّيطَرَة في الدِّفَاع المتحرك

6_ استخدام مناطق الاشتباك والنقاط المرجعية للأهداف والمناطق الهامة المستهدفة ونيران الحماية النهائية[1] حسب الضَّرورَة.

7_ تحديد مناطق هامةٍ بعينها من أجل أن تركز أصول الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع جهودها على تلك المناطق؛ وهو ما سيسمح لَهُ بتحديد مسار عمل العَدو.

8_تعيين الحواجز ونقاط التَّماس ونقاط العبور وطرق العبور وممرات العبور لاستخدامها من قبل أصول الاستطلاع والمراقبة ووحدات التَّأمين والقوة الضاربة.[2]

قد يتوجب رسم إجراءات التَّحكُّم هَذِهِ "أثناء المعركة - على عجلٍ" في الوقت الذي يتحرك فيه القائد وكادره ومرؤوسوه للاستفادة من أي فرصةٍ للزج بالقوة الضاربة في هجومٍ مضادٍ حاسم، ويَجِبُ على القائد أن يزود قائد القوة الضاربة بالمعلومات اللازمة وبنود القرارات المتوقعة عند الحالات التي يمكن أن تؤدي إلى زج قواته في المعركة، أو إيقاف التَّقَدُم، أو وضع حدود منطقة العَمَلِيَّات الخاصة به.

[1] حاجز من النيران تمَّ تخطيطه مسبقاً متوفر مباشرةً عند الطلب تمَّ تصميمه لإعاقة تَحَرُّكَات العَدوّ عبر الخطوط أو المناطق الدِّفَاعِيَّة

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, from 10-4 until 10-11.

الفصل الثالث: التجهيز للدفاع المتحرك[1]

إن التجهيزات لإجراء دفاع متحرك يتضمن تجهيز المواقع الدِّفَاعِيَّة لقوة التثبيت ومناطق الاشتباك بِشَكلٍ مسبق، فيستخدم القائد أصوله الاستطلاعية بقوة لتعقب وحدات العَدو عند اقترابها، ويشارك المهندسون في إجراء استطلاعٍ للطرقات والمناطق لاكتشاف الطرق الموجودة وتصنيفها، ثُمَّ يقومون بتحسين الطرق الحالية وفتح طرقٍ جديدةٍ لاستخدامها أثناء المعركة.

تجمع القوة الضاربة في منطقةٍ واحدةٍ أو أكثر حسب عرض منطقة العَمَلِيَّات والتَّضَارِيس وقدرات العَدو وطريقة الاستخدام المخطط لها، ويمكن لِلقُوَةِ الضاربة -قبل أن يبدأ هجوم العَدو- نشْرَ كل أو بعض عناصرها في مقدمة منطقة الاشتباك الرَّئِيسيَّة من أجل:

1. خداع العَدو فيما يتعلق بهدف القوة الضاربة.
2. احتلال مواقع وهميةٍ ضِمْنَ المعركة.
3. تكوين انطباعٍ خاطئٍ عن حدود الوحدة، وهو أمرٌ مهمٌّ عند العمل بمزيجٍ من القوى الثقيلة والخفيفة أو القوات متعددة الجنسيات.
4. إجراء استطلاعٍ للطرق بين مناطق تجمع القوة الضاربة ومناطق الاشتباك المحتملة.

سيحاول العَدو اكتشاف قوة وتكوين وموقع الوحدات التي تشكل قوة التثبيت والقوة الضاربة، لذلك ينبغي على القائد أن يستخدم قوات التَّأمين وعمليات المعلومات لحرمان العَدو من اكتشاف هذا، ولتخفيض قدرات التجميع لدى أصول الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع لدى العَدو، كما يَجِبُ عليه أن يغير تموضعه بِشَكلٍ روتينيّ لتضليل العَدو وحماية قواته. بالإضافة إلى ذَلِكَ، لا بد أن تتضمن خططه واستعداداته عَمَلِيَّات المعلومات

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, from 10-20 until 10-22.

الدِّفَاعِيَّة، بحيث يحاول عادةً تصوير الأمر على أنه دفاع منطقةٍ بينما يخفي وجود ومكان القوة الضاربة.

الفصل الرابع: تنفيذ الدِّفَاع المتحرك[1]

يَجِبُ أن يتمتع القائد بالمرونة اللازمة للاستفادة من التَّضَارِيس وتشكيل اختراق العَدو، حَتَّى أنه قد يلفِتُ نظرَ العَدو بإظهار بعض قواته ليكشف عن هدفٍ ذي قيمةٍ إستراتيجيَّةٍ أو تشغيليَّةٍ بالنسبة للعدو، وتقوم القوة الضاربة بتنفيذ العَمَلِيَّة الحاسمة -الهجوم المضاد- بمجرد أن تكون نتائج أعمال القوة الضاربة موافقة لنية القائد.

يَنقسم الدِّفَاع المتحرك إلى خمس مراحل، ويختلف طول وطبيعة كل مرحلة -إذا حدثت أساساً- من حالةٍ إلى أخرى وفقاً لتحليل الاعتبارات الستة (عوامل المهمة والعدو والمنطقة والطقس والقوات والدَّعم المتوفر والوقت المتوفر والاعتبارات المدنية). **وهذه المراحل هي:**

1. **كسب التَّمَاس مع العَدو والحفاظ عليه**
2. **تشتيت العَدو**
3. **تثبيت العَدو**
4. **المناورة**
5. **المطاردة**

أولاً: كسب التَّمَاس مع العَدو والحفاظ عليه: يركز القائد الذي يُجري دفاعاً متحركاً على اكتشاف الموقع الدقيق للعدو وتحديد قدراته لتسهيل فعالية القوة الضاربة، ونتأكد قوة التَّأمين (الحرس أو الغطاء) أو قوة التثبيت من مسار أعمال العَدو ومسالك الاقتراب الرَّئيسيَّة، بينما تُكلَفُ أصول الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع الأخرى بتحديد موقع

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 10, from 10-24 until 10-37.

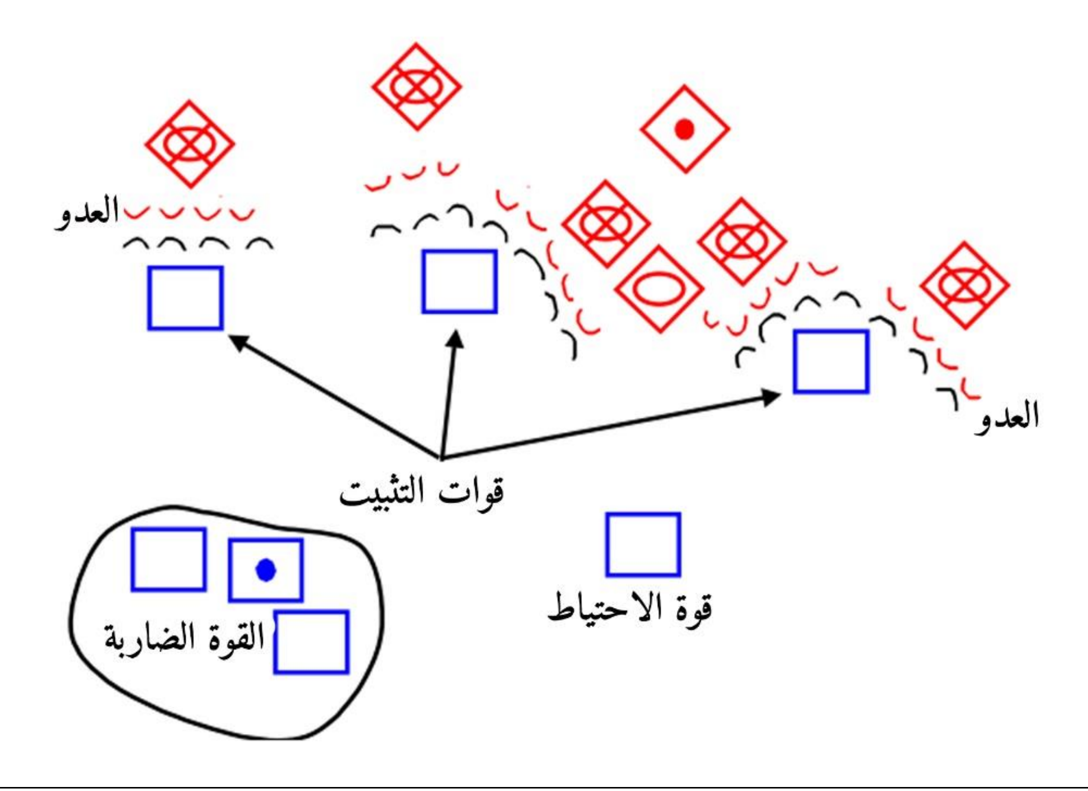
القوات الاحتياطِيَّة للعدو وقواته اللاحقة. تُساعِدُ هَذِهِ المعلومات القائدَ في استلام زمام المبادرة، وتزيد من خفة حركة القوة الضاربة عن طريق تحديد الفرص، كما أنها تساعد في سحب القوة الضاربة على طول المسار الأقل مقاومة أثناء المناورة لاستخدام طاقتها القِتَالِيَّة في الأماكن والأوقات الحسَّاسة.

ثانياً: تشتيت العَدو: يُنفذُ القائد -في الدِّفَاع المتحرك- عَمَلِيَّات تشكيلٍ مصممةٍ لاحتواء اختراق العَدو في منطقة المعركة الرَّئيسيَّة، وتشتيت إدخال العَدو لقوات جديدةٍ إلى المعركة، إذ تساعد عَمَلِيَّات التَّشكِيل هَذِهِ في تجهيز الشروط المسبقة للزج بالقوة الضاربة عن طريق عزل هدف القوة الضاربة، وتدمير عُقد القيادة والتحكم الرَّئيسيَّة للعدو ووحدات إعادة الإمداد اللوجيستي والقوات الاحتياطِيَّة. ويقوم القائدُ بتنفيذ عَمَلِيَّات التَّشكِيل هَذِهِ بالتتابع كُلَّما كَانَ ذَلِكَ ممكناً، لتشمل عَمَلِيَّات المعلومات الهجوميَّة، بحيث يتزامن وقع تأثيراتها مع الزَّج بالقوة الضاربة.

ثالثاً: تثبيت العَدو: إن تثبيت العَدو هو النصف الثاني من عَمَلِيَّات التَّشكِيل، وينتج عنه تهيئة الظُّروف اللازمة للعمليات الحاسمة من قبل القوة الضاربة، بعد أن يسمح قائد القوة المُدافعة لقوات العَدو عادةً باختراق منطقة العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة قبل هجوم القوة الضاربة. وتستخدم قوة التثبيت مزيجاً من دفاع المنطقة والعرقلة وغيرها من الأساليب الدِّفَاعِيَّة عند النقاط القوية لتشكيل اختراق العَدو. إن هدف قوة التثبيت ليس بالضرورة هزيمة العَدو، ولكن تشكيل الاختراق لتسهيل هجومٍ مضادٍّ حاسمٍ من قبل القوة الضاربة.

إن الاستخدام المكثف للعقبات من قبل قوة التثبيت يدعم جهود عَمَلِيَّات التَّشكِيل هَذِهِ. وقد يرغب القائد بالتخلي عن الأرض سريعاً حَتَّى يعتقد العَدو بأنه كَانَ ناجحاً، أو لجذبه إلى نقطةٍ حاسمة حَيْثُ يمكن أن تهاجمه القوة الضاربة، لكن عادةً ما يحتفظ القائد بالأرض -في الدِّفَاع المتحرك- فقط لتسهيل الزج بقوته الضاربة. وقد يحتاج القائد إلى الزج بقواته الاحتياطِيَّة عند إجراء دفاع متحرك لمؤازرة قوة التثبيت والمساعدة في تشكيل

ساحة المعركة، فيقوم بوضع قواته الاحتياطِيَّة بمكانٍ يتيح لها الاستجابة بفعاليَّةٍ أمام الاحتمالات الأكثر توقعاً وأخطر مساراتٍ لأعمال العَدو.



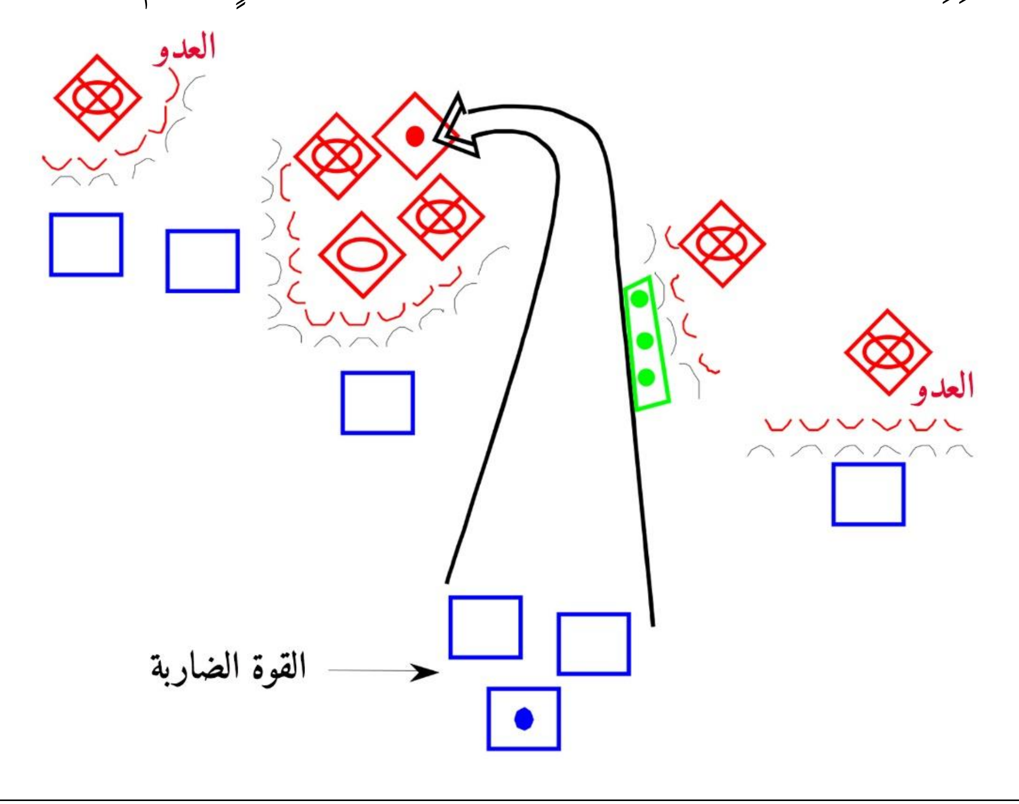
الشكل (20): الدِّفَاع المتحرك قبل تدخل القوة الضاربة

رابعاً المناورة: إن أنشطة القوة الضاربة تُعتَبَرُ هي العَمَلِيَّة الحاسمة عند دخولها المعركة. لذا يَجِبُ أن يتلقى قائد القوة الضاربة -باستمرارٍ- تحديثات المعلومات الاستخباراتية والقتالية التي تسمح لَهُ بتعديل هجومه المضاد -حسب الضَّرورَة- لهزيمة العَدو المستهدف، وبمجرد أن يبدأ العَدو هجومه، تنسحب عناصر القوة الضاربة المنتشرة في الأمام إلى مناطق التجميع أو المواقع الهجومية وتستعد لاشتراكها بالهجوم المضاد.

يُطلِقُ القائدُ المُدافعُ قوته الضاربة في هجومٍ مضادٍّ عندما تكون طاقته الهجومية هي الأكبر مقارنةً بطاقة عنصر العَدو المُهاجم المستهدف.

وإن الانخراط التدريجي في المعركة لِلقُوَةِ الضاربة يُهدِدُ نجاح العَمَلِيَّة برمتها، إذ يَجِبُ على القوة الضاربة تنفيذ الهجوم المضاد بسرعةٍ وعنف، مستخدمةً كل الطاقة القِتَالِيَّة اللازمة لضمان النجاح. ويمكن أن يتمّ الزج بالقوة الضاربة في وقتٍ مختلفٍ عن الوقت المتوقع

وفي منطقةٍ مختلفةٍ كلياً عن المنطقة التي تصورتها خطط الطوارئ السابقة؛ لذلك يَجِبُ أن تكون هَذِهِ القوة قادرةً على الاستجابة للتطورات غير المتوقعة بسرعةٍ وحسم.



الشكل (21): الدِّفَاع المتحرك بعد انخراط القوة الضاربة

تهاجم القوة الضاربة في تشكيلٍ يُوفِرُ أقصى طاقةٍ قِتَالِيَّة باتجاه الأمام لتدمير قوة العَدو المستهدفة وتحقيق نتائج حاسمة، وتستغل قدرتها على التنقل وطاقتها النَّاريَّة لاستلام زمام المبادرة من خلال إغراق قوة العَدو بضرباتٍ سريعةٍ وعنيفة؛ تشلُّ نظام القيادة والسيطرة لدى العَدو وتشتت تشكيلاته وتدمر أنظمته القِتَالِيَّة.

خامساً المطاردة: تهدف جميع العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة إلى خلق فرصةٍ للانتقال إلى الهجوم، وتنتج هَذِهِ الفرصة الانتقالية عموماً -في الدِّفَاع المتحرك- عند نجاح هجوم القوة الضاربة، فيستثمر القائد نجاحه ويحاول تهيئة الظُّروف للمطاردة إذا كَانَ تقييمه لنتيجة هجوم القوة الضاربة هو أن هُنَاكَ فرصاً لعملياتٍ هُجُومِيَّة مستقبلية. أمَّا إذا لم ينجح إجراء الدِّفَاع المتحرك واحتفظ العَدو بالمبادرة، فيجب على القائد إعادة إنشاء دفاعٍ قابل للتطبيق أو إجراء عَمَلِيَّات تراجع.

الباب السابع: الدِّفَاع التَّراجعي

"إن العَدو بمجرد توغله في الأرض واستهلاكه لقوته وموارده، سيكون عزمه على مواصلة الحرب مع مرور الوقت أقل بكثير مما كَانَ في بداية الحرب، خَاصَةً إذا اغتر باحتلاله لمساحات ومناطق معينة وانتصاره بمعارك غير حاسمة" (كارل فون كلاوزفيتز)

التراجع هو التحرك إلى جهة الخلف أو بعيداً عن العَدو. يمكن أن يحدث القتال التراجعي بإجبار من العَدو أو جزءاً من خطة المناورة، لكن في كلا الحالتين ينبغي أن يكون التراجع بعد موافقة القيادة العليا، ويتوجب أن يتمّ التخطيط المركزي والتنفيذ المركزي المتقن حَتَّى نتجنب الخسائر الجسيمة في صفوفنا.

و"التراجع المنظم والاختياري إلى داخل البلاد شكلُ خاصُ من أشكال المقاومة المباشرة، ويستهدف تدمير العَدو ليس بالسيف، بل بجهده هو".[1] وخلاصة هذا النوع من الدِّفَاع هو استغلال ما نص عليه كلاوزفيتز:

> "من طرق الدِّفَاع الانسحاب إلى داخل البلاد مع ترك مواقع حصينة في الخلف توجب على المهاجم مراقبتها (تثبيتها) أو محاصرتها ما سيضعف المهاجم. ويعود ذَلِكَ جزئياً إلى ما سيتكبده المهاجم من خسائر حتمية، وإلى انقسام قوته الذي سيصبح ضرورياً... ".[2]

الجدير بالذكر أنه على القيادة المدافعة ألا تفترض أبداً أن مصير البلاد ووجودها "معلق على نتيجة معركة واحدة مهما كَانَت قوة أو درجة حسمها، إذ حَتَّى بعد الاندحار، هُنَاكَ

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، بتصرف يسير، ص655

[2] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي ص530

على الدوام إمكانية انقلاب الحظ على العَدو بفعل تطوير واستغلال الموارد جديدة للقوى الدَّاخليَّة، أو من خلال المعاناة الطَّبيعيَّة والمتتالية التي ستقاسي منها الأعمال الهجومية على المدى البعيد، أو بفعل المساعدات الخَارجيَّة المحتملة".[1]

وينفذ القائد القتال التراجعي إذا أراد: [2]

1. إنهاء العَمَلِيَّات.
2. كسب الوقت دُونَ خوض اشتباك حاسم.
3. إزعاج العَدو وإنهاكه وإضراره في الأحوال التي لا يفضل فيها التَّقَدُم.
4. الحفاظ على القوة بتجنب القتال تحت ظروفٍ غير صالحة ستسبب الفشل.
5. إعادة تموضع القوات إلى مواقع أفضل وبمهام أخرى.
6. مسايرة تَحَرُّكَات قواتٍ صديقة أخرى.
7. تبسيط الإدامة اللوجستية لِلقُوَةِ بتقصير خطوط المواصلات.
8. وضع القوات في مكانٍ تعمل فيه على إعادة تشكيل نفسها.
9. خداع العَدو.

لكن بحسب كلاوزفيتز: "رغم الفوائد الكبيرة التي سيجنيها مدافع هذا النوع، إلا أنه في المقابل سيعاني من إخفاقين:

الأول: هو الخسائر التي ستتكبدها البلاد كنتيجة لغزو العَدو.

الثاني: هو التأثير على معنويات الشعب".[3]

---

[1] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص675

[2] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, 11-1.

[3] كارل فون كلاوزفيتز، عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، ص657

لذا يَجِبُ الأخذ في الحسبان أن القتال التراجعي سيكون لَهُ تأثيرات سلبية على الشعب والمقاتلين الذين ينفذونه بِشَكلٍ خاص، فهي تترك فيهم شعوراً بالهزيمة، وهنا ينبغي على القائد الذي يأمر بالقتال التراجعي أن يمنع معنويات قواته من الانهيار من خلال:

وضع خطة شاملة يكافح فيها الشائعات السلبية، ويشرح لجنوده مدة الانسحاب ودوافعه ومبرراته، وكيف ستكون نتائجه إيجابيةً لصناعة نصر في المستقبل.

كما يعتمد القتال التراجعي على التدريب المسبق الذي يساهم في رفع المعنويات، واستخدام عملية الخداع باستغلال الظلام إلى أقصى حد، كذلك ظروف الرؤية المحدودة واستخدام أساليب التسلل لتغطية إعادة توزيع وإخلاء الوحدات والمواد، ويَجِبُ استخدام فرص الصمت اللاسلكي وحقول الألغام والمواقع الوهمية. كما تحتاج عَمَلِيَّات التراجع لمستوى عالي من الضبط والسيطرة أثناء القتال والحركة للخلف، وكذلك تحتاج إلى تخطيط مبسط يسهل استيعابه من قبل الجميع لتنفيذه. وإن تواجد القادة لإدارة العَمَلِيَّات من قبلهم شيء ضروري لممارسة السَّيطَرَة.[1]

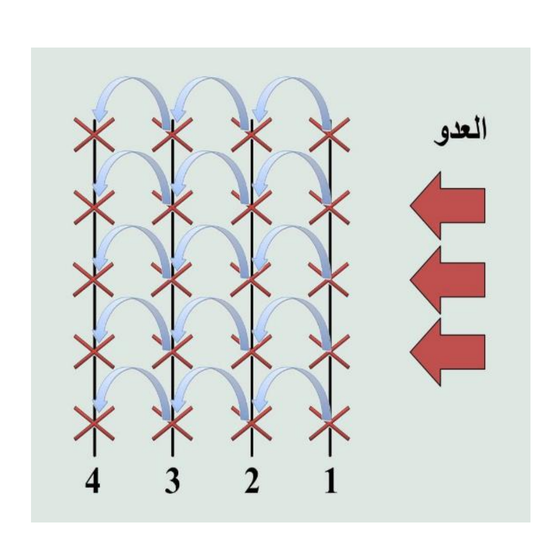
هُنَاكَ ثلاثة أشكال من القتال التراجعي ستأتي معنا في الفصول القادمة:

- **الفصل الأول: العرقلة**
- **الفصل الثاني: الانسحاب**
- **الفصل الثالث: الانزواء**

بينما سنتحدث في الفصل الرابع عن عَمَلِيَّات شائعة في القتال التراجعي.

[1] مقتبس من الدليل الأمريكي **Adrp 3-90** فقرة 11 و12 من الفصل 11.

الفصل الأول: العرقلة



يطلق على هذا النوع من التراجع أحياناً اسم التأخير أو التقهقر، وهو شكل من أشكال القتال التراجعي الذي تعمل فيه القوة تحت الضغط على مقايضة المساحة بالوقت، وذلك لإبطاء زخم العَدو وتكبيده أقصى الخسائر من دُونَ خوض اشتباك حاسمٍ (في الأساس). تعمل عَمَلِيَّات العرقلة على:

1. إنهاك العَدو بحيث تستطيع القوات الصَّديقَة استرداد المبادرة لتنفيذ الهجوم، أو بحيث لا يتمكن من شن حملات هُجُومِيَّة أخرى في المستقبل القريب.
2. كسب الوقت لحين إعداد دفاعٍ فعال في الجبهات الخلفية.
3. تحديد نوايا العَدو إذا ما تمَّ تنفيذ العرقلة كجزءٍ من عَمَلِيَّات التَّأمين الأمامية لخطوط الدِّفَاع.

ومن الطبيعي في عَمَلِيَّات العرقلة أن تكون السَّيطَرَة على الأرض أمراً ثانوياً بعد إيقاع الخسائر في العَدو وكسب الوقت. وقد يلجأ قائد الدِّفَاع إلى تطبيق عَمَلِيَّات العرقلة في حال لم تتوفر لَهُ قوات صديقة كافية للقيام بعملية هُجُومِيَّة أو دِفَاعِيَّة، لكن قابلية القوات المدافعة على التضحية بالمساحة مقابل كسب الوقت؛ تتطلب عمقاً دفاعياً ضِمْنَ منطقة العَمَلِيَّات المخصصة لقوات العرقلة. ويعتمد مدى العمق المطلوب التراجع عنه على عدة عوامل وهي: [1]

1. مقدار الوقت المطلوب كسبه.
2. نسبة الفارق على مستوى القوة القِتَالِيَّة بين المدافعين والمهاجمين.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, 11-7.

3. القابلية الحركية النسبية بين القوات.
4. طبيعة التَّضَارِيس.
5. القدرة على تشكيل أرض منطقة العَمَلِيَّات باستخدام العوائق والنيران.
6. درجة الخطورة المقبولة.

وبالمجمل، كُلَّما كَانَ العمق المتاح أكثر، كُلَّما كَانَت الخطورة على قوات التأخير أقل، وكُلَّمَا كَانَت فرص نجاحهم أكبر.

تنجح عملية العرقلة عن طريق إجبار العَدو على تركيز قواته وبشكلٍ متكررٍ للقتال عبر سلسلةٍ من المواقع الدِّفَاعِيَّة، لذا يَجِبُ على قوة العرقلة أن تُشكِلَ تهديداً مستمراً من المواجهات الجدِّية؛ وهو ما سيجبر العَدو على نشر الجنود والمناورة بِشَكلٍ متكرر. كما ينبغي على قوات العرقلة أن تغيرَ أماكنها إلى المواقع التالية قبل أن يتمكن العَدو من تركيز مصادر كافيةٍ للاشتباك معها بِشَكلٍ حاسمٍ والقضاء عليها في مواقعها الحالية، وتتوقف المدة الزمنية التي يمكن للقوات أن تبقى فيها في مواقعها -دُونَ مواجهة خطر أن تصبح في حالة اشتباكٍ حاسمٍ- على عوامل التحليل الستة، كنسبة القوة القِتَالِيَّة والتَّضَارِيس والطقس.[1]

يكمن سر نجاح العرقلة في الحفاظ على التفوق الحركي لصالح المدافعين على حساب المهاجمين، وهو ما يتطلب جهداً هندسياً هائلاً وإسناداً نارياً مكثفاً، فيعمل القائد على استغلال كل قابلية حركية لدى قواته، مع بناء طرق مُرتجلة تسهل من حركتها. وفي نفس الوقت، ينبغي عليه أن يسعى لتقويض قابلية حركية أعدائه عن طريق تفخيخ الجسور فوق الأنهار، وبناء العوائق، والحصول على أسلحةٍ بعيدة المدى.

والتطبيق العملي على الأرض للتأخير يحدث عندما يكون العَدو في موقف يسعى فيه عبر تشكيلات التنقل لديه لعبور المنطقة بأسرع ما يمكن، فتسارع قوات التأخير -والعدو في

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, 11-8.

وضع تشكيلات التنقل- إلى إجباره على تضييع وقته بالانتشار والتحول إلى تشكيلاتٍ قِتَالِيَّة، ثُمَّ تكرار هَذِهِ العَمَلِيَّة بشَكلٍ متواصلٍ.

يشمل الحديث عن العرقلة المباحث التالية:

1) تنظيم القوات

2) إجراءات السَّيطَرَة

3) التخطيط

4) الإعداد

5) التنفيذ

6) إنهاء عملية العرقلة

أولا: تنظيم القوات[1]

عادةً ما ينظم القائد قوات العرقلة على شكل جسمٍ رئيسيّ وقوات تأمينٍ وأخرى احتياطيَّةٍ، بحيث تشكل قوات التَّأمِين عادةً ساتراً[2] أمام مواقع العرقلة الأولية فتتمثل وظيفتها في تنبيه قوات العرقلة بتقدم العَدو، وقد تكون قوات التَّأمِين هنا مجموعة من الاستطلاع أو الكشافة أو الرُّصَاد

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-9 until 11-12.

[2] نوعٌ من عَمَلِيَّات التَّأمِين يُؤَمِنُ بِشَكلٍ أساسيّ تحذيراً مبكراً للقوات المحمية.

قد يقوم الجسم الأساسي -والذي يحتوي على غالب القوة القِتَالِيَّة لقوات العرقلة- باستخدام مواقع متناوبةٍ[1] أو متعاقبةٍ[2] لتأدية العرقلة، فينشُرُ القائدُ عادةً قوات الجسم الرئيسي كوحدةٍ متكاملةٍ على مواقع متقدمةٍ عند تنفيذ عرقلةٍ من مواقع متعاقبة.

أمَّا إذا نفذها من مواقع متناوبة، فإنه يَقْسم الجسم الرئيسي إلى قسمين متساويين بالقوة القِتَالِيَّة تقريباً، بحيث يحتل كلُّ قسمٍ منهما مجموعةً من المواقع.

يحافظ القائد عادةً على قواتٍ احتياطيةٍ لاحتواء اختراقات العَدو بين المواقع أو للمؤازرة النَّاريَّة في مناطق الاشتباك، أو لمساعدة وحداتٍ أخرى في فك الاشتباك مع العَدو.

ويتطلب كلُّ هَذِهِ المهمات أن تملك القوات الاحتياطِيَّة قابلية التنقل وقابلية الهجوم بقوةٍ لا يَملِكُ العَدو خياراً أمامها إلا مواجهة هذا الخطر العاجل.

إن الجبهات الممتدة والمدى البعيد أمرٌ شائعٌ في عَمَلِيَّات التراجع، وهو ما سيتسبب في جعل الإمداد بالدعم النَّارِيّ صعباً، كما سيحدُّ من قدرة القائد على حشد النيران. لذلك فإن قوات التراجع وخصوصاً قوات العرقلة غالباً ما تكون لديها حصةٌ من أصول الدَّعم النَّارِيّ أكثر من الحصة الطَّبيعيَّة.

[1] مواقع دِفَاعِيَّة يعينها القائد لإحدى الوحدات أو الأسلحة لاحتلالها عندما يصبح الدِّفَاع عن المواقع الرَّئِيسيَّة غير ممكنٍ أو غير مناسبٍ لمتابعة النَّشاطِ الموكل إليها.

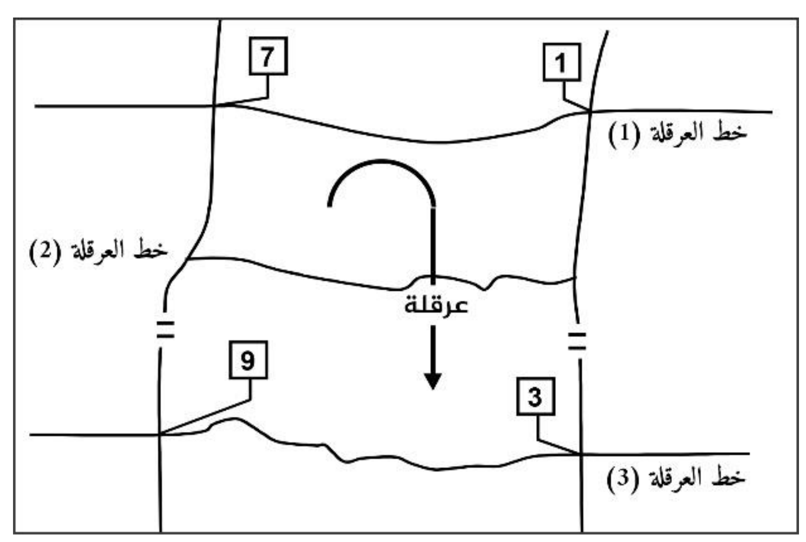
[2] مواقع تتوقع الوحدة أن تنتقل إليها خلال مجريات المعركة.

ثانياً: إجراءات التَّحكُم[1]

تشتمل عملية العرقلة على سلسلةٍ من نشاطاتِ وحداتٍ صغيرةٍ مستقلةٍ تحدث متزامنةً على طول الجبهة، والقادة الثانويين هم من يَجِبُ أن يتمتعوا بحرية القرار فيها.

للسيطرة على عملية العرقلة، يستخدم القائد الرسومات العامة التي تتضمن:

مناطق العَمَلِيَّات وخطوط المراحل والمواقع القِتَالِيَّة[2] ونقاط الإحداثيات[3] ونقاط التفتيش ومناطق الاشتباك وخطوط النَّار[4] والنقاط المرجعية للأهداف وخطوط فك الاشتباك.[5]



[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-15 until 11-17.

[2] هو موقعٌ دفاعيٌ موجهٌ على مسلك اقترابٍ محتملٍ للعدو.

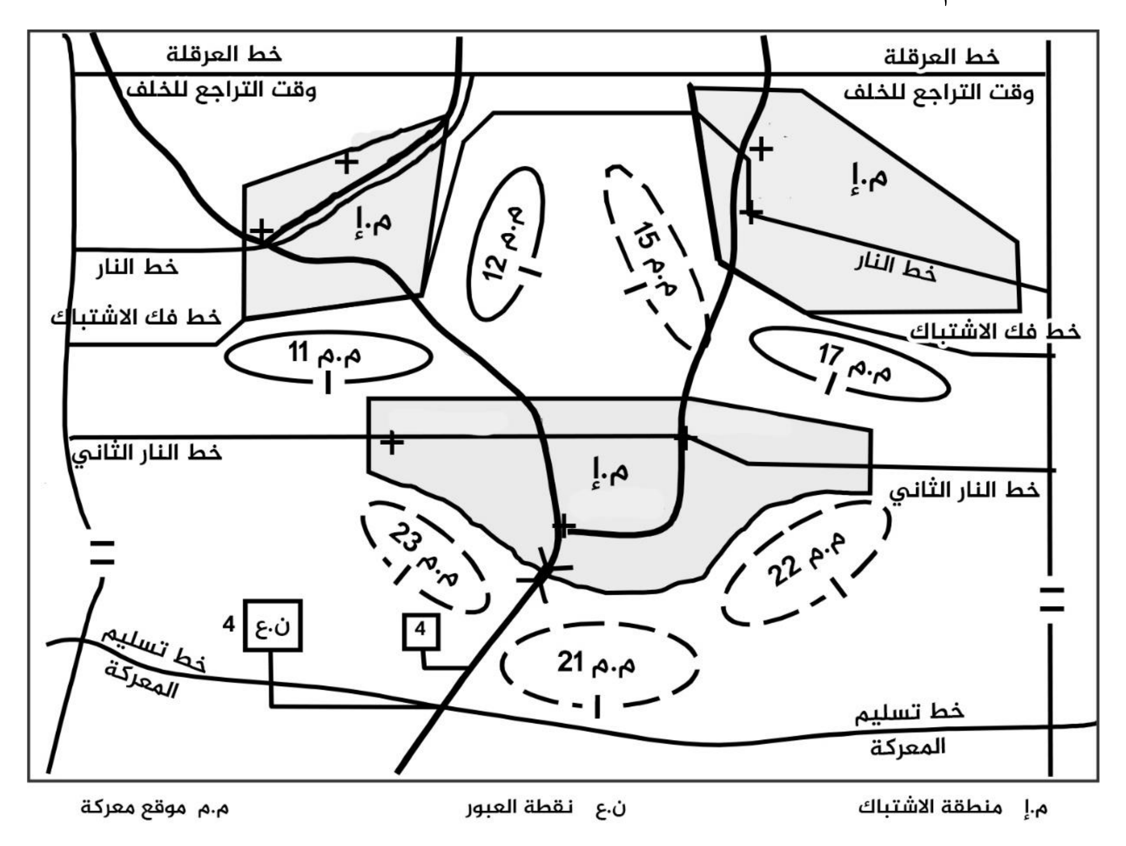
[3] هي نقاطٌ على الأرض يمكن تمييزها بسهولة كالأبنية أو تقاطع الطرق، يتمّ استخدامها بالاقتران مع مناطق الاشتباك والقطاعات النَّاريَّة لبدء وتوزيع النيران والتحكم بها.

[4] خطوط النَّار هي خطوط مرحلية تستخدم لبدء وحشد النيران على منطقة اشتباكٍ أو هدفٍ معينٍ ضِمْنَ مدىً محددٍ مسبقاً لجميع أنظمة الأسلحة.

[5] هو خط مرحلي يكون على تضاريس يمكن التعرُّف عليها بحيث تعطي إشارةً -عندما يعبرها العَدوّ- للعناصر المدافعة بأن الوقت قد حان لتغيير أماكنها إلى المواقع التالية.

عند التخطيط لعملية العرقلة، يُحدِدُ القائدُ منطقة عَمَلِيَّات لكل وحدةٍ مشتركةٍ نزولاً إلى مستوى السرايا أو المجموعات، ويُسلِمُ مسؤولية كل مسلك اقترابٍ محتملٍ للعدو لوحدةٍ فرعيةٍ واحدةٍ فقط، كما يقوم عند رسم حدود مناطق العَمَلِيَّات الفرعيَّة هَذِهِ بتضمين التَّضَارِيس الحاكمة نيرانياً ورصدياً في هَذِهِ المناطق.

يعين القائد مواقع خطوطٍ مرحليةٍ إِضَافَةً للخطوط المثبتة من قِبَل قائده الأعلى رتبةً حسب ضرورة التَّحَكُم بالتحرك خلال العرقلة.



الشكل (22): إجراءات السَّيطَرَة والتحكم في عملية العرقلة

وخط العرقلة: **هو خطٌّ مرحليٌّ حَيْثُ يتمّ فيه تصورُ التاريخ والوقتِ الذي لا يُسمح للعدو قبله بعبور خط المرحلة كجزءٍ من إجراءات التَّحَكُم المرسومة.**

تعيين خطوط العرقلة هو قرارٌ قياديٌّ يفرضُ درجةً عاليةً من المخاطر على وحدات العرقلة، حَيْثُ يَجِبُ على وحدة العرقلة أن تبذل كل ما في وسعها -بما في ذَلِكَ دخول اشتباكٍ حاسمٍ- لمنع العَدو من عبور هذا الخط قبل الوقت المحدد، وقد يكون خط العرقلة متغيراً

أيضاً حسب الحدث، على سبيل المثال: يمكن للقائدٍ أن يأمر وحدةَ عرقلةٍ بمنع اختراق خط العرقلة إلى أن يكمل مهندسوه بناء شريطٍ من العقبات في الخلف.

ثالثاً: التخطيط[1]

يحدد القائد المسالك البَرِيَّة والجويَّة لهجمات العَدو والهجمات المضادة الصَّديقَة، وعندما تتباعد مسالك الاقتراب أو تمر من منطقة عَمَلِيَّات إلى أخرى، يَجِبُ على الوحدات المتجاورة أن تنسق فيما بينها. وباستخدام التَّحضير الاستخباراتي لعملية ساحة المعركة، يحدد القائد مواقع العرقلة الأولية واللاحقة على التَّضَارِيس الرَّئِيسيَّة[2] التي تغطي مسالك الاقتراب المحتملة للعدو عبر عمق منطقة العَمَلِيَّات المخصصة لمهمة العرقلة.

يُعَدُّ الحفاظُ على ميزة قابلية التنقل لدى قوة العرقلة أكثر من المهاجم أمراً أساسياً لإجراء عرقلةٍ ناجحة، وتعتبر الهندسة القوية والدَّعم النَّارِيّ من الأمور الحاسمة في هَذِهِ الناحية. يقوم القائد بالتخطيط للحفاظ على هَذِهِ الميزة من خلال الاستفادة الكاملة من إمكانية التنقل المتاحة لديه، بالإضافة إلى أنه يتخذ خطواتٍ أخرى لتعزيز إمكانية التنقل لدى القوات الصَّديقَة وإضعاف قابلية العَدو على التنقل، كبناء مساراتٍ قِتَالِيَّة بين مواقع العرقلة والتجهيز لهدم الجسور الموجودة على الأنهار الرَّئِيسيَّة.

يَجِبُ أن تُحدَّدَ معايير الانتقال عند أي نقطةٍ -سواء متعلقةً بحدثٍ ما أو بوقتٍ ما- ينبغي أن تبدأ قوة العرقلة فيها بتغيير مواقعها، كما يَجِبُ على القائد أن يحسب معدل سيطرة العَدو على التَّضَارِيس ويقارنه بمعدل انتقال القوات الصَّديقَة بين المواقع. وبمقارنة عامليِّ الوقت والمسافة، يمكنه حساب النافذة الزمنية لتحركاته.

---

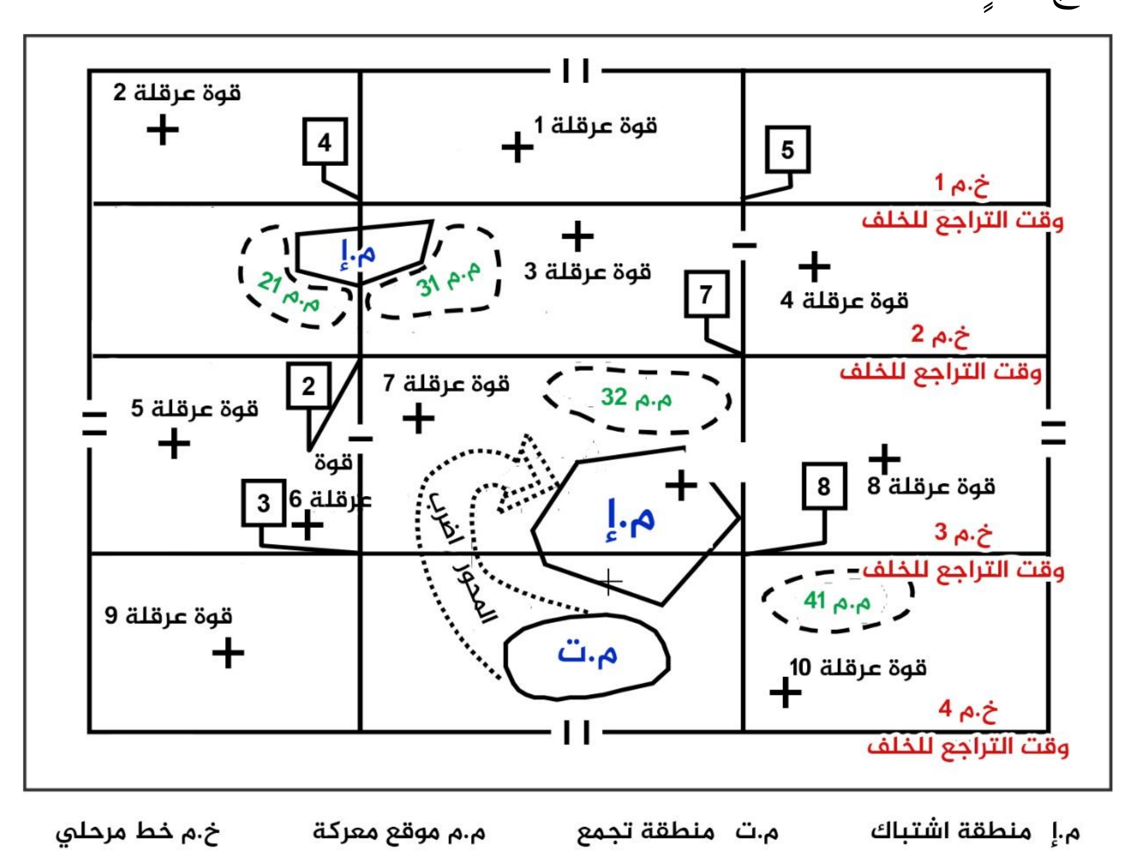
[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-19 until 11-44.

[2] هي أي موقعٍ أو منطقةٍ يكون الاستيلاء عليها أو الاحتفاظ بها يمنح مزاياً ملحوظةً بالنسبة لأيٍّ من المتحاربين خلال عملٍ ما.

محددات مهمة العرقلة:

يَجِبُ أن يتضمن أمر مهمة العرقلة مُحدِّداتٍ معينة:

المحدد الأول: يَجِبُ أن يتمّ اختيار أحد الخيارين: إمَّا العرقلة داخل منطقة العَمَلِيَّات أو القيام بعملية العرقلة أمام خطٍّ محددٍ أو نوع تضاريسٍ معينٍ لفترةٍ زمنيةٍ محددةٍ. وتعتمد تلك الفترة عادةً على اكتمال أنشطة وحدةٍ أخرى، كإنشاء مواقع دِفَاعِيَّة خلفية. إن إجراءات التَّحَكُّم هي نفسها في كلا الخيارين، إلا عند العرقلة أمام خطٍّ محددٍ لفترةٍ زمنيةٍ محددة، فيقوم القائد بكتابة الوقت المحدد تحت خط المرحلة. وإذا حدد القائد خط عرقلةٍ ما، فإن إنجاز المهمة يفوق الحفاظ على سلامة القوة، وقد يتطلب الأمر أن تحتفظ القوة بموقعٍ معينٍ إلى أن يُطلب منها الانتقال.



الشكل (23): العرقلة أمام خط محدد لمدة زمنية محددة

المحدِّد الثاني: هو أنَّ أمر العرقلة يَجِبُ أن يرسُمَ المخاطرَ المقبولةَ، وتتراوح المخاطر المقبولة بين الدخول في اشتباكٍ حاسمٍ في محاولةٍ للسيطرة على التَّضَارِيس لفترةٍ معينةٍ من الوقت، وبين الحفاظ على سلامة قوة العرقلة. يُساهم في تحديد مقدارَ المخاطر المقبولة كلٌّ من:

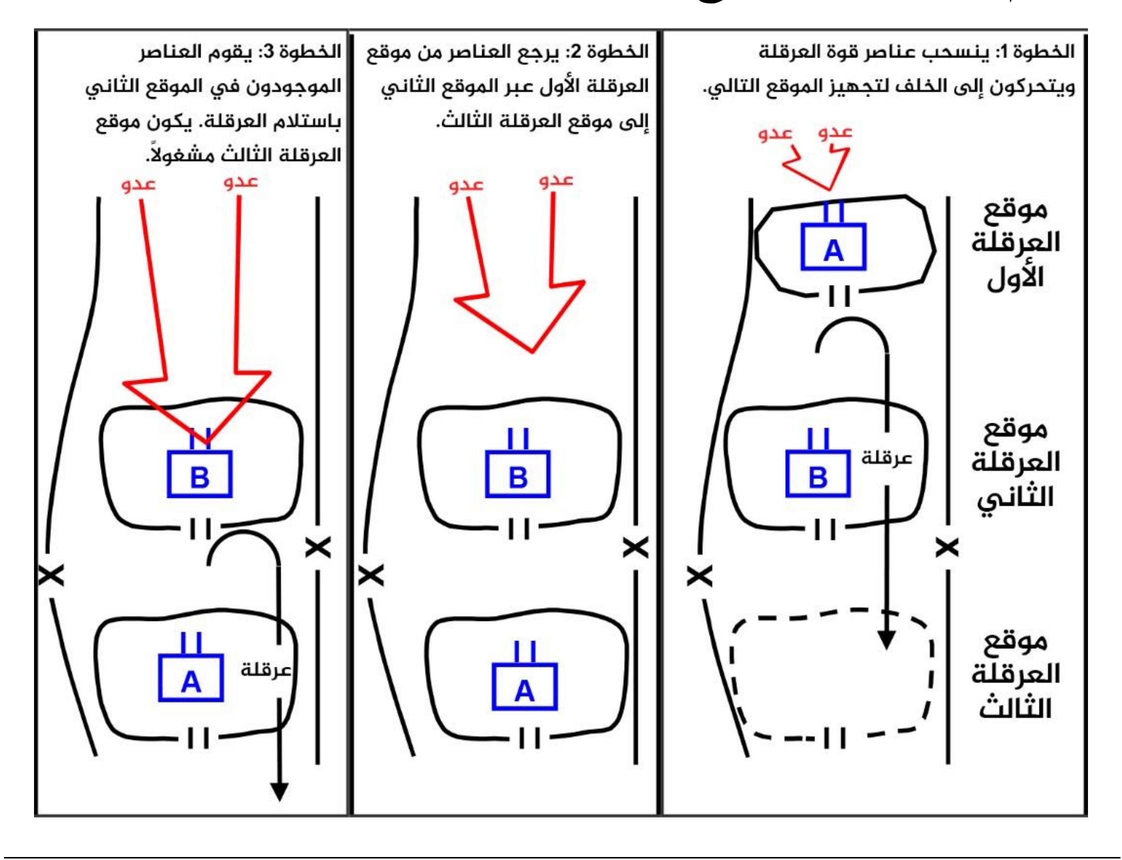
ـ العمق المتاح للعرقلة داخل منطقة العَمَلِيَّات

ـ الوقت الذي تحتاجه القيادة العليا، والمهمات التالية لقوة العرقلة.

المحدد الثالث: يَجِبُ أن يُتخَذَ القرارُ فيما إذا كَانَت قوة العرقلة قد تستخدم منطقة العَمَلِيَّات بالكامل أو يَجِبُ أن تعرقل انطلاقاً من مواقع معركةٍ محددةٍ.

المواقع المتناوبة (البديلة) والمتعاقبة (الملحقة):

يقوم القائد عادةً بتعيين الوحدات الثَّانَويَّة التابعة لَهُ في مناطق عَمَلِيَّات متجاورةٍ ممتدةٍ في العمق أكثر منها في العرض، كما أنه يستخدم العوائق والنيران والحركة عبر العمق لكل منطقة عَمَلِيَّات مخصصة على حدة، وقد يضطر للقتال انطلاقاً من مجموعةٍ واحدةٍ من المواقع إذا كَانَت العرقلةُ مخططاً لها أن تستمر لفترةٍ قصيرةٍ فقط، أو إذا كَانَ عمق منطقة العَمَلِيَّات محدوداً. أمَّا إذا كَانَ من المتوقع أن تستمر العرقلة لفترةٍ أطول، أو إذا توفر عمقٌ كافٍ، فقد يقوم القائد بالعرقلة من مواقع متناوبة أو متعاقبة.

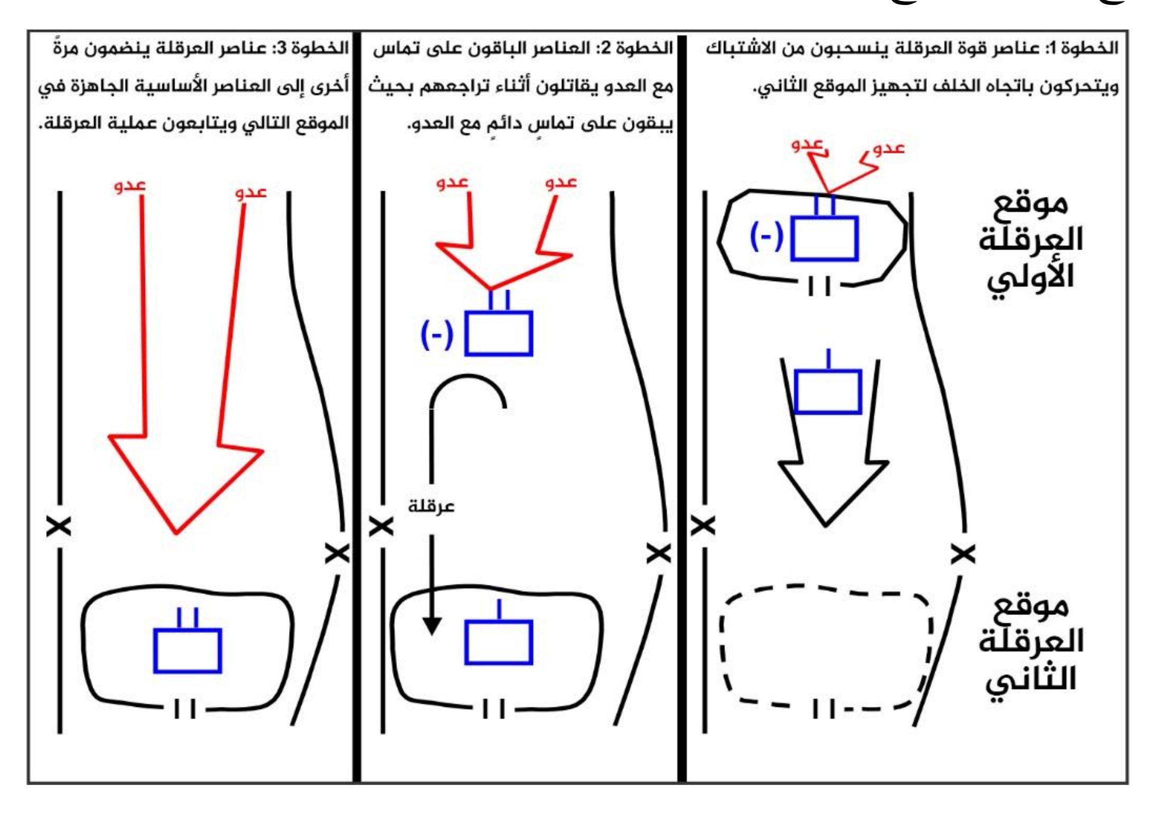


الشكل (24): العرقلة انطلاقاً من المواقع المتناوبة

يُفضِّل القائدُ عادةً استخدام مواقع متناوبةٍ عندما يكون لديه قواتٌ كافيةٌ وتكون منطقة العَمَلِيَّات الخاصة به ذات عمقٍ كافٍ. وفي العرقلة من المواقع المتناوبة، تقوم وحدتان أو أكثر في منطقة عَمَلِيَّات واحدةٍ بالتواجد ضِمْنَ مواقع العرقلة في العمق. فبينما تشتبك الوحدة الأولى مع العَدو، تنتقل الثانية لتتموضع في الموقع التالي في العمق وتستعد لتحمل

مسؤولية العَمَليَّة، ثُمَّ تنسحب القوة الأولى من الاشتباك وتعبر حول أو عبر منطقة القوة الثانية، لتنتقل إلى الموقع التالي وتستعد لإعادة الاشتباك مع العَدو بينما تتولى القوة الثانية زمام المعركة.

عادةً ما تُستخدَمُ المواقعُ المتناوبةُ عندما تعمل قوة العرقلة على جبهةٍ ضيقة. والعرقلة من المواقع المتناوبة مفيدةٌ بصفةٍ خَاصَةٍ في أخطر مسالك اقتراب العَدو لأنها توفر أمناً أكثر من العرقلة من المواقع المتعاقبة. ومع ذَلكَ، فإنها تتطلب المزيد من القوات وتنسيقاً مستمراً عند المناورة. بالإضافة إلى ذَلكَ، فإن قوات العرقلة في هَذِهِ العَمَلِيَّة تخاطر بفقدان التَّمَاس مع العَدو بين مواقع العرقلة.



الشكل (25): العرقلة من مواقع متعاقبة

يستخدم القائدُ العرقلةَ انطلاقاً من المواقع المتعاقبة عندما تكون منطقة العَمَلِيَّات المخصصة واسعةً جداً بحيث لا يمكن للقوات المتاحة أن تشغل أكثر من مرحلةٍ واحدةٍ من المواقع. وفي العرقلة من المواقع المتعاقبة، يتمّ زجُّ جميع وحدات العرقلة بكل سلسلةٍ من سلاسل المواقع القِتَالِيَّة أو عبر منطقة العَمَلِيَّات على نفس الخط المرحلي، بحيث تتمركزُ معظمُ قوةُ

العرقلةِ في المقدمةِ بِشَكلٍ جيد. والمهمة هي من تحدد مدة العرقلة، بحيث يتمّ الانتقال من أحد المواقع القِتَالِيَّة أو الخطوط المَرحَلِيَّة إلى التي تليها، كما يُنظِمُ القائد وبشكلٍ متعاقبٍ حركة عناصر العرقلة بحيث لا يتحرك كل العناصر في نفس الوقت.

مزايا وعيوب تقنيات العرقلة.

نوع العرقلة	تستخدم عندما تكون	المزايا	العيوب
العرقلة من المواقع المتعاقبة	_منطقة العَمَلِيَّات واسعة. _عدد القوات المتاحة لا يسمح بتقسيمها.	حشد النيران من كل العناصر القِتَالِيَّة المتاحة.	_عمقٌ محدودٌ لمواقع العرقلة. _انخفاض الوقت المتاح لإعداد كل موقع. _مرونةٌ أقل.
العرقلة من المواقع المتناوبة	_منطقة العَمَلِيَّات ضيقة. _القوات كافيةٌ للتقسيم بين المواقع المختلفة.	_تسمح بوضع المواقع في العمق. _تتيح المزيد من الوقت لصيانة المعدات وإعادة _تأهيل الجنود. _ترفع من درجة المرونة.	_تتطلب تنسيقاً مستمراً. _تتطلب الانتقال عبر الخطوط. _يشتبك مع العَدو جزءٌ واحدٌ فقط من القوات في وقتٍ واحد.

تأثير التَّضَارِيس

يستفيد القائد دائِماً من التَّضَارِيس عند التخطيط لكيفية تمركز قواته وتنفيذ العَمَلِيَّات، فهو يريد أن تصب التَّضَارِيس لصالح أفعاله وألا تكون عاملاً محايداً. تفرض التَّضَارِيس المكان الذي يمكن لقوة العرقلة أن تقوم بتوجيه قوةٍ معاديةٍ متحركةٍ إليه وتَنصِبُ كميناً لها فيه. وأثناء العرقلة؛ تُسهِّلُ التَّضَارِيس الوعرة عَمَلِيَّات انتقالٍ أقصر تبدأ من مسافةٍ أقرب للعدو. لذا يقوم القائد الذي ينفذ العَمَلِيَّات في مثل هَذِهِ التَّضَارِيس بالبحث عن المواقع التي تُقيِّد حركة العَدو وتمنعه من استغلال تفوقه القتالي بِشَكلٍ كامل. ومن ناحيةٍ أخرى، تتطلب التَّضَارِيس المسطحة أو المفتوحة عَمَلِيَّات انتقالٍ مبكرةٍ وعلى مسافاتٍ أكبر للمحافظة على التَّقَدُم أمام العَدو.

إن فك الاشتباك عن العَدو أثناء الانتقال من موقعٍ إلى آخر عمليَّةٌ صعبةٌ.

وتتضمن خطط الوحدات عند فك الاشتباك ما يلي:

1. إتقان مفهوم المناورة.
2. توجيه نيران لتشتيت العَدو وتغطية حركة الوحدات.
3. صناعة السواتر الدُّخانية لإخفاء تحرك الوحدات، أو لإجراء عمليةٍ خداعيةٍ أو لتغطية نقاط المرور.
4. تحديد نقاط التَّمَاس والمرور في حالة التحرك عبر خطوط القوات الصَّديقَة.
5. أوقات بدء فك الاشتباك.
6. تحديد الوحدات المسؤولة عن إغلاق المسارات من خلال العوائق وتنفيذ العوائق الاحتياطِيَّة.

المناورة

عملية العرقلة هي إحدى أشكال العَمَلِيَّات الدِّفَاعِيَّة الأصعب تنفيذاً. يعود السبب الأساسي في ذَلِكَ إلى أن قوة العرقلة يَجِبُ أن تشتبك مع العَدو بِشَكلٍ كافٍ لإبطاء حركته، ولكن دُونَ الاشتباك بِشَكلٍ حاسم، كما يَجِبُ أن تحافظ وحدة العرقلة أيضاً على التنسيق المستمر مع وحدات المجنبات أثناء تغيير مواقعها باتجاه الخلف.

هُنَاكَ العديد من أوجه التشابه في تكتيكات وتقنيات الدِّفَاع المتحرك والعرقلة. ومع ذَلِكَ، فإن الوحدات التي تقوم بالعرقلة عادةً لا تشتبك بِشَكلٍ حاسمٍ إلا لمنع العَدو من عبور خط عرقلةٍ ما قبل الأوان، أو المخاطرة بجزءٍ من القوة لمنع تعرض قوة العرقلة بأكملها للخطر.

تعتبر القوى الخفيفة مناسبةً بِشَكلٍ خاصٍ للعرقلة في تضاريس كالمباني المدمرة والمتلاصقة، لأنها تقوم بإعاقة حركة أنظمة القتال المعادية. يُوفِرُ هذا النوع من التَّضَارِيس غطاءً لتحركات القوات الخفيفة ويقدم ميزة استخدام الكمائن ضد العَدو، ويَجِبُ على القائد أن يخطط تحديد كيفية انتقال هَذِهِ القوات في ظل القيود المفروضة على أصول النقل الآلية الأساسية وفي ظل الحماية المحدودة المتاحة لوحدات المشاة الخفيفة.

القيادة والتحكم

إن التخطيط المركزي والتنفيذ اللامركزي يعتبران الصفة المميزة للقيادة والتحكم في عملية العرقلة، وتعد الاتصالات ضروريةً جداً لنجاح هذا النوع من العَمَلِيَّات، لذا يَجِبُ على القائد أن يضمن أن هيكلية اتصالاته مبنيةٌ بحيث تكون زائدةً عن الحاجة.

عادةً ما يكون مركز القيادة الخلفي هو أول مركز قيادةٍ يتمّ ترتيب نقله أثناء العرقلة، إذ يتمّ نقله بالترتيب مع الأصول الأخرى للدعم الخدمي في المعارك. ويتحكم مركز القيادة الرئيسي في حركة القوات التي لا يوجد تماسٌ بينها وبين العَدو، فيتم نقلها بالترتيب مع الجسم الرئيسي. وعادةً ما يبقى ترتيب مركز القيادة التَّكتيكِيَّة متقدماً لتوجيه القوات ودعمها.

رابعاً: الإعداد[1]

كما جرت العادة، فإن الموارد -بما في ذَلِكَ الوقت المتاح- هي من تُحدِدُ حجم الاستعدادات، فيعطي القائد أولويةً عاليةً للاستطلاع. إضَافَةً إلى ذَلِكَ، فإن إعداد المواقع اللاحقة يتلقى أولويةً أعلى مما هي عليه في الدِّفَاع المتحرك أو دفاع المنطقة، كما أن إكمال جميع الاستعدادات قبل بدء عملية العرقلة ليس ممكناً دائِماً. وعليه، يَجِبُ أن تقوم وحدات العرقلة بإعداد الخطط وتكييفها باستمرار حسب تطور الوضع.

يستخدم القائد المواقع القِتَالِيَّة في العرقلة بطريقةٍ مشابهةٍ لاستخدامها في الدِّفَاع، غير أنه يضع المزيد من التركيز على العرض أكثر من العمق عند تنظيم مواقعه القِتَالِيَّة، وكذلك الاستطلاع وإعداد طرق الانتقال، ويتم توجيه معظم القوة النَّارِيَّة المتاحة داخلَ كل موقعٍ معركةٍ نحو المسلك المحتمل لاقتراب العَدو. ومع ذَلِكَ، يَجِبُ على القائد أن يُوفِرُ أماناً مناسباً للمجنبات والمؤخرة لأنَّ على وحدة العرقلة أن تتكفل بأمنها الخاص، كما يَجِبُ أن يكون كل طاقمٍ وفرقةٍ على درايةٍ بالطرق التي تصل مواقعها الأساسية بالمواقع المتناوبة والتكميليَّة والمتعاقبة. وعند تجهيز الموقع القتالي، يضع قائد عملية العرقلة تركيزاً على تجهيز عوائق وقائية ونيران حماية نهائيَّة وتخزين الذخيرة أقلَّ مما يضعه في دفاعٍ متحركٍ أو دفاعٍ عن المنطقة.

ويُشارُ إلى المواقع القِتَالِيَّة في عَمَلِيَّات العرقلة أحياناً باسم (مواقع العرقلة).

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-47 and 11-48.

خامساً: التنفيذ[1]

تتطلبُ الطبيعةُ المعقدةُ للعرقلة من العناصر الثَّانَويَّة تنفيذ إجراءاتٍ مختلفةٍ ومتكاملةٍ بنفس الوقت، إذ يمكن أن تحصلَ في عملية عرقلةٍ واحدة هجماتٌ أو دفاعٌ عن منطقةٍ أو دفاعٌ متحركٌ وغيرها من الإجراءات في أي تسلسلٍ أو في وقتٍ واحد. على سبيل المثال، قد يختارُ القائدُ تعيين عنصر عرقلةٍ واحدٍ لمهمة الصمود في تقاطع طرقٍ هامٍّ لفترةٍ من الزَّمَن إلى أن تتمكن القوة الاحتياطِيَّة من ضرب مجنبة العَدو. ونتيجةً لذلك، يَجِبُ أن ينتشر العَدو في دفاعٍ سريع، مما يؤدي إلى عرقلة هجومه.

ينشرُ القائدُ قوات التَّأمين أمام مواقع العرقلة الأولية لإعطاء إنذارٍ مبكرٍ لأي محاولة تقدمٍ للعدو. وعندما تقوم قوة التَّأمين باكتشاف أي محاولة تقدمٍ بالإبلاغ عنها، فيقوم القائد بالتوفيق بين هَذِهِ التقارير ودعم قراراته والتوقعات المسبقة للأحداث لتأكيد المسار المحتمل لتصرفات العَدو. وبناءً على تفسيره لكيفية بدء المعركة، يمكن للقائد توجيه عنصرٍ ثانويٍّ واحدٍ للمناورة بطريقةٍ مصممةٍ لجذب العَدو المتقدم إلى موقع العوائق.

تقوم قوة التَّأمين بتثبيت وهزيمة وتدمير استطلاع العَدو وعناصر التَّأمين لديه دُونَ المخاطرة بالدخول في اشتباكٍ حاسم. فتقوم بتوجيه النيران على قوة العَدو المقتربة بقدر ما تستطيع أمام مواقع العرقلة. ويميل الاشتباك مع عدوٍّ متحركٍ على مسافاتٍ بعيدةٍ إلى تكبيده خسائر أكثر بكثيرٍ من الضرر الذي يمكن أن يلحقه هو بقوة العرقلة؛ كما أنه يُبطِئُ من وتيرة عملياته. فكلما استطاعت قوة العرقلة إعماء العَدو والقضاء على أصوله الاستطلاعيَّة، يزداد احتمال تردده وتحركه بحذر.

بمجرد أن تصبح قوة التَّأمين على تماسٍ مع العَدو فإنها تبقى على تماسٍ معه. وعندما يتقدم العَدو، تتحرك على الحدود وتتراجع باتجاه مجنبات وحدات الدِّفَاع، مع إبقاء العَدو تحت

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-49 until 11-63.

المراقبة المستمرة، وهو ما يساعد على منع العَدو من إيجاد فجواتٍ بين وحدات العرقلة وضرب المجنبات المكشوفة لوحدات العرقلة. وتستخدِمُ قوةُ التَّأمينِ طرقاً مغطاةً ومخفيةً ومنسقةً بحيث تتجنب نيران العَدو والنيران الصَّديقَة.

يَستخدم الجسم الرئيسي مجموعةً متنوعةً من التكتيكات لتنفيذ العرقلة، وتتضمن هَذِهِ التكتيكات: (الكمائن، الهجمات المضادة، الهجمات التَّخريبيَّة، الغارات المدفعيَّة، التَّشويش، والدَّعم الجوي القريب). يحتفظ قائد قوة العرقلة بحرية المناورة من خلال إجبار العَدو على الاشتباك مع قوةٍ كافيةٍ لوقف تقدمه مؤقتاً. كما تَستخدم قوة العرقلة العقبات والمواقع الدِّفَاعِيَّة في العمق لإبطاء العَدو وتضييق مساره واستغلال إمكانية تنقل أنظمته القِتَالِيَّة لتشويشه وهزيمته. وبمجرد أن تبدأ العرقلة، تنتقل الوحدات بسرعةٍ بين المواقع، ويُمسكُ القائدُ بأي فرصةٍ عابرةٍ لاغتنام زمام المبادرة ولو بِشَكلٍ مؤقتٍ كُلَّما أَمكنه ذَلِكَ.

إن مهاجمة العَدو تباعدُ من خطواته، وتشوشُ قواته، وتُحيرُ تصوره عن القتال، وتساعدُ على إطالة العرقلة. وبالتالي فقد يُؤثِرُ هذا الارتباك على سرعة العَدو واندفاعه، كما أنه يُؤثرُ على حركة احتياطيَّات العَدو وغيرها من القوات اللاحقة. ومع ذَلِكَ فإن قوة العرقلة تسعى إلى تجنب الاشتباك الحاسم.

تدعم أنظمة المدفعية والهاون المعركةَ بالنيران المباشرة لمنع العَدو من تنفيذ هجومٍ بالأسلحة المشتركة على موقع العرقلة. وعندما يواجه العَدو كل عقبةٍ تمَّ وضعها، يتمّ الاشتباك معه بواسطة أنظمة الدَّعم النَّاريّ هَذِهِ. لذا يَجِبُ أن تتسبب هَذِهِ النيران بإبطاء قوات العَدو المدرعة وإيقافها. ويمكن أن تَستخدم أنظمة المدفعية والهاون قذائفها لتفريق تشكيلات العَدو بضربه عندما يُركِزُ قواته بالقرب من نقاط الاختناق وفي مناطق الاشتباك.

إن دمج النيران والعقبات يجعل من الصعب على العَدو اجتياز مناطق الاشتباك، كما تخفف قوة العرقلة من اندفاع العَدو بإجباره على الانتشار وإلحاق إصاباتٍ بقواته.

تساعدُ النِّيرانُ قوى العرقلة من خلال:

1. مساعدة القوات أثناء مناورات فك الاشتباك.
2. إسكات نيران العَدو.
3. إضعاف قدرة العَدو على الحركة والتواصل.
4. حجب المراقبة في مواقع العَدو لإطلاق النَّار، وإضعاف أنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع وأنظمة الاستحواذ على الأهداف لديه.
5. تعزيز أو إغلاق الثَّغَرَات أو المسالك في العوائق.
6. تأدية مهمة نيران الحماية النهائية.[1]
7. تغطية عَمَلِيَّات انتقال القوات الصَّديقَة وفك الاشتباك باستخدام الدخان. (يؤدي هذا أيضاً إلى إضعاف التوجيه النِّهَائِيّ عند العَدو لذخائره الموجهة بدقة).
8. تدمير الأهداف عالية المردود.
9. دعم الهجمات المرتدة المحدودة.

عندما يقترب العَدو من موقع العرقلة، فإنه يعبُرُ واحداً أو أكثر من خطوط النَّار ويتحرك إلى مناطق الاشتباك ضِمْنَ مدى أسلحة قوة العرقلة كالصَّواريخ المضادة للدروع ومدافع الدَّبابات والأسلحة الصَّغيرة.

بينما يكثف العَدو من هجومه ويحاول المناورة أمام قوة العرقلة، يقوم القائد باستمرارٍ بتقييم الأحداث لتوجيه عَمَلِيَّات انتقال قوة العرقلة لاستباق حصول اشتباكٍ حاسمٍ محتملٍ أثناء إنجاز مهمة العرقلة. وعندما يبدأ العَدو في الاعتقاد بأنه نجح في المناورة ضد موقعٍ صديق، تتم مشاغلته بنيرانٍ غير مباشرةٍ بينما تختفي قوة العرقلة خلف سحابةٍ من الدخان والغبار والذخائر المتفجرة. إن كثافة نيران الحماية النهائية والنيران التي تستهدف مواقع العرقلة

[1] حاجز من النيران تمَّ تخطيطه مسبقاً متوفر مباشرةً عند الطلب تمَّ تصميمه لإعاقة تَحَرُّكَات العَدوّ عبر الخطوط أو المناطق الدِّفَاعِيَّة.

الصَّديقَة التي تمَّ إخلاؤها مؤخراً وما خلف تلك النقاط ستسمح لقوة العرقلة بفك الاشتباك عن العَدو المهاجم.

يقوم قادة الفرق والألوية عموماً بإضفاء اللامركزية على تنفيذ العرقلة نزولاً إلى مستوى الكتيبة والمستويات الأدنى. ويَجِبُ أن يعتمد هؤلاء القادة الكبار على مرؤوسيهم لتنفيذ المهمة وطلب المساعدة عند الحاجة.

يحدد القائد المخاطر المقبولة ومعايير الانتقال، وينتقل المرؤوسون بمجرد استيفائهم لمعايير العرقلة المحددة مسبقاً. قد يكون هذا الانتقال حدثاً مخططاً مسبقاً أو معتمداً على الوقت. ويقوم القائد الأعلى بمراقبة العرقلة ويتدخل عندما يشكل انتقال إحدى الوحدات تهديداً على احتمال نجاة وحدةٍ أخرى.

إذا لم يتمكن أحد العناصر الثَّانَويَّة من الحفاظ على الانفصال عن العَدو، فيمكن للقائد عندها تحويل مُضاعِفات قِتَالِيَّة إضافيةٍ وموارد أخرى إلى منطقة العَمَلِيَّات الخاصة بتلك العناصر لمواجهة نجاح العَدو الغير مخططٍ لَهُ. وعندما ينتقل أحد العناصر الثَّانَويَّة، قد يأمر قائد العرقلة العناصر الثَّانَويَّة الأخرى بتغيير اتجاهها لتغطية حركته.

عادةً ما يزجُّ القائد بالقوات الاحتياطِيَّة لمساعدة وحدةٍ ما على فك الاشتباك واستعادة قدرتها على المناورة أو منع العَدو من استثمار فرصةٍ ذات فائدة، ويَستخدمُ القوات الاحتياطِيَّة عادةً موقعاً مدعوماً بالنيران لهذه المهمة. إذا تمَّ الزج بالقوات الاحتياطِيَّة مبكراً، فإن قدرة القائد على التأثير في مجريات المعركة تنخفض بِشَكلٍ كبيرٍ ما لم يتمكن من إعادة تشكيل قواتٍ احتياطِيَّةٍ جديدةٍ. ويمكن الزج بالقوات الاحتياطِيَّة عدة مراتٍ خلال المعركة، ولكن فقط عندما يمكن استخراجها أو إعادة تعيينها أو إعادة تكوينها بسرعة.

في عملية العرقلة، يَجِبُ أن تكون عناصر الدَّعم الخدمي في المعارك التابعة لِلقُوَة موجودةً خارج نطاق مدفعية العَدو، لكن يَجِبُ أن تكون قادرةً أيضاً على توفير الدَّعم الكافي، كما يَجِبُ أن تكون مخزونات ذخيرة المدفعية قادرةً على الحفاظ على كمية الدَّعم النَّارِيّ المطلوب في العرقلة.

تُرَكِزُ عَمَلِيَّات الصيانة على إخلاء المركبات المتضررة بدلاً من إعادتها إلى القتال. وإذا كَانَ إصلاح المركبات بسرعة وعلى الفور غير ممكن، يَجِبُ على الوحدة إخلاؤها إلى المنطقة الخلفية، ويَجِبُ تدمير المركبات التي تُركت في الخلف لمنع العَدو من الاستيلاء عليها.

سادساً: إنهاء عملية العرقلة

تنتهي عملية العرقلة عندما تقوم قوة العرقلة أثناء تراجعها بعبور خطوط منطقة قوةٍ دِفَاعِيَّةٍ، أو عندما تصل إلى تضاريس يمكن الدِّفَاع عنها وتنتقل إلى حالة الدِّفَاع، أو إذا وصلت قوات العَدو المتقدمة إلى نقطة الذروة، أو عندما تدخل قوة العرقلة في الهجوم بعد أن تتم مؤازرتها. وإذا وصلت قوة العَدو المتقدمة إلى نقطة الذروة، فقد تحافظ قوة العرقلة على حالة اشتباكٍ في المواقع الحالية، أو تنسحب لأداء مهمةٍ أخرى، أو تنتقل إلى حالة الهجوم.[1]

في جميع الحالات، على القائد الأعلى أن يخطط للنتيجة المتوقعة من العرقلة التي ينفذها المرؤوسون، فإذا كَانَ يتوقع هجوماً صديقاً مضاداً، فإنه يخطط للمرور الأمامي لقوة الهجوم المضاد، ويقتصد في استخدام موارده لضمان التفوق القتالي النسبي، ويتكفل بالتسليم السلس لمناطق العَمَلِيَّات المناسبة.

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, 11-64.

الفصل الثاني: الانسحاب

الانسحاب هو الشكل الثاني من أشكال القتال التراجعي، وهو عمليةٌ مخططةٌ تقوم فيها قوةٌ تكون على تماسٍ مع قوةٍ معادية بفك الاشتباك عنها. قد يقوم القائد بالانسحاب تحت ضغط العَدو أو عدمه، كما يمكن أن تنسحب بعض الوحدات الثَّانَوِيَّة دُونَ انسحاب القوة بأكملها. وتقوم الوحدة بإجراء الانسحاب لعدة أسبابٍ مذكورةٍ في بداية هذا الباب. إِضَافَةً إلى ذَلِكَ، قد يسبقُ الانسحاب عملية انزواء.

على الرغم من أن على القائد تجنب الانسحاب من المعركة تحت ضغط العَدو، إلا أن ذَلِكَ الأمر ليس ممكناً دائِماً، إذ يجوز لَهُ الانسحاب عندما يتطلب الموقف إجراءً سريعاً لإنقاذ الوضع من كارثةٍ محققة، ويحدث هذا عادةً بعد انقلابٍ تكتيكيٍّ في مجريات المعركة أو بعد أن تصل الوحدة إلى نقطة الذروة. عندما يُدرِكُ العَدو المهاجِمُ انسحاب قوةٍ صديقةٍ أو نيتها الانسحاب، فإنه سيحاول استغلال الانسحاب مستخدماً كل إمكانياته لمحاولة تحويل هذا الانسحاب إلى هزيمة، إذ قد يكون لديه تفوقٌ بريٌّ وجويٌّ وسيحاول باستمرارٍ ملاحقة وتطويق وتدمير القوة المنسحبة، كما أنه سيحاول استخدام مزيجٍ من الضغط المباشر وقوات الالتفاف والنيران للاستفراد بالقوة الصَّديقَة المنسحبة لتدميرها في وقت لاحق. [1]

عَمَلِيَّات الانسحاب خطيرةٌ بطبيعتها لأنها تنطوي على تحريك الوحدات إلى الخلف وبعيداً عن المكان الذي تكون -عادةً- قوة العَدو فيه أقوى ما يمكن. وكُلَّمَا كَانَ القتال السابق أشدَّ وكُلَّمَا ازداد القرب من العَدو كُلَّمَا زادت صعوبة الانسحاب. إن أمن العَمَلِيَّات مهمٌ للغاية؛ فعادةً ما تجعل الوحدة حركتها باتجاه الخلف في الأوقات والظروف التي لا يستطيع فيها العَدو مراقبة النَّشاطِ، بحيث لا يمكنه اكتشاف العَمَلِيَّة بسهولة. وللمساعدة في الحفاظ على السِّريَّة وحرية التصرف -على سبيل المثال- يَجِبُ على القائد الأخذ بعين الاعتبار كلاً

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-**66**.

من أحوال الرؤية والأوقات التي يمكن فيها لأقمار استطلاع العَدو مراقبة التحركات الصَّديقَة.[1]

تنسحب الوحدة إلى منطقة تجميعٍ[2] أو موقعٍ دفاعيّ جديدٍ. وبدلاً من ذَلِكَ، يمكن أن تنسحب بِشَكلٍ غير مباشرٍ إلى أي منطقةٍ من خلال موقعٍ أو أكثر من المواقع الوسيطة. وعند تجهيز الموقع الجديد، يُوازِنُ القائد بين الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى البدء المبكر في الجهد الدفاعي.

يشمل الحديث عن الانسحاب المباحث التالية:

1. **تنظيم القوات**
2. **إجراءات التَّحكُم**
3. **تخطيط الانسحاب**
4. **تنفيذ الانسحاب**

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-67.

[2] هي منطقة تحتلها الوحدة بينما تقوم بالتجهيز لعمليةٍ ما.

أولا: تنظيم القوات[1]

عادة ما يُنظّمُ القائد وحدته المنسحبة في قوة تأمينٍ وجسمٍ رئيسيّ وقوات احتياط. كما أنه يُنظّمُ مفرزةً تبقى على تماسٍ في الخلف إذا تطلب ذَلِكَ مخطط المناورة الخاص به.

تحافظ قوة التَّأمين على تماسٍ مع العَدو إلى أن تُؤمر بفك الاشتباك أو حَتَّى تتولى قوةٌ أخرى زمام الأمور. وكُلَّمَا زادت قدرتها على الحركة ومزايا المدى أمام العَدو، كَانَ من الأسهل على قوة التَّأمين تغطية انسحاب الجسم الرئيسي بنجاح. يُنظّمُ القائدُ غالبية القوة القِتَالِيَّة المتاحة لِلقُوَة التأمينيَّة كحرسٍ خلفيّ أو قوات غطاءٍ خلفية؛ لأنَّ التَّهدِيدَ الأكثر احتمالاً لِلقُوَة المنسحبة هو ملاحقة العَدو لها. وعندما يتمكن العَدو من التسلل أو إدخال قوات أمام القوة المنسحبة، يمكن للقائد أن يُنشِئُ حرساً متقدماً لإخلاء الطريق أو منطقة العَمَلِيَّات. ويقوم بتعيين حرسٍ أو غطاءٍ للمجنبة إذا لزم الأمر.

المفرزة التي تبقى على تماسٍ هدفها الأساسي هو البقاء في الخلف لخداع العَدو ليعتقد بأن الوحدة الأم لا تزال في موقعها بينما تنسحب غالبية الوحدة. إنها تحاكي - قدر الإمكان - استمرار وجود الجسم الرئيسي. يَجِبُ أن يكون لدى المفرزة التي يتمّ تركها على تماسٍ تعليماتٌ محددةٌ حول ما يَجِبُ فعله عندما يهاجم العَدو، ومتى وتحت أي ظرفٍ تقوم بالعرقلة أو الانسحاب. إذا كَانَ على المفرزة التي بقيت على تماسٍ أن تقوم بفك الاشتباك عن العَدو، فإنها تستخدم نفس الأساليب المستخدمة في العرقلة. وإذا لزم الأمر، تتلقى هَذِهِ المفرزة أصولاً إضافيةً للاسترداد والإخلاء والنقل لاستخدامها بعد فك الاشتباك لتسريع حركتها الخلفية.

يتكون الجسم الرئيسي لِلقُوَة المنسحبة من جميع العناصر المتبقية بعد أن يُمِدَّ القائد قوات التَّأمين وقواته الاحتياطِيَّة.

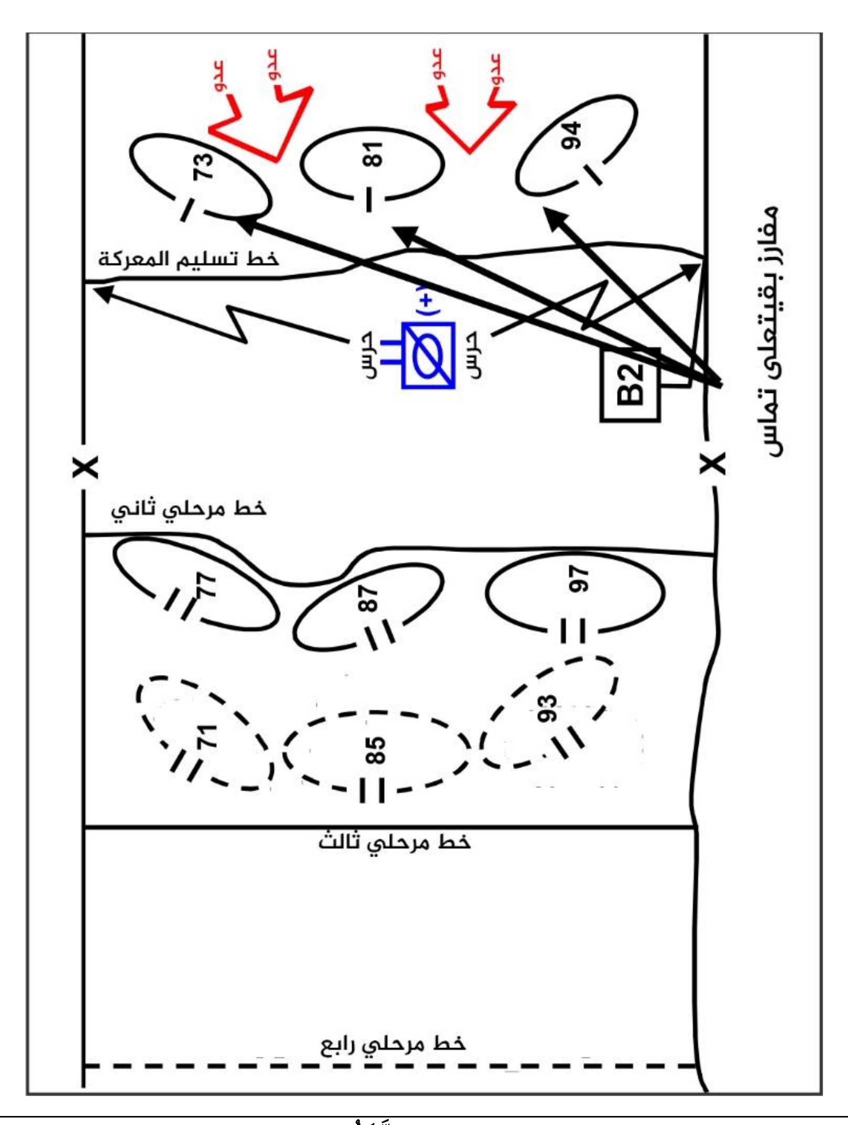
---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-69 and 11-73.

عندما ينسحب التَّشكِيل الكامل تحت الضغط، قد تنفذ القوات الاحتياطِيَّة إجراءاتٍ هُجُومِيَّة محدودة -كالهجمات التَّخريبِيَّة- لتشويش وتعطيل وعرقلة العَدو. كما يمكنها مواجهة الاختراقات بين المواقع، ومؤازرة المناطق المهددة، وحماية طرق الانسحاب. كما يمكن للقوات الاحتياطِيَّة أيضاً تحرير القوات المحاصرة أو المشتبكة بشدة.

ثانياً: إجراءات التَّحَكُم

إن إجراءات التَّحَكُم المستخدمة في الانسحاب هي نفس الإجراءات المستخدمة في العرقلة أو الدِّفَاع. وتشمل هَذِهِ الإجراءات أيضاً: الطرق التي تستخدمها كل وحدةٍ في الانسحاب وأوقات التحرك للخلف.



الشكل (26): إجراءات التَّحَكُم في الانسحاب

ثالثاً: تخطيط الانسحاب[1]

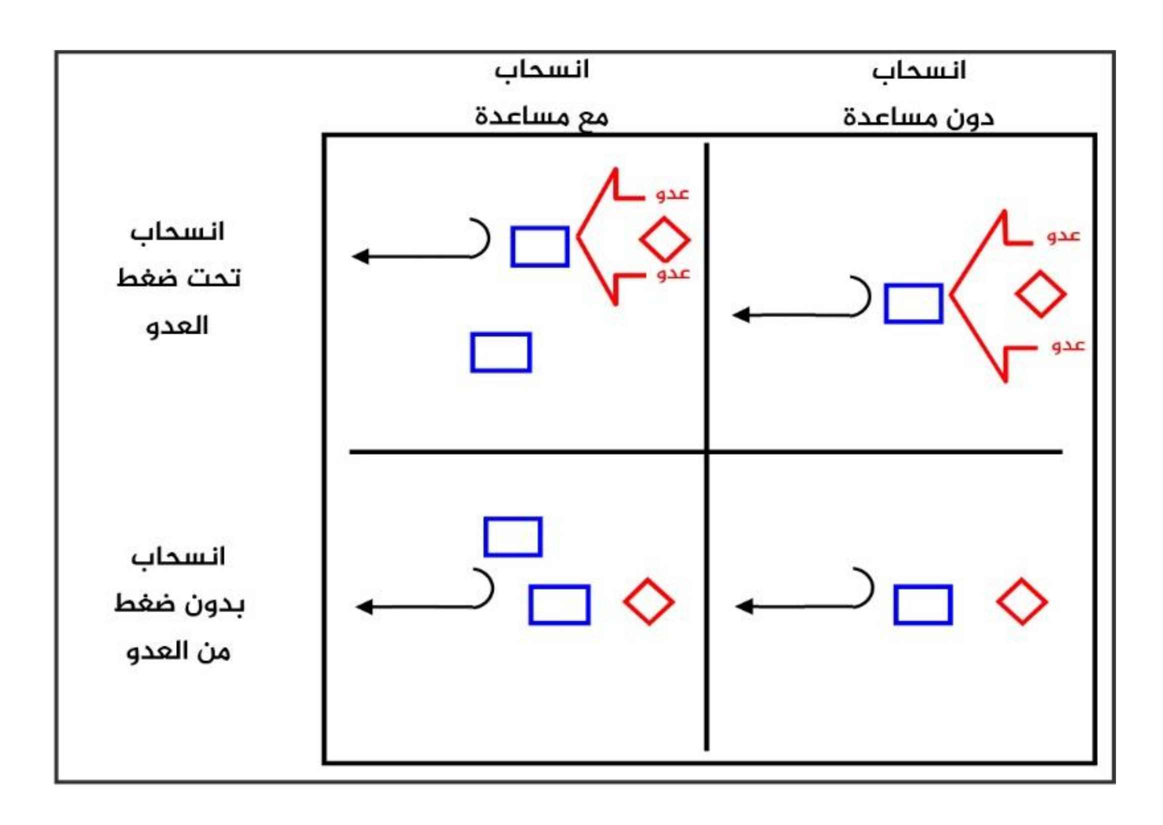
يُخططُ القائدُ ويُنسقُ الانسحاب بنفس طريقة العرقلة، لكن يبدأ الانسحاب دائماً تحت تهديد تدخل العَدو، ويخطط القائد دائماً للانسحاب تحت الضغط لأنَّ القوةَ تكونُ أكثرَ عرضةً للخطر إذا هاجم العَدو، ثُمَّ يطور حالات الطوارئ للانسحاب دُونَ ضغط.

في كلتا الحالتين، فإن الاعتبارات الرَّئِيسيَّة للقائد هي:

1. التخطيط للانفصال المتعمد عن العَدو.
2. نقل الجسم الرئيسي بسرعةٍ، بعيداً عن تدخل العَدو.
3. حماية طرق الانسحاب.
4. الاحتفاظ بقدرٍ كافٍ من القدرات القِتَالِيَّة والدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك طوال العَمَلِيَّة لدعم القوات الموجودة على تماسٍ مع العَدو.

الانسحاب قد يتمّ بوجود مساعدةٍ أو بدون مساعدة، وقد يحدث أو لا يحدث تحت ضغط العَدو. يُنتج هذان العاملان مجتمعين الاختلافات الأربعة الموضحة في الشكل (26). كما يصور هذا الشكل أيضاً مخطط المهمة التَّكتيكِيَّة للانسحاب والانسحاب تحت ضغط العَدو. وتدرُسُ خطةُ الانسحاب الشكلَ الذي تواجهه القوة حالياً، ويتطلب كل شكلٍ مزيجاً مختلفاً من خيارات التراجع الثلاثة.

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-77 and 11-81.



الشكل (27): أشكال الانسحاب

يفضل القائد الانسحاب دُونَ ضغوطٍ ودون مساعدة، لأنَّ أعمال العَدو وكذلك التنسيق الإضافي المطلوب بسبب وجود وحدةٍ مساعدة، يُعقِّدان من إجراء العَمَليَّة. وفي الانسحاب تحت ضغط العَدو، تنسحب جميع الوحدات في وقتٍ واحدٍ عندما تسمح الطرق المتاحة بذلك، مستخدمةً تكتيكات العرقلة لشق طريقها إلى الخلف. وفي الحالة المعتادة -عندما يكون الانسحاب المتزامن لجميع القوات غير عملي- يقرر القائد ترتيب الانسحاب بِشَكلٍ مجزأ.

وهناك عدة عوامل تؤثر على قراره:

1. المهام اللاحقة.
2. توافر أصول وطرق النقل.
3. ترتيب القوات الصَّديقَة والمعادية.
4. مستوى وطبيعة ضغط العَدو.
5. درجة الاستعجال المرتبطة بالانسحاب.

يَجِبُ أن يتخذ القائدُ ثلاثَ قراراتٍ رئيسيةٍ مترابطة:

- متى تبدأ حركة ما تمَّ اختياره من عناصر الدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك؟.
- متى يَجِبُ أن تبدأ العناصر الأماميَّة بتخفيف أعدادها؟.
- متى يَجِبُ أن تبدأ قوة التَّأمين عَمَلِيَّات فك الاشتباك؟.

كما على القائد أن يتجنب الإجراءات المبكرة التي تدفع العَدو إلى الاعتقاد بأننا نفكر في الانسحاب.

رابعاً: تنفيذ الانسحاب[1]

عندما تكون تحت ضغط العَدو عادةً ما تقوم عناصر القوة المنسحبة الأقل اشتباكاً بالانسحاب أولاً. وبشكلٍ عامٍّ، تنسحب الوحدات الأكثر اشتباكاً تحت غطاء قوة تأمينٍ، وتستفيد هَذِهِ الوحدات من العقبات للمساعدة في قطع التَّمَاس بالعدو. يقوم القائد بتحركاتٍ ليليةٍ ويستخدم دخاناً كثيفاً لتغطية تحرك القوات الصَّديقَة والحدّ من دقة أنظمة إطلاق النَّار المباشر عند العَدو وخفض قدرته على مراقبة التحركات الصَّديقَة بِشَكلٍ مرئي، بينما تستمر قوة التَّأمين في استخدام مواقع متناوبةٍ ومتعاقبةٍ إلى أن تنفصل القوة بأكملها عن التَّمَاس مع العَدو.

قد تبقى قوة التَّأمين في موقعها وتحافظ على عملية الخداع، بينما يتحرك الجسم الرئيسي باتجاه الخلف إلى المواقع المتوسطة أو النهائيَّة بأسرع ما يمكن. وبعد انسحاب الجسم الرئيسي إلى مسافةٍ آمنة، تبدأ قوة التَّأمين بالتحرك للخلف. وبمجرد أن تبدأ قوة التَّأمين بالتحرك، فإنها

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-86 and 11-91.

تتولى مهام الحرس الخلفي. وحتى لو لم يقم العَدو بملاحقة القوة المنسحبة، تستمر قوة التَّأمِين في العمل كحرسٍ خلفيّ ما لم يكلف القائد عنصراً آخر بهذه المهمة.

يتحرك الجسم الرئيسي بسرعةٍ على طرقٍ متعددةٍ لمواقع قد تمَّ استطلاعها مسبقاً عند صدور أمر الانسحاب، وقد يحتل سلسلةً من المواقع المتوسطة قبل إتمام الانسحاب. وعادةً ما تتحرك في البداية قوافل وحدات الدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك إِضَافَةً إلى مرافقتها، بحيث تسبق الوحداتِ القِتَالِيَّة في تشكيل حركة الانسحاب. ويحتاجُ القائدُ إلى الحفاظ على الاستخدام المنضبط للطرق أثناء الانسحاب. فعلى الرغم من الارتباك وضغط العَدو، يَجِبُ على الوحدات الثَّانَوِيَّة اتباع طرقٍ وأوقات حركةٍ محددة.

عندما ينسحب الجسم الرئيسي، تبقى القوات الاحتياطِيَّة بمكانٍ متقدمٍ لمساعدة قوات التَّأمِين والوحدات الأخرى بالنيران والهجوم المضاد، كما يمكن للقوات الاحتياطِيَّة شَنَّ هجماتٍ تخريبيةٍ لتشويش وعرقلة العَدو وتخليص القوات المحاصرة أو المشتبكة بشدة.

إذا لم تتمكن قوات التَّأمِين والاحتيَاطِيَّة من منع العَدو من حصار الجسم الرئيسي، فيجب على القائد الزج ببعض أو كل الجسم الرئيسي لمنع العَدو من التدخل أكثر في الانسحاب، بحيث يقوم الجسم الرئيسي بالعرقلة أو الدِّفَاع إذا فشلت قوات التَّأمِين في إبطاء العَدو. في هَذِهِ الحالة، يُستأنَفُ الانسحابُ في أقرب وقتٍ ممكن. وإذا قام العَدو باعتراض الحركة إلى الخلف، ينتقِلُ القائدُ إلى الطرق البديلة لتجاوز المنطقة المحظورة. وبدلاً من ذَلِكَ يمكنه شق طريقه بالاشتباك مع العَدو.

بمجرد أن تنجح القوة المنسحبة بقطع تماسها مع العَدو، يكون أمامها خياران؛ يمكنها العودة إلى الدِّفَاع العام تحت ظروفٍ أكثرَ ملاءمةً، أو الانتقال إلى الانزواء ومواصلة التحرك بعيداً عن العَدو نحو مهمتها التالية.

الفصل الثالث: الانزواء[1]

الانزواء هو شكلٌ من أشكال التراجع حَيْثُ تقوم قوةٌ لا يوجد تماسٌ بينها وبين العَدو بالتحرك بعيداً عنه. تُجهزُ الوحدةُ المعتزلةُ نفسها للقتال، لكنها رغم ذَلِكَ لا تتوقع تدخل القوات البَرِيَّة للعدو. وقد يحاول اعتراض الوحدة المعتزلة كل من: قوات العَدو المتحركة أو القوات غير التَّقليديَّة أو الضربات الجوية أو الهجمات الجوية أو النيران بعيدة المدى، لذلك يَجِبُ أن يتوقع القائد تصرفات العَدو وأن يخطط لها مسبقاً وأن ينظم الوحدة للقتال دفاعاً عن النفس.

عادةً ما يُجري القائدُ عَمَلِيَّات انزواء لإعادة تموضع قواته للعمليات المستقبلية أو لتكييفها مع التصور الحالي للعملية. وعندما يكون الانسحاب من أحد الإجراءات السابقة للانزواء، يبدأُ الانزواءُ الفعليُّ بعد أن تقطع الوحدة تماسها مع العَدو وتنظم نفسها في تشكيل حركة المسير. وتُجري الوحدات الانزواء كمسير طريقٍ تكتيكيٍّ[2] حينما يكون الأمن والسرعة أكثر الاعتبارات أهميةً.

تتحرك الوحدة المعتزلة عادةً نحو منطقة التجمع، وينبغي أن تُؤَمِنَ هَذِهِ المنطقة الاستعدادات للمهمة التالية للوحدة. وعند تحديد الطرق التي ستسلكها القوة المعتزلة إلى منطقة التجمع، يأخذ القائد في الحسبان قدرة الوحدة على دعم الإجراءات الدِّفَاعِيَّة في حالة حدوث القتال أثناء الانزواء.

المهمة الأولية في الانزواء هي نقل وحدات وإمدادات الدَّعم الخدمي في المعارك إلى الخلف، وتنفذ الوحدة المعتزلة انسحاباً في الوقت المحدد، ويمكن لها الانتقال إلى منطقة

---

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-92 and 11-100.

[2] مسير الطريق التكتيكي هو تحركٌ سريعٌ يُستخدم لإعادة تموضع الوحدات ضِمْنَ منطقة العَمَلِيَّات للتجهيز من أجل العَمَلِيَّات القِتَالِيَّة.

التجمع أولاً إذا كَانَت هَذِهِ الخطوة ضرورية لإعادة تأسيس القيادة والسيطرة أو إعادة التذخير، لكن بمجرد تكوين تشكيل المسير تكون القوة مستعدة لبدء الانزواء.

خلال المرحلة الأولية، تعتزل القوة في عدة أرتالٍ صغيرة. ومع ازدياد البعد عن العَدو، يمكن للأرتال الأصغر أن تتحد في أرتالٍ أكبر لتسهيل التَّحَكُم بالتحرك، وتؤثر شبكات الطرق واحتمالية تدخل العَدو في كيفية ووقت حدوث هذا الاندماج.

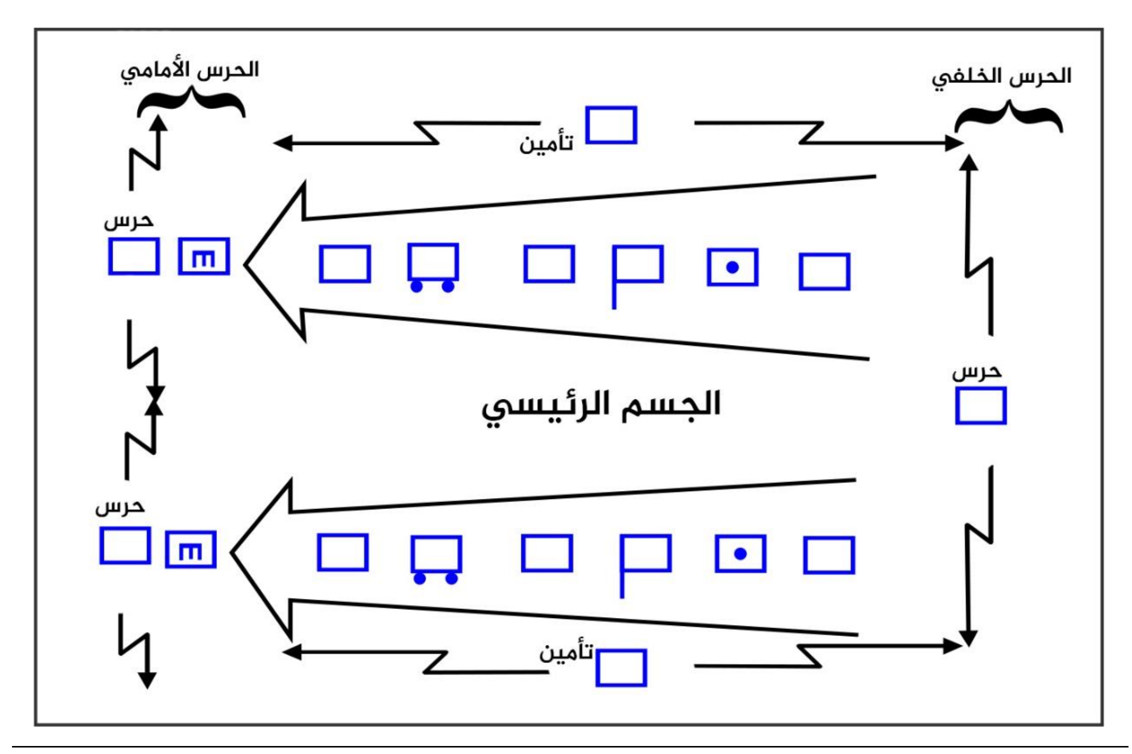
يشمل الحديث عن الانزواء المباحث التالية:

1. **تنظيم القوات**
2. **إجراءات التَّحَكُم**

أولاً: تنظيم القوات

عادة ما يعين القائد عناصر تأمين وجسماً رئيسياً في عَمَلِيَّات الانزواء. ويعتمد تشكيل وعدد الأرتال المستخدمة أثناء الانزواء على عدد المسارات المتاحة واحتمالِيَّة تدخل العَدو، لكن القائدَ يفضلُ عادةً نقلَ عناصره الرَّئِيسيَّة إلى الخلف في وقتٍ واحدٍ. ومع ذَلِكَ، فإن شبكة الطرقات المحدودة أو الخطر على أحد المجنبات قد يتطلب التدرج في التحرك من حَيْثُ التوقيت والمواقع الأرضية.

تُحدِدُ التَّضَارِيسُ وخطرُ العَدو ما إذا كَانَت القوة المعتزلة ستُنشِئُ قوة تأمينٍ خلفيةً واحدةً والتي تكون عادةً حرساً خلفياً، أو ما إذا كَانَ كل رتلٍ سيقوم بتشكيل قوة تأمينٍ خلفيةٍ منفصلة. حَيْثُ تقوم قوات التَّأمين هَذِهِ بحماية الأرتال المتحركة باتجاه الخلف من المفاجأة والمضايقة والهجوم من قبل أي قوةٍ معاديةٍ تطاردهم، ويعتمد حجمها وتكوينها على قوة واحتمالية خطر العَدو، وتبقى عناصر التَّأمين هَذِهِ بِشَكلٍ عامٍّ في أرتال المسير ما لم يكن هُنَاكَ احتمالٌ لتدخل العَدو، فإذا أصبح العَدو على تماس، فإن عنصر التَّأمين الخلفي يقوم بالعرقلة.



الشكل (28): تنظيم القوات لتنفيذ عملية انزواء

عادةً ما تتطلب أرتال المسير المعتزلة حرساً متقدماً مدعوماً بالمهندسين، فيعيّن القائد عنصراً أمنياً على المجنبات لمنع التدخل المحتمل للعدو ضد الأرتال الطويلة للقوات المعتزلة، وقد يعين مسؤوليات تأمينٍ خَاصَةً بالمجنبة لوحدات المسير الثَّانَوِيَّة.

إن تحرك وحدات الدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك يَجِبُ أن يسبق تحرك القوات القِتَالِيَّة. ويمكن لعناصر من الجسم الرئيسي مؤازرة الحرس الخلفي أو أي عنصرٍ تأميني آخر عند الضَّرورَة، ونظراً لأنَّ عناصر الدَّعم النَّارِيّ وعناصر المروحيات الهجومية في الجسم الرئيسي يمكن أن تستجيب بسرعةٍ أكبر، فهم عادةً أول من يتمّ تكليفهم بهذه المهمة.

ثانياً: إجراءات التَّحَكُم

إجراءات التَّحَكُم المستخدمة في الانزواء هي نفس الإجراءات المستخدمة في العرقلة والانسحاب. وكما هو الحال في الانسحاب، فإن التخطيط الشامل والالتزام الصارم بالطرق وأوقات الحركة يسهل الانزواء المنظم. وعادةً ما يتحكم القائد في التحركات باستخدام أوقات التحرك والطرق والحواجز.

الفصل الرابع: عَمَلِيَّات شائعة في القتال التراجعي

تشمل هَذِهِ العَمَلِيَّات المباحث التالية:[1]

1. عَمَلِيَّات الدَّعم الخدمي
2. عَمَلِيَّات الحرمان
3. عَمَلِيَّات البقاء في الخلف

أولاً: عَمَلِيَّات الدَّعم الخدمي

لتقليل الازدحام والتداخل مع عَمَلِيَّات الوحدات القِتَالِيَّة ووحدات الدَّعم القتالي، يَجِبُ على القائد نقل أصول الدَّعم الخدمي في المعارك الخاصة به في أقرب وقتٍ ممكن، بحيث تكون عادةً في بيئةٍ لا توفر للعدو إلا رؤيةً محدودةً. ويمكن أيضاً للنقل المبكر لوحدات الدَّعم الخدمي في المعارك أن يمنع الكشف عن عَمَلِيَّات صديقةٍ مستقبليةٍ أمام العَدو.

يَجِبُ على الدَّعم اللوجستي المقدم أن يكون متنقلاً للتعامل مع متطلبات الحالات التَّكتيكِيَّة المتغيرة والتي تحدث عادةً أثناء عملية التراجع، لذا ينبغي على القائد أن يمنع تراكم الإمدادات غير الضرورية في المناطق التي سيتم التخلي عنها، بحيث لا يكون غير الدَّعم الطبي واللوجستي الأساسي فقط موجوداً في المنطقة المستخدمة في عملية التراجع.

يفضلُ القائد عموماً استخدام العديد من طرق الإمداد المنفصلة بدلاً من عددٍ قليلٍ من طرق الإمداد الرَّئِيسيَّة، فتبقى بعض الطرق مفتوحةً للتحرك إلى الأمام بينما يتمّ نقل الجزء الأكبر من وحدات الدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك بعيداً إلى الخلف. أمَّا

[1] U.S. military, Field Manual, NO: 3-90, TACTICS, Chapter 11, from 11-103 and 11-121.

الطرق المخصصة لإجلاء المدنيين النازحين فيتم تجنب مرورها أو بطريقة أخرى تجنب تداخلها قدر الإمكان مع طرق الإمداد الرَّئِيسيَّة للوحدة.

يبني القائدُ أولوياته في الإخلاء الطبي على توفر وسائل النقل ونتائج فرز الإصابات من قبل الكوادر الطبية، كما يَجِبُ على العناصر الطبية التي تدعم القوة المتراجعة أن توفر الإخلاء السريع للمصابين إلى المرافق الطبية. إن متطلبات الإجلاء الطبي مطلوبةٌ بِشَكلٍ خاصٍّ في مناطق العَمَلِيَّات الكبيرة التي تكثر فيها التراجعات، لذا يَجِبُ على القائد التفكير في زيادة قدرات الإسعاف الأرضي لوحداته الطبية الأمامية.

تساعد عناصر الشُّرطَة العَسكَرِيَّة في القوات المتراجعة بِشَكلٍ أساسيٍّ على التَّحَكُم في الانتشار في ساحة المعركة لضمان التدفق السلس لحركة المرور. ويمكن للقائد زيادة قوات شرطته العَسكَرِيَّة لإنشاء نقاط مراقبةٍ للمرور وتأمين الطرق والقوافل، كما أنها تساعد في السَّيطَرَة على المدنيين النازحين وأسرى الحرب الأعداء.

ثانياً: عَمَلِيَّات الحرمان

عَمَلِيَّات الحرمان هي إجراءاتٌ لعرقلة أو حرمان العَدو من استخدام المساحات أو الأفراد أو الإمدادات أو المرافق، وقد تشمل تدمير تلك الإمدادات والمرافق وإزالتها وإفسادها أو نصب العوائق. وفي بعض الأحيان، يكون العَدو في وضعٍ يُمكِّنه من الاستيلاء على المعدات والإمدادات الصَّديقَة بِشَكلٍ مؤكد، ويحدث هذا الموقف غالباً أثناء عَمَلِيَّات تراجعٍ أو عَمَلِيَّات دِفَاعِيَّة. ونتيجةً لذلك، قد يُطلب من القائد المُدافع إجراء عَمَلِيَّات الحرمان.

مبادئ الحرمان هي:

1. على القائد أن يحرم عدوه من استخدام المعدات والإمدادات العَسكَرِيَّة.
2. يَجِبُ ألا تمنع الخطوات المتخذة لحرمان العَدو من المعدات والإمدادات -إن أمكن- استخدامها لاحقاً من قبل القوات الصَّديقَة.

3. يأمر القائد بتدمير المعدات والإمدادات العَسكَرِيَّة فقط عندما لا تستطيع القوات الصَّديقَة منع وقوعها في أيدي العَدو.
4. المستخدِم مسؤولٌ عن حرمان العَدو من استخدام معداته وإمداداته العَسكَرِيَّة عن طريق تدميرها أو إزالتها أو إفسادها.
5. إن التَّدمِير المتعمد للمعدات والإمدادات الطبية وجعل الطعام والماء غير صالحين للاستهلاك أمرٌ غير قانونيّ بموجب أحكام اتفاقيات جنيف.

في عَمَلِيَّات الحرمان، يمكن أن يتوسع تعريف المعدات والإمدادات العَسكَرِيَّة للوحدة ليشمل المنشآت العَسكَرِيَّة وأيُّ معداتٍ وإمداداتٍ مدنيةٍ تستخدمها القوات الصَّديقَة. وبموجب قانون الحرب، لا يُسمح بتدمير الممتلكات المدنية إلا عند الضَّرورَة العَسكَرِيَّة المباشرة. إن تحديد وجود ضرورةٍ كافيةٍ لتبرير التَّدمِير هو تحليلٌ معقدٌ يتطلب مراعاة الاعتبارات الأخلاقية والسِّيَاسيَّة والقانونية.

يَجِبُ على القائد الذي يأمر بعملية الحرمان أن يأخذ في الاعتبار القيمة المحتملة للمعدات والإمدادات العَسكَرِيَّة بالنسبة للعدو عند تحديد الأولويات وحجم عملية الحرمان.

أمثلةٌ على الأولويات العالية للحرمان:

1. المعدات والمواد والمستندات السرية.
2. النفط والزيوت ومواد التشحيم.
3. أنظمة الأسلحة أو المعدات الإلكترونية المتطورة.
4. الأسلحة الثقيلة والذخائر المرتبطة بها.
5. معدات الاتصالات.
6. معدات العبارات والجسور.
7. أنظمة النقل الجوي والبحري والبري.

يَجِبُ على القائد إصدار تعليماتٍ مفصلةٍ لكيفية تدمير المعدات والإمدادات العَسكَرِيَّة لمنع العَدو من الاستخدام المباشر لهذه الأصول، كما ينبغي على عملية الحرمان أيضاً أن تمنع

العَدو من إصلاح أي نظامٍ عن طريق استخدام مواد مستعملةٍ من أنظمةٍ متعددة، فيجب على الوحدة أن تدمر نفس القطع في كل نوعٍ من أنواع الأنظمة.

يضمن القائد أن تنفيذ خطة الحرمان لن يؤثر سلباً على عملياته المستقبلية، وهذا يشمل النظر بعنايةٍ في سياسة الهدم التي تتَّبعها القوة بالنسبة للهدف من الحركة الخلفية والإجراءات اللاحقة المتوقعة لِلقُوَة، حَيْثُ قد تصبح عَمَلِيَّات الهدم على نطاقٍ واسعٍ أثناء التراجع عائقاً أكبر أمام عودة قوةٍ صديقةٍ إلى المنطقة مقارنةً بالعدو أثناء تراجع القوات الصَّديقَة. على سبيل المثال، يؤدي تدمير البنية التحتية للمواصلات إلى زيادة الصعوبات اللوجستية الصَّديقَة بمجرد استعادة المنطقة. إن إزالة أو تدمير الإمدادات والمعدات العَسكَرِيَّة المهمة من منطقةٍ ما -كالوقود ومواد العوائق وعربات السكك الحديدية- تتطلب من القوات الصَّديقَة إحضار أصولٍ مماثلةٍ معها عند إعادة احتلال المنطقة.

يمكن للقائد توسيع عملية الحرمان لمنع العَدو من استغلال الموارد كالوقود والمعادن والسكان الأصليين، وطرق الاتصال كرافعات القوارب في الأنهار وساحات تبديل السكك الحديديَّة وتقاطعات الطرق والجسور، والمرافق كمقاسم الهاتف ومحطات الراديو والتلفزيون والمنشآت الصناعية في المنطقة. ويمكن لِلقُوَة المدافعة مساعدة السلطات المدنية في إجلاء السكان المدنيين. بالتالي فقد تكون عَمَلِيَّات الحرمان هَذِهِ إمَّا كليةً أو محدودةً في طبيعتها.

يمكن أن تَنتج عن عَمَلِيَّات الحرمان الكلي آثارٌ سيَاسيَّة واقتصاديةٌ وعسكريةٌ وبيئيةٌ طويلة المدى، وعمليات الحرمان الكلي لها تأثيرٌ على المستوى التشغيلي، وربما على المستوى الإستراتيجي . كما أنها تستهلك كمياتٍ كبيرةً من موارد النقل والهندسة وتتطلب وقتاً طويلاً للتخطيط والتنفيذ.

تعتبر عَمَلِيَّات الحرمان المحدود أو الجزئي مناسبةً بِشَكلٍ خاصٍّ إذا كَانَت القوة المدافعة تتوقع استعادة السَّيطَرَة على المنطقة الجغرافية في غضون فترةٍ زمنيةٍ قصيرة. ويمكن أن تؤدي إزالة أو تدمير عددٍ قليلٍ فقط من المكونات الرَّئيسيَّة إلى تقليل الفائدة من المنشأة

إلى فائدةٍ محدودة، ومع ذَلِكَ فهي تتيح للمنشأة استعادةً سريعةً لجميع الوظائف بمجرد إعادتها تحت سيطرة القوات الصَّديقَة.

عادةً لا تؤثر عَمَلِيَّات الحرمان المحدودة على تقدم تشكيلات العَدو القِتَالِيَّة المدعومة بِشَكلٍ مناسبٍ والتي تمتلك القدرة على التنقل عبر البلاد. ومع ذَلِكَ، يمكنها أن تعرقل الدَّعم اللوجستي للعدو المرتبط بالطرق والسكك الحديدية بِشَكلٍ خطيرٍ إذا تمَّ تنفيذها بمهارةٍ وإبداعٍ وفقاً لخطةٍ شاملة.

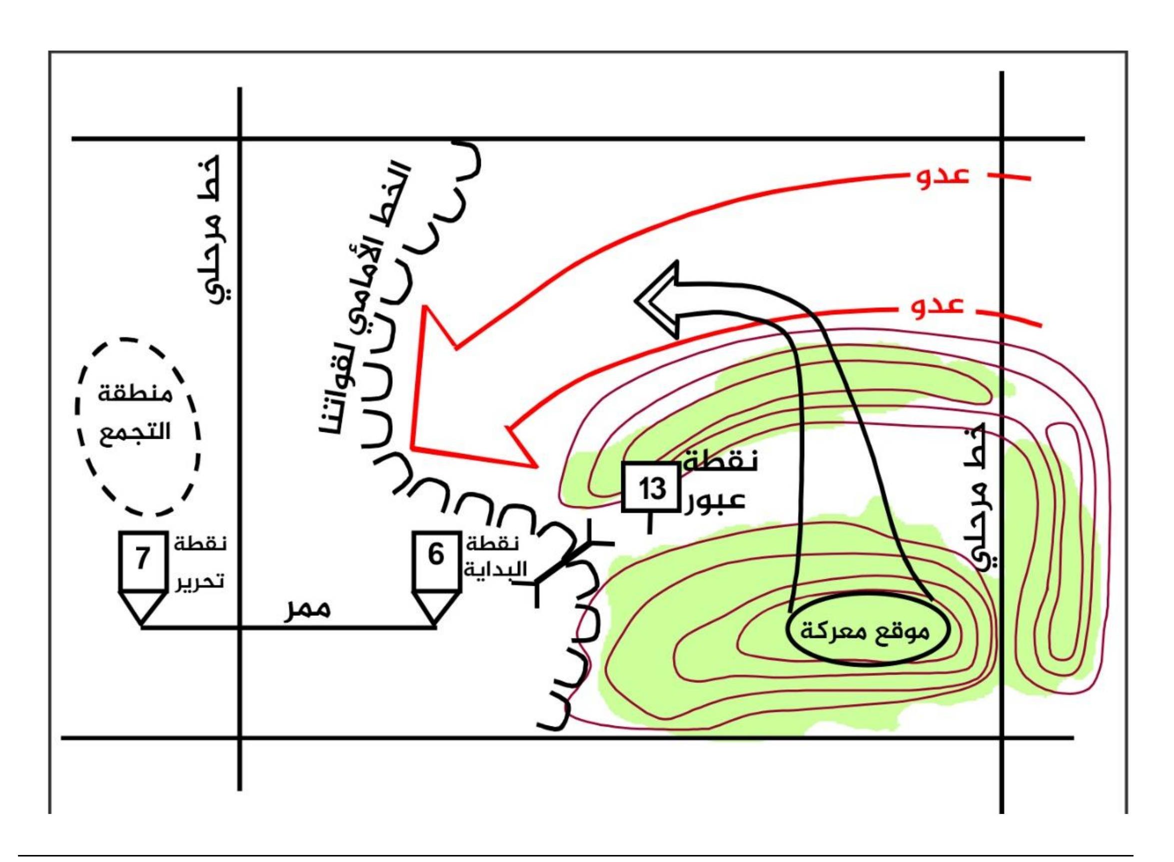
ثالثاً: عَمَلِيَّات البقاء في الخلف

عملية البقاء في الخلف هي عمليةٌ يَتْرُكُ القائدُ فيها وحدةً في موقعها للقيام بمهمةٍ محددةٍ أثناء تنفيذ ما تبقى من قواته عملية انسحابٍ أو انزواء من المنطقة.

يَجِبُ أن تتكون القوة من أعدادٍ كافيةٍ من عناصرِ قِتَالِيَّة ودعمٍ قتاليٍّ ودعمٍ خدميٍّ للمعارك لحماية قدرتها القِتَالِيَّة والحفاظ عليها طوال مدة المهمة. وقد تَنْتُج قوة البقاء في الخلف أيضاً عن أعمال العَدو الذي تجاوز القوات الصَّديقَة.

الهدف الرئيسي من قوة البقاء في الخلف هو تدمير العَدو وتعطيله وخداعه، فهذه القوة لديها مهمةٌ عالية الخطورة بسبب احتمال تحديد موقعها وتطويقها وتدميرها من قبل العَدو، كما إن عملية إعادة الإمداد وإجلاء المصابين منها صعبةٌ للغاية، لذا ينبغي على القائد أن ينظر في تعيين هَذِهِ المهمة بعد تحليلٍ شاملٍ للعوامل الست.

تقوم قوة البقاء في الخلف بمهاجمة قوات العَدو القِتَالِيَّة وعناصر التَّحَكُم والسيطرة والدَّعم القتالي والدَّعم الخدمي في المعارك من اتجاهات غير متوقعة. قد تتسبب هَذِهِ الهجمات في أن تكون القوات اللاحقة للعدو أكثر حذراً وأن تتباطأ لتطهير مواقع الهجوم والكمائن المحتملة. وقد تكون هُنَاكَ حاجةٌ إلى قيام قوة البقاء في الخلف بتنفيذ عَمَلِيَّات اختراقٍ للحصار ولحاقٍ بالقوات بعد أن تكمل مهمتها.



الشكل (29): قوات البقاء في الخلف

تقوم قوة مشاة خفيفة بقيت في الخلف بمفاجأة العَدو عن طريق شن سلسلةٍ من الغارات والكمائن، حَيْثُ يمكن إدخال هَذِهِ القوة عن طريق التسلل أو الهجوم الجوي أو الإنزال المظلي، ويمكن أن تكون أيضاً قوةً تمَّ تجاوزها من قبل العَدو.

في النهاية فإن عَمَلِيَّات البقاء في الخلف تتطلب من القوة أن تُعيدَ الدخول إلى الخطوط الصَّديقَة أو تلحقَ بعناصرٍ أخرى غالباً في أكثر من مكانٍ واحدٍ، لذا يَجِبُ على القائد أن ينسق بعنايةٍ عملية إعادة الدخول هَذِهِ لمنع الاشتباكات بين القوات الصَّديقَة، كما ينبغي أن تكون طرق العودة لقوة البقاء في الخلف هي أفضل الطرق المتاحة بحيث تكون مغطاةً نارياً ومخفيةً، وبحيث تحتوي العوائق الموجودة على طول هَذِهِ الطرق -والتي لا يمكن تجاوزها- على ممراتٍ أو فجواتٍ محميَّةٍ.

الباب الثامن: الدِّفَاعُ في الحربِ الثَّوريَّة

"لا يدافعون تحت مبدأ (حَتَّى آخر رجل وآخر طلقة) بل تحت مبدأ (أكبر خسارة للعدو)، فيرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العَدو... حَتَّى يصل إلى النقطة التي يريد الوصول إليها. هذا في الخطوة الدِّفَاعِيَّة الأولى، ثُمَّ يرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العَدو ثمناً لبقائه في المكان المنشود". (محمد صلاح الدين)

قمنا في الأبواب السابقة بتعريف الدِّفَاع بِشَكلٍ عام، ومبادئه وعوامل قوته، وأساسيات السَّيطَرَة في العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة. ورغم ربطنا لمعظم المفاهيم في الأبواب السابقة بالحرب الثَّوريَّة، ورغم تطرقنا فيها إلى نماذج واقعية من الدِّفَاع الثَّوريّ، إلا أَنَّنَا لم نخصص باباً يتحدث عن الدِّفَاع في الحروب الثَّوريَّة ومفهومه ومراحل تطوره، إذ فضلنا أولاً أن نوضح للقارئ جميع المعلومات والأدبيات اللازمة للإحاطة بالعَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة بِشَكلٍ عام، دُونَ أن نربط فيما بينها ضِمْنَ العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة في الحرب الثَّوريَّة، وهو ما دفعنا إلى كتابة هذا الباب، الذي سنحاول خلاله جمع كل الأدبيات السابقة وتنظيمها في تسلسل مترابط؛ لنوضح عن طريقه كيف تستخدمُ الحروبُ الثَّوريَّةُ مفاهيمَ وتكتيكاتِ الدِّفَاع منذ انطلاق الثَّورَة المسلحة وحتى انتصارها.

الحرب الثَّوريَّة: [1] **هي صراعٌ مسلحٌ بين طرف نظامي وآخر غير نظامي،** بحيثُ يهدف كل طرف للسيطرةِ على السكان والموارد. وغالباً ما تناضلُ معظم المجموعاتِ الثَّوريَّة لتحقيقِ

[1] نريد أن ننبه القارئ أنه رغم الخلافِ الحاصل بين الأكادميين حول الفرق بين معاني: الثَّورَة المسلحة والحرب الثَّوريَّة وحرب العصابات والتمرد، إلا أَنَّنَا لا نفرقُ بينها في هذا البحث، وهذه المصطلحات عندنا في هذا الكتاب على معنى واحد.

بعض الأهداف العامة من أجل تقويضِ شرعية الحكومةِ المَحَليَّة أو الاستعمَارِيَّة، ولدعمِ مكانتِها الخاصة عند السكان. فيسعى الثُّوار للتالي:

1. إضعافِ قدرة الحكومة المَحَليَّة أو الاستعمَارِيَّة وإزاحتِها عبر تقديمِ خدمات وحكومة بديلة للسكان، أو قد تكتفي بإظهارها مظهر العاجز.
2. الحصول على الدَّعم الشعبي من خلال تسويقِ رسالةٍ سيَاسيَّة تنطلق من مطالب الناس الحياتيَّة.
3. إسقاطِ شرعيَّة الحكومة المَحَليَّة أو الاستعمَارِيَّة من خلال التركيزِ على فسادها وظلمِها ونقاطِ الضعف فيها للحدِّ من الدَّعم الدولي الموجه لها، ومحاولةِ الحصول إن أمكن على اعترافٍ دولي أو مساعدة دولية للثوارِ.

فالثورة المسلحةُ -مبدئياً- هي تنافسُ سياسيٌ على الشرعية، ولكن لا يظهر للمراقبين إلا من خلال الجانبِ العنيف من الصراعِ لأنَّ الطرقَ السِّلميَّة قد تمَّ استنفادُها دُونَ أن تعودَ بأي حلول حقيقية. وتتسم الحربُ الثَّوريَّة بـــ:

1. نشوبِ الصراع بين دولةٍ وجيش نظامي ومجموعاتٍ شعبيَّة غير نظاميَّة.
2. قلةِ المعارك الجبهويةِ في المراحل الأولى وكثرةِ العَمَلِيَّات النوعية المستمرة التي تعتمدُ بِشَكلٍ كبير على خفة الحركة، كما تتميزُ بتكتيكاتِ حربِ العصابات التي تشمل الإغاراتِ والكمائن والاغتيالات...إلخ.
3. الاعتمادِ على الإستراتيجيات طويلةِ الأجل التي تدومُ لأكثر من عقد من الزَّمَان، والتي تشكل كلَّ الجوانب الحياتيَّة (الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة والسياسيَّة).

4. يكون الفارقُ في الحرب الثَّوريَّة بين المدنيين والثوارِ ضبابياً، ممَّا يتسبَّب غالباً في زيادة حجم الخسائرِ بين المدنيين بسببِ السياسات العنيفةِ التي تمارسُها الحكومة المَحَلِيَّة أو الاستعمَارِيَّة."[1]

ولأن الحرب الثَّوريَّة تتسم بالتغير الدائم وعدم الاستقرار، فالدفاع فيها لا يستقر على نمط واحد دائم، رغم التزامه بمعظم المبادئ والعوامل الإستراتيجيَّة التي سبق ذكرها في الأبواب السابقة. لذلك، ولمزيد من الإيضاح والتفصيل لمفهوم الدِّفَاع من المنظور الثَّوريّ، سنقوم بتقسيم هذا الباب إلى فصلين أساسيين:

- **الفصل الأول: تحديد المراحل التي تمر بها الحرب الثَّوريَّةُ عادةً.**
- **الفصل الثاني: طبيعة الدِّفَاع في كل مرحلة منها.**

[1] الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب.

الفصل الأول: مراحل الحرب الثَّوريَّة[1]

يتفقُ أغلبُ من كتب في هذا العلم أنَّ الحرب الثَّوريَّة ليست دائِمًا على طابعٍ واحدٍ، وقد قسمَها ماو إلى ثلاثة مراحل زمنية متباينة، لكلِّ واحدةٍ منها ما يميزُها من التكتيكات والإستراتيجيات.

ففي **المرحلة الأولى "الدِّفَاع الإستراتيجي"**، عندما تكون قواتُ العَدو تمتعُ بتفوقٍ كبير في الأعداد والقوة العَسكَرِيَّة، يَجِبُ على الثُّوار التَّركيزُ على بناء رؤيتِهم وأجهزتهم السِّياسية، وتأمين الدَّعم من القوى الخَارجيَّة، وترتيبُ هيكليتهم القياديَّة، وتدريبُ مجموعة من المجندين سيمثلون فيما بعد القاعدةَ الصلبة للانطلاق.

وفي **المرحلة الثانية، التي أطلق عليها ماو "التعادل (التوازن) الإستراتيجي"**، يَجِبُ أن ينتقلَ الثُّوار إلى إستراتيجية حربِ العصابات، مع التَّركيز على هجمات الكرِّ والفرّ. وكما كتب ماو: "سوف نتخذ في هَذِهِ المرحلةِ حرب العصابات كشكلٍ رئيسي للقتال، ونكمِّلها بالحرب المتحركة... وهذه المرحلة سوفَ تتحدَّد مدَّتها تبعاً لما يمكن أنْ يحدث من تغيُّرات في نِسَبِ القوى بين العَدو وبيننا، وفي الوضع العالمي."

أمَّا في **المرحلة الثالثة "الحسمُ الإستراتيجي"**، فينبغي على الثُّوار التركيزُ على العَمَلِيَّات الهجوميةِ والتقليدية مع زيادةِ قوتِهِم العَسكَرِيَّة.[2]

ولكن بالعودة إلى العديد من المراجع العلميَّة حول هذا الصدد، يمكن القول أن الحرب الثَّوريَّة تتضمن أكثر من ثلاث مراحل:

---

[1] انظر مركز الخطابي، كتاب الخطابي ملهم الثَّورات المسلحة، طبعة أولى، ص 142.

[2] ماوتسي تونغ: ست مقالات عسكرية، من مقالته حول الحرب طويلة الأمد.

فهناك **المرحلةُ الأولى التحضيرية**، وهي التي ينتظر فيها الثُّوار تحققَ النضوج الثَّوريّ،[1] ويستثمرونَها لفضح الحكومة الفاسدة أو الدكتاتوريَّة وإعداد قاعدة الانطلاق.

أمَّا الثانية فهي مرحلةُ الانفجار الثَّوريّ والمعارضة السِّلميَّة، وفيها يحدث أمر ما يؤثّر في الجماهيرِ -قد يكون جريمة تمارسُها الحكومة أو القوات الأجنبيَّة- فينطلق الثُّوار في نشاطهم السِّلميّ، وينُظِّمون خلالها العديد من المسيرات والمظاهرات والإضرابات الحاشدة التي تنادي الحكومة بضرورةِ التغيير الجذري.



الشكل (30): نموذج عن المراحل الزمنية التي تمر بها الثَّورَة المسلحة[2]

[1] يتحقق النضج الثَّوريّ عندما تصل الشعوب إلى مرحلة تقتنع فيها بضرورة تغيير السلطة القائمة، لما ترسّخ في أذهان الناس من صورة سلبية عنها، بسبب قمعها للحريات، وفسادها الأخلاقي، ونهبها لثروات الشعب. عادة ما تكون الشعوب أول عهدها تحسن الظن بالحكومات المحَلِيَّة أو الاستعمَارِيَّة، خَاصَةً إن كَانَت هَذِهِ الحكومات تستخدم دعاية كبيرة لإخفاء حقيقة سياستها الدِّيكتَاتوريَّة، أو كَانَت تقدم للشعب إصلاحات اقتصادية ضخمة. وهذا ما قد يجعل انتقال الشعب من مرحلة الاقتناع بشرعية الحكومة إلى مرحلة الاقتناع بضرورة إسقاطها أمراً صعباً للغاية ومستهلكاً للوقت، ويحتاج جهداً دعائياً كبيراً من قبل المؤسسات الثَّوريَّة، الإعلامية والسياسية.

[2] من المهم أن نذكر القارئ أن تطبيق هَذِهِ المراحل في الثَّورات المسلحة لا يعد أمراً حتمياً، فقد تتوفر بعض العوامل والظروف، التي تعجل بسقوط الحكومة قبل حَتَّى المرحلة النِّظَامِيَّة، كما حدث مع كاسترو في كوبا.

ومع رفضِ الحكومة لكل هَذِهِ المطالب أو بعضها، ينتقل الثُّوار مع الكُتل الشعبيةِ التي تتأثر بهم إلى **المرحلة الثالثة، وهي "الصدام السِّريّ المسلح"**، وفيها يبدأُ الثُّوار بتنفيذِ عَمَلِيَّات الإغارة والكمائنِ والاغتيالات ضدَّ المراكز والحواجز والأرتال الحكومية في المناطق النائية والمدن الكبرى، ويبدؤون بتخريبِ البنية التحتية التي تعتمدُ عليها القوات الحكومية.

ثُمَّ مع الوقت تجدُ القوات الحكومية أو الاستعمَارِيَّة نفسَها مجبرة على الانسحاب عن المناطق النائية والريفية، لتقوم بتأمينِ المراكز والمدن والطرق الرَّئِيسيَّة. ومع انسحابِها عن تلك المناطق، ومع ظهورِ المناطق المحررة، تبدأ **المرحلةُ الرابعة، وهي "مرحلة الصدام المسلح الجبهوي"**، أو ما يسميه ماو مرحلةَ التوازن الإستراتيجي.

الجدير بالذكر أن تسميتنا لهذه المرحلة بمرحلة الصدام الجبهوي، لا يعني أن الثُّوار ينتقلون فيها إلى شن هجوماتٍ نظامية كالتي تقوم بها الجيوش. في الحقيقة حَتَّى في هَذِهِ المرحلة يحافظ الثُّوار على استخدام الهجوماتِ والدفاعات النوعية كما سيتضح معنا في المبحث الثاني.

وبعد زمنٍ طويل على هَذِهِ الحال، تصلُ الحكومة إلى مرحلةٍ متقدمة من الضعف ولم يكن قد بقيَ معها غيرُ بعضِ المدن الرَّئِيسيَّة، التي تكون أحياناً قد دخلت مسبقاً في حصارٍ من قبل الثُّوار. هنا يقرِّر الثُّوار الدخولَ **في المرحلة الخامسة، وهي "مرحلةُ الحسم النِّظاميّ"**، أو ما يسميها ماو "الحسم الإستراتيجي"، وفيها يشكلُ الثُّوار جيوشَهم وأسلحتَهم كما تفعلُ الجيوش النِّظَاميَّة، ويبدؤون بشنِّ معارك اجتياحٍ شاملٍ ضدَّ المراكز التي بقيت بيدِ الحكومة، محررين واحدة تلو الأخرى وصولاً إلى العاصمة. وفي هَذِهِ المرحلة يقول عبد الحارث ناسوتيون[1]- المفكّر والجنرال الإندونيسي المرموق - إنَّ "النَّصر النِّهَائِيّ يَجِبُ أَنْ

وقد تتوفر أيضاً بعض الظُّروف الأخرى التي تجعل الثُّوار يتوقفون في المرحلة الثانية أو الثالثة، ويقبلون بحلٍ وسط كما حدث في إيرلندا وقبرص.

[1] عبد الحارث ناسوتيون هو قائدٌ عسكري إندونيسي، ولد عام 1919م، ودرس في الأكاديمية العَسكَرِيَّة الملكية الهولندية وأصبح ضابطاً في جيش الهند الشرقية الهولندية عام 1941م، واشترك في الثَّورَة المسلحة ضد قوات

يتحقق على يد جيشٍ نظاميٍ في حرب تقليديَّة، لأنَّ مثل هذا الجيش فقط هو الذي يستطيعُ إخضاعَ العَدو وشنَّ الهجوم عليه".[1]

الفصل الثاني: تطور الدِّفَاع في الحرب الثَّوريَّة

يمكن القول أن الحالة النهائية التي سيكون عليها الدِّفَاع في الحرب الثَّوريَّة هي الدِّفَاع النِّظاميّ، حَيْثُ من الطبيعي أن تصبح القوات الثَّوريَّة بمثابة الجيش النِّظاميّ بعد انتهاء الحرب وإسقاط الحكومة القديمة أو طرد الاحتلال. لذا، فإن الثُّوار بِشَكلٍ عام، ينظرون إلى الحالة الدِّفَاعِيّة في الحرب النِّظَامية ويطبقون من مبادئها وعوامل قوتها وأساسياتها العملياتية ما يناسب حجم قوتهم وواقعهم المتغير، وفيما يلي شرحٌ مبسطٌ عن تطور العَمَليَّة الدِّفَاعِيَّة الثَّوريَّة مع تطور مراحل الحرب:

الدِّفَاع في المرحلة الأولى "التَّحضير لقاعدة الانطلاق":

الدِّفَاع في هَذِهِ المرحلة سلبي للغاية ويخلوا من أي طابع عسكري، إذ تكون المجموعات الثَّوريَّة في هَذِهِ المرحلة لم تنطلق بعد في العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة، بل يقتصر جهدها على تجهيز كوادرها وتدريبهم وإقامة العلاقات اللازمة للحصول على الدَّعم وممارسة الأعمال الدعائيَّة والسِّيَاسيَّة لتسويق المشروع الثَّوريّ وصناعة النضوج الثَّوريّ في صفوف الطبقات الشعبية. إذاً فالدفاع في هَذِهِ المرحلة يشمل الوظائف التالية:

1. الحصول على ملاذات آمنة في الدول المجاورة أو في التَّضَارِيس الوعرة لتأمين عملية تدريب الكوادر الثَّوريَّة على مختلف العلوم وممارسة الدعاية الإعلامية والسياسية.

الاستعمار الهولندية. تولّى رئاسة أركان الجيش الإندونيسي بعد نيل إندونيسيا الاستقلال عام 1949م. توفي عام 2000م.

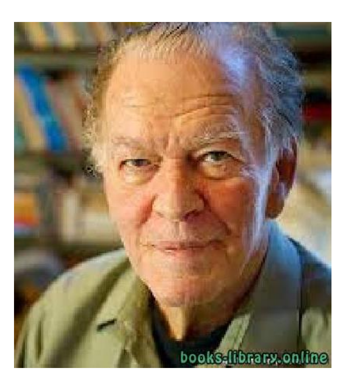
[1] Abdul Haris Nasution, Fundamentals of Guerrilla Warfare (New York: Praeger, 1965), p. 17.

2. حماية هَذِهِ الملاذات والكوادر الثَّوريَّة من عَمَلِيَّات الاختراق أو الاغتيال أو التخريب التي قد تشنها الحكومة المعادية، وهذا يشمل جهوداً أمنية.
3. الرَّد على الدعاية السلبية للعدو التي يهدف من خلالها إلى تشويه المعارضة، وتفنيد الشبهات التي يلقيها حول نزاهة أو جدوى الثَّورَة.

والخلاصة أن الدِّفَاع في هَذِهِ المرحلة لا يتضمن سوى الدِّفَاع عن كوادر الثُّوار ومكتسباتهم وملاذاتهم وسمعتهم، ولا يشمل أي نوع من الدِّفَاع عن الأرض أو السكان، كما لا يشتمل على أي نوع من العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة.

الدِّفَاع في المرحلة الثانية "الانفجار الثَّوري والحراك السِّلمي":

تخلو هَذِهِ المرحلة أيضاً من أي عَمَلِيَّات عسكرية، فالنشاط الثَّوريّ فيها سياسي وإعلامي بامتياز، والعمليات الثَّوريَّة فيها لا تخرج عن الطابع السِّلميّ، حَيْثُ تشمل التكتيكات المستخدمة في هَذِهِ المرحلة مجموعةً واسعةً من النَّشاطَات "اللاعنفية" مثل: المظاهرات والاعتصامات والاضطرابات والشعارات والبيانات الشعبية والمؤتمرات...إلخ. لكن لا يعني هذا أن الثُّوار لا يحتاجون إلى الدِّفَاع في هَذِهِ المرحلة، بل هم أحوج فيها إلى الدِّفَاع من غيرها بحكم أنهم الآن يواجهون قوات أمنية أو عسكرية مسلحة بصدور عارية. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي أساليبهم الدِّفَاعِيَّة إن لم تكن السِّلَاح والحرب؟



الحقيقة لا يمكن الحديث عن العمل السِّلميّ دُونَ العودة إلى المفكر "جين شارب" منظر الثَّورات السِّلميَّة، فقد أكد في كتابه "من الدكتاتورية إلى الديمقراطية" في أكثر من موضع أن أكثر شيء يحمي الثُّوار أو بالأحرى **يُدافعُ** عنهم هو إصرارهم على السِّلميَّة وعلى عدم استعمال العنف. وهنا تكمن المفارقة، إذ يعتقد جين شارب أن الحكومات والأنظمة الدكتاتورية تستمد شرعية ممارستها القمعية من النَّشاطَات الثَّوريَّة العنفية، وتظهر نفسها أمام الرأي العام

الداخلي والخارجي بأنها تواجه مجموعة من المفسدين والإرهابيين الذين يهددون أمن السكان والبلاد، وبهذا تعزِلُ الثُّوارَ عن الشعب، وتتمكن من القضاء عليهم.

"يعتبر الانضباط اللاعنيف أمراً بغاية الأهمية، حَيْثُ سترتد ممارسات النظام الحاكم الوحشية ضد الأشخاص الذين يمارسون النضال اللاعنيف عليه، وستؤدي إلى تنازع في صفوفه، وإلى حصول المقاومين على دعم كبير من الناس عامة، والذين هم عادة مؤيدون للنظام، وإلى حصول المقاومين على دعم من أطراف أخرى."[1] (جين شارب)

انطلاقاً مما سبق، فإن الأنشطة الثَّوريَّة في المرحلة الثانية من الحرب لن تخرج عن نشاطات الاحتجاج السِّلميّ والعمليات الإعلامية والسياسية، هذا حَتَّى مع احتمال استعمال القوات الحكومية للعنف. إذاً فالدفاع في هَذِهِ المرحلة سيتسم بـ :

1. الاستمرار في تنفيذ الوظائف الدِّفَاعِيَّة التي بدأت في المرحلة الأولى والمتمثلة في تأمين كوادر الثُّوار ومكتسباتهم وملاذاتهم وسمعتهم.
2. تأسيس جهاز أمني داخل البلاد وظيفته تنظيم الاحتجاجات وتأمينها، واستطلاع تَحَرُّكَات قوات الحكومة وتحذير الثُّوار من أي عَمَلِيَّات متوقعة للعدو.
3. الأخذ بمبادئ العمل الأمني والسري مثل: الغطاء واليقظة والتخفي والكتمان...إلخ.
4. الحفاظ على طبيعة العمل السِّلميّ وعدم الانجرار إلى استفزازات العَدو التي تريد منا استعمال العنف في غير وقته.

والخلاصة أن الدِّفَاع في هَذِهِ المرحلة أيضاً يخلو من أي نشاط مسلح، وهو مقتصر على مجموعةٍ من النَّشاطَاتِ الأمنيَّة التي تهدف إلى تأمين الثُّوار وإخفاء خططهم وحماية مكتسباتهم وقيادة نشاطاتهم الاحتجاجية بِشَكلٍ سليم.

---

[1] جين شارب، من الدكتاتورية إلى الديمقراطية إطار تصوري للتحرر، ترجمة خالد دار عمر، ص 31.

الدِّفَاع في المرحلة الثالثة "الصدام المسلح السِّريّ":

مع استمرار القمع والاضطهاد من قبل الحكومة، وفشل الاحتجاجات في تفكيك النظام القديم وإسقاطه، تصبح القناعة الرائجة بين أفراد الشعب أن العمل السِّلمِيّ لن يوصلهم إلى تحقيق مطالبهم الثَّوريَّة. وهنا يَجِبُ ألا ينقلب هذا الشعور إلى يأس وإحباط يقود الناس نحو إيقاف الثَّورَة، بل على العكس تماماً، يَجِبُ على النُّخبِ الثَّوريَّة أن تقود هذا الشعب إلى مرحلة جديدة من الحراك الثَّوريّ، وهو الحراك المسلح، فما لم يؤخذ بالسلام يؤخذ بالعنف، والحقوق التي لا تسترد بالاحتجاج يَجِبُ أن تنتزع انتزاعاً بالسلاح.

أطلق ماو سي تونغ على هَذِهِ المرحلة اسم الدِّفَاع الإستراتيجي ، "إلا أن تكتيك الحرب فيها هجومي، يُمَارَسُ فيها كل أشكال الهجوم عدا المواجهات، والعَمَلِيَّةُ الدِّفَاعِيَّةُ فيها سلبيةٌ تماماً، إذ لا يوجد لدى العصابات ما تدافع عنه إلا الفرد المقاتل نفسه، والمطلوب منه البقاء على قيد الحياة، ويتحقق ذَلِكَ بالتَّمَلُّص والذوبان، التَّمَلُّص من العَدو والذوبان في المجتمع، ولا يدخلون في معارك لم يبدؤها، والتي يبدؤها يَجِبُ أن تكون سريعة وحاسمة سرعان ما يتسللوا منها، ويتركون الأرض مقابل الوقت، ليس لهم مقر ثابت يرجعون إليه، وذلك سواء في كل الميادين (المدن، المناطق الوعرة)، فالعصابات لا تتخذ قاعدة ثابتة، إلا في أرض الحلفاء إذا كَانَ الجيش لا يجرؤ على عبور الحدود للاشتباك معها".[1]

من الوسائل التي تحمي الثُّوار من الإبادة في هَذِهِ المرحلة هو انتقالهم نحو التسلُّح في التوقيت المناسب، لأنَّ حمل السِّلَاح قبل أوانه كما سبق وتحدثنا، سيكون سبباً في إضفاء الشرعيَّة على ممارسات قوات العَدو، وسيجعلُ الناسَ ينظرون إلى الثُّوار كأنهم سبب البلاء وسبب القمع. لذا فإن الانتقال نحو العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة يَجِبُ أن يكون بعد أن يُثبِتَ الزَّمَنُ فشل الوسائل السِّلميَّة وعدم جدواها في تحقيق أي تغيير واقتناع السكان المحللين بذلك.

[1] محمد صلاح الدين/عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سيَاسيَّة وعسكرية (الجزء الثالث) حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ ، ص 135.

إِضَافَةً إلى هذا، من أهم المبادئ الدِّفَاعِيَّة في هَذِهِ المرحلة هو الاستمرار بالهجوم السِّلمِيّ من خلال الاحتجاجات، أي أن الانتقال نحو الأعمال العَسكَرِيَّة يَجِبُ ألا يشمل كل قطاعات الثَّورَة، بل ينبغي على القيادة تأسيس جناح عسكري لا علاقة لَهُ بالجناح السياسي في الظاهر، مع الإبقاء على النَّشاطِ السِّلمِيّ الذي يعطل قطاعات الحكومة ويشلُّ نشاطها الاقتصادي ويشغل قواتها الأمنية ويشتت جهودها العَسكَرِيَّة، لأنَّ إيقاف النَّشاطِ السِّلمِيّ سيعني تفرغ العَدو بكل طاقته لمواجهة العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة.

وفي هَذِهِ المرحلة، يبدأ الثُّوار باستثمار مجموعة من المبادئ والعوامل الدِّفَاعِيَّة (تمَّ شرح مبادئ والعوامل الدِّفَاعِيَّة في الباب الثاني والثالث)، ولكن ليس كل المبادئ والعوامل التي يتمّ استخدامها في الحرب النِّظَامِيَّة. وعلى سبيل المثال لا يطبق الثُّوار في هَذِهِ المرحلة مبدأ الإسناد المتبادل والدفاع من كافة الجهات والهجوم المضاد، وذلك لأنهم في هَذِهِ المرحلة لا يَجِبُ أن يدافعوا عن الأرض أو عن السكان، بل كل ما يتوجب عليهم هو الدِّفَاع عن أنفسهم فقط، لأنَّ ثباتهم على الأرض أو استماتهم في الدِّفَاع عن السكان ستعني تدميرهم مع حاضنتهم على يد القوة الغاشمة للعدو التي تفوقهم على مستوى العدد والعُدَّة بِشَكلٍ لا يقارنُ.

"الشيء الجوهري بالنسبة للثائر، في الطَّور الأول هو أنْ لا يدع نفسه تُباد"[1]. إرنستو "تشي" غيفارا[2]

رغم ذَلِكَ، يركز الثُّوار في هَذِهِ المرحلة على استخدام مبدأ التَّأمين لإخفاء وتمويه مواقعهم وتحركاتهم، ومبدأيْ الحركة والمباغتة وعامليْ التَّمَلُّص والانتشار لتعويض التفوق العددي والناري الذي يحظى به العَدو، وعامليْ الأرض والعمق لإفقاد العَدو قدرته الهجومية...إلخ.

[1] سيث جونز، نشوب الثَّورَة المسلحة من الفيت كونغ وصولاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2020، ص 40.

[2] تشي غيفارا: ثوري كوبي ماركسي أرجينتينيُّ المولد، وهو طبيب وكاتب وزعيم حرب العصابات وقائد عسكري ورجل دولة عالمي وشخصية رئيسة في الثَّورَة الكوبية. أصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وشارة عالمية ضِمْنَ الثقافة الشعبية.

والخلاصة أن الاعتبارات التي ستحقق دفاعاً فعَّالاً للثوارِ في هَذِهِ المرحلة هي:

1. اختيار الوقت الصحيح للانتقال نحو العمل المسلح، وهو الذي تكون فيه النَّشاطَات السِّلميَّة قد أثبتت للشعب عدم جدواها لتحقيق مطالبهم.
2. الاستمرار بالهجوم على الحكومة باستخدام الوسائل السِّلميَّة، لتشتيت جهودها وإرباكها، ولكي لا تتفرغ بكل طاقتها لقمع الحراك المسلح.
3. تأمين العناصر الثَّوريَّة من خلال استخدام الشعب أو التَّضَارِيس الوعرة كغطاء، ومن خلال الانتشار على بقعة واسعة من البلاد.
4. التَّمَلُّص الدائم من أي مواجهات حاسمة، واستخدام العمق الجغرافي والتَّضَارِيس الوعرة لإفقاد الحملات الهجومية المعادية جدواها.
5. الاستمرار في الهجوم والحركة السَّرِيعَة والمباغتة لإبقاء العَدو في موضع رد الفعل.
6. الأخذ بمبادئ العمل الأمني والسري مثل: الغطاء واليقظة والتخفي والكتمان...إلخ.

الدِّفَاع في المرحلة الرابعة "الصدام المسلح الجبهوي":

نقطة التحول من المرحلة الثالثة "الصدام المسلح السِّريّ" إلى المرحلة الرابعة "الصدام المسلح الجبهوي" هي: تلك الفترة الزمنية التي يبدأ فيها جيش العَدو تحت وطأة ضربات العصابات بالتخلي عن الهجوم الإستراتيجي ، وترك حصار قوات الثُّوار في الأراضي الوعرة أو الأطراف، ليعمل على تأمين المدن الهامة والأماكن الحسَّاسة والطرق الرَّئيسيَّة في البلاد. عند هَذِهِ النقطة ينتقل العمل العَسكرِيّ للمرحلة التالية من الحرب.[1]

مع الانتقال إلى المرحلة الرابعة، **أول خطوة دِفَاعِيَّة للثوارِ هي الاستمرار بالهجوم السِّلميّ والسري؛** أي **يَجِبُ ألا يتوقفَ العملُ بالوسائل السِّلميَّة من خلال جناح مستقل لا علاقة لَهُ في الظاهر بأي كِيان عسكري، كما ينبغي أيضاً أن تستمر العَمَلِيَّات العَسكَرِيَّة السِّرية في مناطق سيطرة العَدو.** وذلك لأنَّ استمرار النَّشاطِ السِّلميّ والمسلح السِّريّ يعني أن العَدو سيبقى منشغلاً بها، وستبقى العديد من قواته وجهوده مشتتة ومبعثرة، بينما سيكون إيقاف هَذِهِ الأعمال سبباً في تفرغ الحكومة بكل طاقتها لِشَنّ الحملات الهجومية نحو المناطق المحررة حديثاً.

في هَذِهِ المرحلة، تصبح العديد من المناطق تحت إدارة الثُّوار، وتصبح هَذِهِ الإدارة مسؤولة عن العديد من المهام الأمنية والخدمية والحكومية، لكن طبعاً حسب قدرتها والإمكانات المتوفرة لها. وبهذا تتطور التشكيلات الثَّوريَّة ويزدادُ تعدادُها وكفاءتُها ويتضخم تسليحها، وتحول من نمط غير نظامي بِشَكلٍ كامل إلى نمط شبه نظامي، مع التنبيه أنها حَتَّى الآن لم تصبح قوة نظامية. كما يصبح من مسؤولية القوات الثَّوريَّة في هَذِهِ المرحلة؛ الدِّفَاع في الجبهات التي بين مناطق سيطرتها ومناطق سيطرة الحكومة، وصد أي حملات عسكرية متوقعة من قبل العَدو، ولكن هذا الدِّفَاع لن يكون ثابتاً بل سيكون بتكتيكات نوعية

---

[1] انظر: محمد صلاح الدين/عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سياَسيَّة وعسكرية (الجزء الثالث حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ ، ص 131.

تعتمد على الدِّفَاع المتحرك والدفاع التقهقري. (تمَّ شرح الدِّفَاع الثَّابِت والمتحرك والتقهقري بِشَكلٍ مفصل في الباب الخامس والسَّادس والسَّابع).

من أهم المحذورات التي ينبغي الاحتياط منها هو تسرع الثُّوار في الانتقال إلى تكتكيات الحرب النِّظَامِيَّة؛ "مثلاً في اليونان، أنشأ الجيش الدِّيمقراطي اليوناني ألويةً وفرقاً أواخر عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين ، للقتال ضدَّ الحكومة اليونانية وانخرط في حرب مواقعٍ للدِّفاع عن مناطقه التي يسيطر عليها. فقد قام ببناء جيشٍ بلغ وقت ذروته خمسة وعشرون ألف جندياً، وكان هذا الجيش مزوداً بمدافع مضادَّة للطَّائرات ومدافع مضادَّة للدَّبابات ومدافع هاون ثقيلة ومنصاتٍ لإطلاق الصَّواريخ. ولدعم الجيش التَّقليدي المتنامي، تطلبت فرق المتمردين اليونانية قواعد لوجستية وخطوط اتصالٍ وجميع وسائل الدَّعم الأخرى الضَّرورية للجيش التقليدي. إلا أنَّه لسوء الحظ بالنِّسبة للمتمردين اليونانيين، فقد جاء قرار التَّحول إلى الإستراتيجية التَّقلِيدِيَّة في وقتٍ غير سليم وهُزموا على إثرها هزيمةً منكرة. وكما صرح الملك بول -الذي تولى العرش اليوناني في عام 1947- قائلاً: "لقد أخطأ قُطَّاع الطرق، فقد تحولوا إلى الأسلوب النِّظاميّ من الحروب، وبوحداتٍ كبيرة، وعندها وقعوا في شرِّ أعمالهم. قبل ذَلِكَ، كنَّا إذا وجَّهنا إليهم ضربةً يتبخرون في الهواء، ثُمَّ يعودون مرةً أخرى ويهاجمون إحدى القرى للحصول على الطعام."[1]

ولأن الثُّوار قد أصبحوا الآن مكلفين بقيادة جبهات عسكرية مفتوحة، أصبح لزاماً عليهم العمل بمبادئ وعوامل الدِّفَاع جميعها، كما أصبح من واجبهم استخدام إجراءات السَّيطَرَة الدِّفَاعِيَّة التي سبق ذكرها بالتفصيل في الباب الرابع، والتي تشمل تحديد منطقة العَمَلِيَّات الرَّئِيسيَّة ومنطقة التَّأمين، ورسمَ الخطوط المَرحَلِيَّة سواء الحد الأمامي لمنطقة العَمَلِيَّات أو خط تسليم المعركة، وتحديد مواقع المعركة الأساسية والبديلة والملحقة التي ستتمركز فيها القوات الدِّفَاعِيَّة. لكن يجدر التنبيه أن استخدام المبادئ والعوامل وإجراءات السَّيطَرَة

[1] سيث جونز، نشوب الثَّورَة المسلحة من الفيت كونغ وصولاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2020، ص 94.

يخضع بِشَكلٍ أساسي أولاً: لمدى قوة الثُّوار مقارنةً مع قوة العَدو، وثانياً: للهدف الإستراتيجي من الدِّفَاع في المرحلة الرابعة من الحرب الثَّوريَّة وهو "الدِّفَاع ليس لآخر رجل، وإنما لأكبر خسارة للعدو وأقل خسارة للثوارِ".

في هذا الصدد يقول محمد صلاح الدين: "خطط الدِّفَاع بِشَكلٍ عام... لا توضع على اعتبار منع العَدو من الوصول إلى المناطق التي يريد، ولكن على اعتبار جعل وصوله إليها باهظَ التَّكلفةِ واستنزافياً بكل ما في الكلمة من معنى. فلا يدافعون تحت مبدأ (حَتَّى آخر رجل وآخر طلقة) بل تحت مبدأ (أكبر خسارة للعدو) فيرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العَدو من أرواح جنوده ومعداته العَسكَرِيَّة حَتَّى يصل إلى النقطة التي يريد الوصول إليها. هذا في الخطوة الدِّفَاعِيَّة الأولى، ثُمَّ يرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العَدو ثمناً لبقائه في المكان المنشود".[1]

والخلاصة أن الاعتبارات التي ستحقق دفاعاً فعَّالاً للثوارِ في هَذِهِ المرحلة هي:

1. اختيار الوقت الصحيح للانتقال نحو العمل في جبهات مفتوحة، وهو الذي تنسحب فيه القوات الحكومية لوحدها من المناطق النائية لحماية المدن والطرق الرَّئِيسيَّة.
2. الاستمرار بالهجوم على الحكومة باستخدام الوسائل السِّلميَّة والحراك المسلح السِّريّ، لتشتيت جهودها وإرباكها، ولكي لا تتفرغ بكل طاقتها لتوجيه حملات هُجُومِيَّة نحو المناطق المحررة.
3. الاعتماد بِشَكلٍ أساسي على عوامل القوة: الأرض والعمق والانتشار والاستمراريَّة والاستخبارات والتملص، وذلك لمعاوضة الفارق العددي والناريّ بين العَدو والثُّوارِ.

[1] محمد صلاح الدين عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سيَاسيَّة وعسكرية (الجزء الثالث) حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ ، ص 182.

4. تطبيق مبادئ الدِّفَاع: التَّأمِين والإسناد المتبادل والدفاع من كافة الجهات والمرونة والهجوم المضاد والتحضير المسبق للخطط الدِّفَاعِيَّة والإعاقة والمباغتة، ولكن بما يتناسب مع مدى قوة الثُّوار، وما يتناسب مع هدفهم الإستراتيجي المتمثل في استنزاف العَدو وليس السَّيطَرَة على الأرض.
5. الاعتماد بِشَكلٍ أساسي على الدِّفَاع المتحرك والتقهقري والقتال التراجعي، أمَّا الدِّفَاع الثَّابِت فهو نادر الاستخدام في المرحلة الرابعة من الحرب الثَّوريَّة، إلا في الحالات التي يخدم فيها الأهداف الإستراتيجيَّة للثوارِ.

الدِّفَاع في المرحلة الخامسة "الحسم النِّظامي":

في هَذِهِ المرحلة، تبدأ العصابات بتنظيم قواتها إلى وحدات كبيرة بغية الهجوم الحاسم على العاصمة والمدن الكبرى التي بقيت بيد العَدو. ففي المرحلة السابقة تمكن الثُّوار من الحصول على غنائم ودعم من الحلفاء وفَّر لهم الإمكانات التي يحظى بها الجيش النِّظاميّ، ولم يعد أمامهم الآن إلا أن يقوموا بالدَّفْعَةِ الأخيرة لجيش العَدو ليسقط النظام، أو يفِرَّ مسؤولو الحكومة ليستسلم الجيش، فيدخل الثُّوار العاصمة، وينتقلون بذلك إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الدولة.[1]

يقول سيث جونز في كتابه نشوب الثَّورَة المسلحة: "تتضمَّن الإستراتيجية التَّقليديَّة استخدام قوات الثُّوار لتدمير القوات المسلحة الحكومية أو أسرها، ومن ثُمَّ السَّيطَرَة على مقدَّرات الحكومة مِنَ السُّكان أو الأراضي أو المدن أو المراكز الصناعية وعُقد الموصلات الحيوية. الهدف هو كسب الحرب في مواجهةٍ حاسمة أو سلسلةٍ من المعارك تُدمِّر القدرات المادية للخصم التي تمكنه من المقاومة... خلافاً لإستراتيجية حرب العصابات، تُركِّز الإستراتيجية التَّقليديَّة على هزيمة قوات الأمن الحكومية، بدلاً من محاولة كسب السُّكان المحليين. والهدف العَسكرِيّ الرئيسي منها هو تدمير القوات الرَّئيسيَّة للحكومة، بينما يكون الهدف السِّياسي الرئيسي هو إسقاط السُّلطات الحاكمة. في الحروب التَّقليديَّة تكون المواجهة العَسكَرِيَّة مباشِرة، إمَّا عبر خطوط الجبهات واضحةِ المعالم أو على نحو أرتالٍ مسلحةٍ تشتبك فيما بينها. غالباً ما تتخذ الاشتباكات شكل سلسلةٍ من المعارك، وحروب الخنادق، وحصار البلدات والمدن".[2]

---

[1] محمد صلاح الدين/عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سيَاسيَّة وعسكرية (الجزء الثالث) حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ ، ص 146.

[2] سيث جونز، نشوب الثَّورَة المسلحة من الفيت كونغ وصولاً إلى تنظيم الدولة الإسلامية، ترجمة مركز الخطابي للدراسات، 2020، ص 92.

إذاً، فالطابع المميز لهذه المرحلة هو الهجوم النِّظاميّ من قبل الثُّوار على ما تبقى من مدن أساسية بيد الحكومة، ونادراً ما يلجأ الثُّوار في هَذِهِ المرحلة للدفاع، لأنَّ القوات الحكومية ستكون قد بلغت مستوى من الضعف لن يمكنها من شن حملات هُجُومِيَّة. لكن بالعموم يزداد اقتراب التَّشكِيل الثَّوريّ في هَذِهِ المرحلة من تشكيل الجيوش، بل تصبح فعلاً جيوشاً نظامية، وبالتالي فإن التزامها بمبادئ وعوامل الدِّفَاع التقليدي سيصبح أكثر وضوحاً، كما أنها ستضطر إلى تطبيق إجراءات السَّيطَرَة التي تعتمدُها الجيوشُ النِّظَاميَّةُ.

الخاتمة:

يمكننا القول أنه لا فرق بين الحروب الثَّوريَّة والحروب التَّقليديَّة في مبادئ الدِّفَاع وعوامل قوته، ولكن أهمية كل عامل ومبدأ في الحرب الثَّوريَّة تنطلق من طبيعة المرحلة التي وصلت لها الثَّورَة، حَيْثُ تعتمد الثَّورَة عند انطلاقها على مبادئ: التَّأمين والمباغتة والمرونة والإعاقة، وعلى عوامل: الأرض والعمق والتملص والانتشار والاستمرارية. لكنها مع تطور الزَّمَن ومع ارتقاء قوة الثُّوار، تصبح معتمدة أكثر على بقية المبادئ والعوامل (مثل الهجوم المضاد والإسناد المتبادل).



الشكل (31): مبادئ الدِّفَاع في الحروب

أمَّا من حَيْثُ استخدام التكتيكات الدِّفَاعِيَّة وإجراءات السَّيطَرَة، فالحرب الثَّوريَّة تعتمد أول أمرها على الدِّفَاع المتحرك والدفاع التراجعي بِشَكلٍ أساسي ولا تستخدم الدِّفَاع الثَّابِت إلا في مراحل متأخرة من الحرب.

ومن حَيْثُ إجراءات السَّيطَرَة فإن استخدامها ضروري في الثَّورَة مع بداية تحرر المناطق وظهور الجبهات الدِّفَاعِيَّة، وذلك لتحديد مناطق العَمَلِيَّات وتأمينها ورسم المواقع الدِّفَاعِيَّة والخطوط المَرحَلِيَّة فيها، إلا أن الثُّوار قد لا يلتزمون بإجراءات السَّيطَرَة التي تعتمدها الجيوش النِّظَاميَّة، بل يَجِبُ أن يُصمِموا نوعاً من الإجراءات توافق مستوى قوتهم من جهة، وتُوفرُ للقائد القدرة على تنظيم العَمَلِيَّة الدِّفَاعِيَّة والسيطرة عليها من جهة أخرى.

المراجع

المراجع العربية:

- الجنرال كارل فون كلاوزفيتز: عن الحرب، ترجمة سليم شاكر الإمامي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العربية الأولى 1997.
- الجنرال بارون دي جوميني: فن الحرب، ترجمة مركز نورس للدراسات 2018.
- العقيد محمد الصفا: الحرب فن القيادة والمعارك الفاصلة في التاريخ وإدارة والحرب والمذهبية العَسكَرِيَّة، لبنان-بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1987.
- الإمارة الإسلامية بأفغانستان (مكتب الخدمات- قيادة المعسكرات والجبهات): موسوعة التكتكيك، الطبعة الإلكترونية الأولى، 1426هـ
- سيث جونز: نشوب الثَّورَة المسلحة "دروس من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولة الإسلامية"، ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2019.
- مركز الخطابي للدراسات: الخطَّابي مُلهِم الثَّورات المسلَّحة، ثورة الريف الثالثة (1921 – 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السِّيَاسيَّة والعسكرية والاجتماعية، نشر على موقع المركز سنة 2019.
- روبرت تابر: حرب المستضعفين، تعريب: محمود سيد الرصاص، مراجعة: المقدم الهيثم الأيوبي، 1981.
- كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي: تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، ترجمة مركز الخطابي للدراسات 2019.
- محمد صلاح الدين عبد الحليم زيدان، الصراع ورياح التغيير، دورة سياَسيَّة وعسكرية (الجزء الثالث) حرب العصابات الحرب الثَّوريَّة، 1434 هـ

- سون أتزو: فن الحرب، تقديم وتعليق أحمد ناصيف، دمشق-القاهرة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 2010.
- ماو تسي تونغ: ست مقالات عسكرية، جمع الصوت الشيوعي، مكتبة ماو تسي تونغ للعرب.
- جين شارب: من الدكتاتورية إلى الديمقراطية إطار تصوري للتحرر، ترجمة خالد دار عمر، مؤسسة آلبيرت آينشتاين، الطبعة الثانية حزيران 2003.
- علي أحمد جلالي وليستر دبليو غراو: الجانب الآخر من الجبل "تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السّوفييتية"، ترجمة مركز الخطابي، 2020.
- مصطفى حامد: حرب المطاريد غير التَّقلِيديَّة، من أدب المطاريد 7، ثرثرة خارج نظام العالم.
- اللواء محمد ضياء الدين زهدي: حرب العصابات الهجومية الدِّفَاعِيَّة من وجهة نظر اللواء موشي ديان، منتدى سور الأزبكية.
- أبو مصعب السوري: إدارة وتنظيم حرب العصابات.

المراجع الأجنبيَّة:

- Army Doctrine Reference Publication, No. 3-90: Offense and Defense, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 31 August 2012.
- ADRP 6-22, C1, Change No. 1: Army Leadership, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 10 September 2012.
- ATP 3-21.8, C1, Change No. 1: INFANTRY PLATOON AND SQUAD, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 23 August 2016.
- Field Manual, No. 3-90: TACTICS, Headquarters, Department of the Army, Washington, DC, 4 July 2001.



عن مركز الخطابي

هو مركز دراسات وأبحاث مختص في علوم وفنون الحروب الثورية، تم إنشاؤه في إدلب- سوريا سنة 2019. يسعى مركز الخطابي إلى إيجاد مراجع شاملة تتناول مبادئ واستراتيجيات وتكتيكات الحروب الثورية، لتلبية حاجة الثوار التدريبية والبحثيّة، كما يهدف إلى توفير مصادر علمية وافية عن الفنون السياسيّة والعسكريّة والاجتماعيّة التي يحتاجها الثوار في العالم العربي والإسلامي، وذلك من خلال التحليل الدقيق والتقييم العلمي لتاريخ أهم الثورات السابقة، وتقديم التوجيهات والتحليلات الدقيقة التي تحتاجها النّخب الثورية حول أهم النوازل المعاصرة، والأرشفة الشاملة عن أحداث الثورة السورية على المستوى العسكري والسياسي والاجتماعي.

ومنذ نشأته، قدم الخطابي لمتابعيه أكثر من 14 مادة علمية، أهمها:

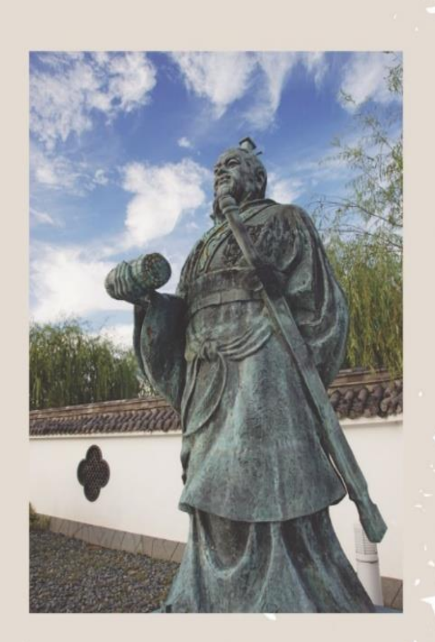
1. كتاب الخطّابي، مُلهِم الثورات المسلَّحة، ثورة الريف الثالثة (1921 – 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السياسية والعسكرية والاجتماعية.
2. كتاب انتفاضة الصحراء، السياق التاريخي للثورة الليبية (1911-1932)، وأبعادها السياسية والاجتماعية والعسكرية.
3. بحث لمحة عن المسار السياسي لآل سعود في الدولة الثالثة.
4. بحث "أستانا"، مسار القضاء على الثورة السورية.

5. كتاب الاحتلال بين النظرية والتطبيق، عوامل قوة عمليات مكافحة التمرد الأمريكية، وجدوى هذه العوامل في أفغانستان بين 2001 و2020.
6. بحث التجنيد الاستخباري، دوافعه، مراحله ومخاطره.
7. ترجمة كتاب نشوب الثورة المسلحة، دروس من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولة الإسلامية، تأليف سيث جونز.
8. ترجمة كتاب تكتيكات طالبان جنوب أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري مييرلي.
9. ترجمة كتاب الجانب الآخر من الجبل، تكتيكات المجاهدين في الحرب الأفغانية السوفييتية، تألف أحمد جلالي ولستر غراو.
10. ترجمة كتاب مكافحة الانقلاب، لجين شارب وبروس جينكيز.
11. ترجمة كتاب من الدولة العميقة إلى تنظيم الدولة الإسلامية لجان بيير.

يمكنك الاطلاع على أرشيف المركز أو التواصل معنا على المواقع الرسمية التالية:

- الويب: (https://alkhattabirw.com/)
- الفايسبوك: (http://fb.me/alkhattabirw)
- التويتر: (https://twitter.com/alkhattabirw)
- التلغرام: (https://t.me/alkhattabirw)





القائد الذي يفوز في المعركة يقوم بعمل الكثير من الحسابات في مركز القيادة قبل بدء القتال. أما القائد الذي يخسر المعركة فيقوم بعمل القليل من الحسابات سلفاً. لذا فالكثير من الحسابات تؤدي إلى النصر، والقليل منها يؤدي إلى الهزيمة.

وبناء على درجة اهتمامك بهذه النقطة أستطيع أن أتنبأ من سيفوز ومن سيُنهزم.

(سن تزو - فن الحرب)

